(٤)

روايات

www.elromancia.com

مرمورية

إعداد وتقديم : سعيد محمد عبد المنعم

رغبة امرأة

لقد بذلت " أنّا " كلّ ما في وسعها ...
كي تنسى " دان "

بعد أن حطّم - ذلك الشابّ الذي تربت معه كأخت له ، ... كلّ آمالها في أن تفوز بحبّه ، حاولت " أنّا " أن تلغيه من أفكارها ، ومن حياتها .

كان الأمر يبدو سهلا ؛ لأنّ " دان " كان يعيش في جزر "الباهاما" بالمحيط الأطلنطي وهي على بعد آلاف الأميال من " انجلترا " . الآن، وقد عاد " دان " وظهر عليه نية عدم الابتعاد عن طريق " أنّا " فقد زاد الأمر سوءاً خاصة بعد أن أعلن انجذابه إلى " أنا " .

لم يكن من حقه أن يشعر بالغيرة من صديقها " برايان " ؛ وحبّه المخلص لها طويل الأجل موجود في جهة بعيدة ...

No. 111-0086

اشتكت : أصابعي لزجة ..
رد عليها وهو يهمس : "العقيها !"

قبل أن تتحرك .. كانت يدها في يده ، رفع أصابعها الملفوفة إلى شفتيه .
قالت:
- لاتفعل !
وأخذ كل جسدها يرتعش وكأنما مسته الكهرباء . سحبت يدها بعيدا ..
- كنت فقط أقدم تحياتي ..
طمأنها صوته الدافئ وهو يمسك بذراعها ويقودها إلى القارب ، وكأن شيئا لم يحدث إطلاقا ...
ربما لم يحدث له شيء ، ولكن بالنسبة لها كان ما حدث هو مجرد خطوة أخرى على الطريق .....
شيء آخر يمكن أن يزيد لهيب تسلط حبها العاصف له .
ظنت أنه يتعمد زيادة توترها .. كان الأمر كله سلسلة أحداث تجري عبر الأيام.. وقوة كانت تسحبها إلى أسفل .

تقديم

عندما تتملك المرأة رغبة الاستحواذ على الرجل ، تجتاحها أحاسيس وصراعات متباينة وخطيرة ، تشبه الإعصار المدمر الذي نادراً ماينتهي دون خراب تام ، وحتى لو مر سالما فإنه يترك آثارا كثيرة يصعب إزالتها ...
بطلة قصتنا هذه ، فتاة حسناء يتيمة وغنية ، تعيش تحت وصاية أحد أثرياء "إنجلترا" ، مع ابنه وابنته . اشتعل حبها للابن الذي نشأت معه وكانت له بمثابة أخته . ولكنه كان يكبرها ويعاملها منذ صباها بتجاهل تام . حاولت كتمان حبها إلى أن فرق الزمن والظروف بينهما أكثر من أربع سنوات حين ذهبت إلى جامعة "أكسفورد" للدراسة ، ورحل هو إلى الولايات المتحدة الأمريكية بحثاً عن الشهرة والمال ككاتب مشهور حُولت معظم كتبه إلى أفلام سينمائية . عاش حياة الترف والشهرة في جزيرة من جزر "الباهاما" اشتراها لنفسه .
التقيا عند وفاة الوصي ، ليحل هو محله في الوصاية وفقاً لشرط غريب هو ألا تتسلم التركة إلا بعد بلوغها سن الخامسة والعشرين .
سيرى القارئ بعد هذا اللقاء سرداً شيقاً للصراع العنيف بين العاطفة والواجب والكبرياء ، وسيرى نوعاً غريباً من العواطف أهمها الرغبة في الاستحواذ على قلب الحبيب .
ونترك القارئ العزيز يتمتع بهذا التحليل الرائع للعواطف الإنسانية وسيصعب عليه ترك القصة دون أن يصل إلى النهاية غير المتوقعة .

www.elromancia.com

شخصيات الرواية

١- "جافن تورين" : أحد أثرياء "إنجلترا" يمتلك ضيعة وقصرا في "لانجفورد هول" والوصي على "أنا مازيني" .

٢ - "بيتردان" : ابن "جافن تورين" كاتب مشهور حولت معظم كتبه إلى أفلام سينمائية ، يعيش في إحدى جزر "الباهاما" التي اشتراها ليعيش فيها عيشة الترف الخاصة بالعاملين بحقل العمل السينمائي .

٣ - "إلين تورين" : ابنة "جافن تورين" وخطيبة "ستيف" .

٤ - "أنّا مازيني" : فتاة جميلة وغنية ويتيمة تعيش تحت وصاية "جافن تورين" وتربت مع "إلين" و"دان" .

٥ - "دافني تريفور" : كاتبة سيناريو ، وصديقة حميمة لـ"دان تورين" .

٦ - "برايان سكوت" : خطيب "أنّا" وهو طبيب شاب مهتم تماما بعمله .

الفصل الأول

كانت "أنّا" تعرف أن السماء قد تمطر بعد قليل ، ولكنها استمرت في السير عبر الغابة . كان هناك شيء في السير يريح العقل أو ماشابه ذلك ؛ هكذا كانوا يقولون . ولكن ليس هناك مايمكن أن يريح عقلها الآن . أخذت تتطلع للأشجار ؛ كانت أشجارا ضخمة معمرة ، وكانت في هذه المنطقة من قرون عديدة وعاصرت العديد من التغييرات . وكذلك العديد من الناس الذين عاشوا وماتوا في "لانجفورد هول" . ولم يكن هناك أحد قد نال من الحب ماناله "جافن تورين" . كانت قد أحبته وكأنه والدها وقد جعل موته المفاجئ حياتها تنقلب رأسا على عقب .

لم تكن من آل "تورين" بل كانت "أنّا مازيني" وكانت تعرف ذلك كل الوقت . ورغم الحب والاهتمام اللذين أظهرهما لها "جافن" ورغم عمق حبها ومتانة صداقتها لـ"إلين" لم تشك قط لحظة واحدة في أنها مجرد ربيبة "جافن" وليست من "آل تورين" إطلاقا وقد فهم "دان" ذلك أيضا .

قد يحضر "دان" حالا . لقد عمل "دان" على أن يحضر ! ضايقها أن عليها أن تنحني أمام أي قرار يتخذه "دان" . ولكنها الآن لاتجد ماتفعله . لابد أنه سيعرف خطط مستقبلها وإذا أحس بالضيق مثلما تحس هي ؛ فستسير الأمور عندئذ سيراً حسنا . وفي جميع الأحوال كانت هناك متاعب كافية ولاتريد أن تعاني "إلين" مزيداً من اليأس . لأنه على "دان" أن يستمع إليها مرة في حياته . لم تكن قد رأته منذ أربع سنوات ، أي منذ كانت في الثامنة عشرة من عمرها وقد قُبلت أوراقها توا في جامعة "أكسفورد" . قد لايكون نفس الشخص وربما لم يعد يهتم بـ"إلين" الآن . وربما يرغب في بيع "لانجفورد هول" . والمسؤولية الجديدة التي ألقيت على عاتقه قد تجعله ثائرا .. حسنا .. عليها إذن أن تواجهه . ولن يكون هو فقط الثائر .

www.elromancia.com

كانت السماء شبه سوداء من السحب الثقيلة التي تهدد بالأمطار عندما وصلت إلى حافة الغابات وواجهت "لانجفورد هول" عبر الامتداد الفسيح للمسطح الأخضر . كان قلبها دائما ينبض بعنف عند رؤيتها الخطوط المتوازنة في جمال للقصر القديم المبني على الطراز "الجورجي" وبدا هذه المرة قريبا لقلبها أكثر من أي وقت مضى . كل شيء يعتمد على ما قررته . لقد انطوت آمالها ومخاوفها مرة في هذا القصر وكذلك كل أحلام طفولتها. أخذت نفسا عميقا وخطت نحو البيت . إن الغرق في مشاعر الشفقة على النفس ليس من طبيعتها. و"إلين" لديها الكثير مما يكفيها قلقا دون الحاجة إلى تعزيتها . دخلت القاعة المربعة الواسعة ثم استدارت في الحال إلى غرفة الاستقبال عند سماعها أصواتا بها . لم يكن من بينها صوت "دان" ، لم يكن قد وصل بعد ، وكانت تعلم ذلك تمام المعرفة ؛ لأن السيارة الوحيدة التي كانت تقف أمام القصر هي سيارتها "البولو" التي تلقتها هدية من "جافن تورين" بمناسبة عيد ميلادها الحادي والعشرين . خانتها دموعها وسقطت من عينيها السوداوين . إنها لن ترى "جافن" مرة ثانية . وستصبح وحيدة في النهاية .

ثم ماذا يمكن أن يقوله "دان" ؟ إنهما لم يكونا قادرين على الاتصال كي يجد الوقت اللازم لحضور الجنازة . سيتأخر ثلاثة أيام . إنه لن يستطيع أن يرى والده ثانية . هل سيؤنبهما ؟ هل سيشعر بالمرارة ؟ لا .. ليس مع "دان" . إنه سيحضر ثم يرحل . لو أنه اهتم بالحضور للمنزل باستمرار لاستطاع أن يرى والده . إن حضوره الآن سيكون لمجرد إعادة ربط بعض الصلات التي ارتخت .

كانت "إلين" تنتظره وكأن باستطاعته حل أية مشكلة مهما كانت . من المحتمل أنه يستطيع بالنسبة لـ"إلين" أما بالنسبة لـ"أنّا" فإنه يعني مشاكل ، مالم يكن هو غير مهتم بها وينظر إليها كمجرد شيء مقلق . وسيكون ذلك أمرا طبيعيا .

هكذا فكرت ، "سيحضر "دان" وسط عاصفة من الأمطار" .

نظرت "إلين" إلى "أنّا" وتكلمت معها عندما دخلت الحجرة . وكان صوتها هادئا بغض النظر عما كان يعتمل بداخلها . كانت متكومة فوق الأريكة تبدو غريبة وقلقة فابتلعت "أنّا" قلقها عندما رأت وجه "إلين" الشاحب .

سمعت : "ربما لن يحضر قبل الغد".

كان من الواضح أن "إدنا" مديرة منزل "تورين" هي الوحيدة التي كانت تتحدث مع "إلين" ولكن "أنّا" هزت رأسها عندما رددت "إدنا" تلك الفكرة . إنه سيحضر حالا الليلة !

ابتسمت "إلين" وأضاء وجهها لحظة وهي تنظر إلى "أنّا" :

- إنك دوماً تعرفين متى يحضر "دان" هنا" . لقد فكرت في ذلك دائماً . وربما تكون دماء أهل "ويلز" التي جاءت عن طريق أمك هي السبب .

ربما يكون ذلك بسبب أنني كنت دائما أراقب خطواتي مع "دان" ونمّيت حاسة تحذرني .

كانت "أنّا" تذكر تلك الأفكار بمرارة . ابتسمت رغم ذلك وخرجت "إدنا" من الغرفة .

ثبتت "أنّا" عينيها على وجه "إلين" . كان دائما صورة يحب المرء أن ينظر إليها. كان شعرها الأسود منسدلاً وطويلاً على ظهرها كستار سميك يعكس مجموعة من الألوان . كانت عيناها سوداوين ، ولهما رموش طويلة وكان لون بشرتها نحاسيا ويصطبغ خداها باللون الوردي . كانت سترتها الصوفية فاتحة اللون تناسب لونها المتألق ؛ كما أن عيني "إلين" استقرتا عليها .

كانت "أنّا" دائما كتوماً وغامضة ؛ ورغم عمق العاطفة بينهما ؛ إلا أن "أنّا" شعرت ببعض الغرابة من ناحيتها رغم أنها كانت أكبر منها بأربع سنوات تقريبا . ربما يكون ذلك بسبب الظلام ؟ وربما يكون بسبب الدم "الإيطالي" و"الويلزي" الذي يسري في عروقها ، والذي جعل من "أنّا" شخصية معقدة .

وربما ببساطة لأن "أنّا" كانت شديدة الذكاء .

سألت "إلين" بتوتر :

- ماذا سيقول "دان" ؟ ليس لدي أية فكرة عن حفل الزواج ، ومن الصعب التأجيل ، لقد تحدثت مع عمي "جاك" ، وهو مستعد أن يحل محل أبي ، هل سيعترض "دان" على ذلك ؟ لم يبق سوى أسبوعين من الآن ولن يكون لديه الوقت للتعود على البقاء في المنزل دون وجود أبي فيه .

قالت "أنّا" باقتناع أكثر مما تحسه :

– أنا متأكدة من أنه لن يعارض . من يعرف ما سيقوله "دان" ؟ .

تواردت على ذهنها الأسئلة :

"قد يتعرض لسلسلة متتابعة من الصدمات ما إن يصل : لقد مات أبوه فجأة . وتمت ترتيبات زواج "إلين" وأرسلت الدعوات ، ثم كانت هناك إجراءات الوصاية. كما يشغل ذهنها مشكلة امتحاناتها النهائية . ولكن في المقدمة كان تساؤلها عن المكان الذي ستستقر فيه الآن . بعد أن ساعدت "إلين" في حربها ضد "دان" كان بإمكانها أن تستمر في مراجعة نفسها . أما بالنسبة للأمر الثاني فقد يتفق "دان" معها مرة وهي متأكدة من ذلك . لقد مات الوصي عليها وهي الآن في سن الحادية والعشرين لن تحتاج إلى وصي آخر ، وبالتأكيد ليس "دان" ، فقد لا يريد أن يزيد من أعبائه . كانت حياته سريعة وعنيفة وشديدة السحر . ولذلك فقد كانت عصبية بدرجة ما ومستعدة دائماً لمعركة خيالية من أجله . لقد كانت قلقة عليه كما تعودت طوال حياتها في هذا البيت .

دق جرس الهاتف ، وكان المتحدث هو "ستيف" ، ويرغب في التحدث مع "إلين" . فكرت "أنّا" .. إنها فرصة مواتية للخروج من الحجرة . كانت تفكر كثيرا حتى أصبح من الصعب الاحتفاظ بوجهها دون تعبير . وكان موضوع أفكارها هو "دان" : من الأفضل أن تهرب . لقد دربت وجهها منذ سنوات على ألا يظهر أي انفعال عندما يكون "دان" حاضرا إلا أنها قد تخفق ذات مرة .

أدخلت "إدنا" رأسها في الحجرة ونظرت في تساؤل إلى "أنّا" :

– هل أقدم شاي مابعد الظهر الآن أم ننتظر وصول السيد "تورين" ؟ .

– سننتظر بعض الوقت . لا أظن أن أيّا منا يشعر بالرغبة في تناول الشاي ، وأمامي بعض الأشياء أود إخراجها من الحقيبة في حجرتي .

نهضت بسرعة وهي سعيدة بالعذر الذي اخترعته كي تبقى وحيدة . كان من الصعب عليها أن تجلس مع "إلين" وعيناها تتركزان عليها وتتساءل منها عن رد فعل "دان" تجاه كل ما حدث .

قالت لها "إدنا" وهي تخرج إلى القاعة ومنها إلى الدرج الكبير المظلم ومنها إلى

هدوء حجرتها :

– إن أخاكما هذا سيتأخر

– إنه ليس قادماً من آخر الطريق . إنه قادم من "كاليفورنيا" . وأعتقد أنه يجب علينا أن نعطيه وقتاً إضافياً . وعلى أية حال اتركي الغلاية تغلي .

كانت "أنّا" تحاول منحها ابتسامة .

لم يكن شقيقها . ولقد أوضح ذلك تماما بعدة طرق منذ أن كانت طفلة .

بدا وجه "إدنا" راضيا . ظهر ماتعلمه عن الأسرة منذ سنوات عديدة في العبارة التالية :

– حسنا إذن . لقد كنت دائماً مقربة للسيد "دان" .

ليس بالضبط وإنما كانت تعلم تماماً الجانب الذي عليها أن تتجه إليه من أجل معيشتها . وكيف تعمل على ألا تضع رأسها بين فكي الأسد .

استدارت "أنّا" وأسرعت تصعد الدرج وهي تواجه الحقائق بأمانة . لقد كان "دان" دائما ذا تأثير عظيم عليها . كان في الثامنة عشرة عندما وصلت إلى البيت . وكانت "إلين" في العاشرة ، وقد تعلقت الفتاتان ببعضهما بشدة . كان "دان" بلاشك أكبر في السن . ولم يكن مهتما كثيراً برعاية فتاتين أصغرمنه تحيطان به . بل حتى وهي تكبر كان غير مكترث بها تماماً أو هكذا بدا عليه ؛ رغم أنه لم ينقدها علانية .

كان ذلك ظاهراً في عينيه . هل سيرغب أن يستمر كسابق عهده متجاهلاً لها معظم الوقت أم سيرغب في التدخل ؟

حسناً ! لا يوجد مهرب . لا تستطيع أن تقطع الأمر وتهرب بحجة أنها في حاجة إلى العودة إلى "أكسفورد" ، كان الوقت نهاية فصل دراسي ولا تستطيع أن تفكر في سبب مقبول كي تذهب هناك سوى الهرب من "دان" .

كانت "إلين" في حاجة إليها ، وهي على كل حال . ليست جبانة . لقد تعودت على مواجهة الأمور .

أغلقت الباب وهي تفكر ، رغم أن ذلك لم يساعدها حقاً ، وإن كانت بعيدة عن أن يرى أحد وجهها .

ليس هناك ما تفعله هنا ، فسارت عبر الحجرة إلى النافذة وهي تنظر إلى أسفل أمام واجهة المنزل دون أن تضيء النور انتظارا لوصول "دان" ، وهو أمر ليس بجديد . لقد انتظرت وصوله معظم أيام حياتها . تساءلت كيف سيكون .

عندما كان بجامعة "كمبردج" كانت تنتظر إجازاته بلهفة وهي تدعو ألا يبدأ "جافن" في تكرار تنبيهها إلى نتائج المدرسة ؛ وهو ما كان يفعل دائما ؛ وكان "دان" ينظر إليها بابتسامة صفراء حتى تصبح قلقة ومرتعدة .

في إحدى المرات التقطها "دان" واحتضنها ، وقد اهتزت للغاية من إظهاره تلك العاطفة حتى إنها امتلأت خوفا ، إلى أن أنزلها من بين ذراعيه . كان مسروراً للغاية وكذلك الأمر بالنسبة لـ"جافن" . كان "دان" قد أطلق عليها لقب "القنفذ الصغير الشائك" ولكنها كانت تعلم دائما أن ذلك ضروري لإخفاء حقيقة أنها في كل ما كانت تفعله إنما تريد إرضاء "دان" وأنها كانت تبغي اهتمامه ورضاه .

كان دائما غير مكترث بها معظم الأوقات ، أغلقت ذهنها عن الماضي وأجبرت نفسها على أن تتذكر أن "دان" يمكن أن يكون مُتْعَبا يتملكه الحزن والأسى . وربما في حاجة إلى المواساة بينما "إلين" تنتظره وكأنه الإجابة عن كل الأسئلة والأشياء . كانت تنتظره بخوف أناني يتصارع في خلفية ذهنها . لقد كان والد "دان" هو الذي توفي فجأة . وعليها أن تبدو طبيعية وألا تسبب له المزيد من الحزن .

لم يكن طبيعيا وقوفها تحملق في الخارج في المساحات الشاسعة المظلمة . ولكنها كانت مستمرة في فعل ذلك ، عندما جاءت السيارة من رحلة طويلة لم تتعرف عليها . كانت لا تزال في الماضي البعيد من ذكرياتها وهي تتوقع أن ترى سيارة "دان" ماركة "البورش" . لا شك أنه أستأجر سيارة من المطار . لابد أن يكون من وصل الآن هو "دان" .. إنها تحس ذلك .

عندما وقفت السيارة وخرج "دان" منها انسحبت واختفت وراء الستار رغم أن الظلام كان حالكا . كانت تستطيع أن تراه ، وخفق قلبها بشدة عندما سار وقد شد قامته . هل كانت تتوقع أن يكون قد تغير ؟ لا لم يحدث ! ليس هنا .

سقطت أنوار المنزل على شعره ذي اللون الرمادي البرونزي الداكن . والذي كان

يتوافق تماما مع عينيه الساخرتين . كان يرتدي حلة داكنة وقد ظهر بياض قميصه بوضوح . كم مرة في حياتها رأت وصول "دان" ؟ وكم مرة كانت ترقب وصوله في قلق ؟ كان الأمر بمثابة العودة إلى الماضي في لمحة قصيرة .

وقف ينظر عبر طرقات الحديقة ناحية الغابة ثم تحول نحو المنزل . كانت عيناه تجريان على المنزل بحب . لقد كان هو الآخر يتذكر حياته في هذا المنزل قبل أن تجرفه الشهرة والحاجة إلى المال بعيداً .

رفع رأسه وتحركت عيناه إلى أعلى مباشرة إلى نافذتها فانتفضت "أنّا" وتراجعت أكثر للخلف .

لم يستطع أن يراها . بالتأكيد لا يستطيع ذلك حتى ولو كشبح في الضوء الخافت . كانت مصادفة أن تحركت عيناه مباشرة إلى حجرتها . وماذا يدعوها إلى هذا السلوك ؟ كان هناك شيء غير طبيعي فيها حتى ولو كانت مصممة على إظهار أنها نسيت تماماً الطريقة التي يتجنب بها كل منهما الآخر . كان من الواجب عليها أن تلوح له ، وفتحت النافذة ونادت عليه .

سمعت باب السيارة وهو يغلق بشدة وعرفت أنه لايمكن تأجيل اللقاء أكثر من ذلك . لقد أصبح "دان" في المنزل ويجب تحيته . ووالده متوفى ، ومن المتوقع أن يرى "إلين" ويراها هي في الحال . كان لابد من مساعدته للتغلب على حزنه . ومعركتها معه – إن كان هناك معركة – ستأتي فيما بعد .

ألقت نظرة على نفسها في المرآة ومشطت شعرها الكثيف الطويل بسرعة . ربما كان من الواجب أن تبدل ملابسها ؟ إن سترتها الحمراء لاتتناسب مع وقت كهذا وكانت ترتدي بنطلونا من الجينز . ولكن الوقت كان قد فات على تبديل الملابس الآن . لو تأخرت فقد يظن أنها تتجنب لقاءه . إنه يعلم أن لديها سببا قويا لتجنبه . خرجت من حجرتها وعبرت الطريق ناحية الدرج .

كان بإمكانها أن تسمعهم من البهو قبل أن تصل إلى قمة الدرج .

– لم نستطع الاتصال بك يا "دان" في الوقت المناسب ، لقد اتصلنا بآل "ناسو" وطلبنا منهم أن يرسلوا برقية إلى جزيرتك ولكنهم علموا أنك غادرتها بالفعل .

- إن الأمر على ما يرام يا "إلين" لقد حدث كل ذلك فجأة . لقد كنت بعيدا رغما عني . إنهم يصورون المشهد الأخير من قصتي سينمائيا . وكان لابد من إجراء تعديلات طفيفة في السيناريو . لقد ذهبت إلى هناك وعندي النية الصادقة أن أحضر مباشرة إلى إنجلترا من أجل حفل زفافك ، ولم أتوقع أبدا أن ....."

توقف الصوت العميق فجأة ثم استمر :

- على أية حال لقد كنت قد انتهيت وتجهزت للرحيل عندما تلقيت رسالتك أخيرا .

لفت "إلين" نراعيها حول رقبته :

- إنني آسفة يا "دان" كنت أتمنى أن تكون هنا ، لقد كان الأمر فظيعا للغاية .

كان كل شيء يؤلم "إلين" ألماً عميقاً . ابتسم "دان" وهو يضم شقيقته بقوة وأصبح وجهه أمام شعرها .

غمغم بنعومة مريحة :

- أعرف ياعزيزتي .... أعرف .

كانت "أنّا" في منتصف الدرج عندما رآها . استمر محتضنا "إلين" وعيناه ثابتتان على "أنّا" وهي تتحرك هابطة الدرج متجهة إلى الردهة . لابد أنه تخشب لأن "إلين" انسحبت إلى الخلف ونظرت هي الأخرى إلى "أنّا" .

- أهلا "دان" !".

لم تستطع أن تفكر في كلمات أخرى . كانت رؤيته مرة ثانية صدمة أكبر مما توقعت .

لقد قالت "إلين" إنها آسفة وشرحت لماذا لم تستطع الاتصال به قبل الجنازة . كان لابد أن يعرف أنها آسفة هي الأخرى . لقد أحبت "جافن تورين" وكانه والدها . بالتأكيد "دان" يعرف ذلك . لم تكن "إلين" هي التي حاولت الاتصال به وإنما هي التي فعلت ذلك . فقد كانت "إلين" مشتتة تماماً ساعتها . نطق اسمها بصوته العميق الناعم وكانت واقفة أمامه بعد أن تحرك للقائها . لم يضمها إلى صدره مثلما فعل مع "إلين" وكانت شاكرة لذلك . لم تكن قد سيطرت على نفسها بعد ولكن ذلك سيحدث قريباً . كان شعره البرونزي يتألق فوق الوجه الوسيم .

كانت عيناه العسليتان الداكنتان ترمقانها من فوق خديه المرتفعين . كانت عيناه تميلان إلى الاستطالة ، ولهما رموش كثيفة متسمة بالجمال . لم يكن هناك أية نعومة في وجهه . كان وجهه قوياً ومعبراً ربما تعبيراً زائداً . لقد كان وجهاً خطرا .

اختلست عيناها النظر إلى وجهه ورأت الخطوط المرسومة تدل على يقظته ، إلى جانب مظهر فمه القوي .

- إنك تبدو مرهقا .

بدت العبارة وكأنها اتهام . ولأول مرة تعلو شفتيه المضمومتين ابتسامة خفيفة :

- إني آسف .

لمعت عيناه لحظة ، فتذكرت ضحكاته العالية .

أشاحت بوجهها فجأة ولم تعد تتحمل ذكرى هاتين اليدين القويتين فوق كتفيها المستديرتين وذكريات أخرى جعلتها تجفل قليلاً .

همست وقد عاد الحزن الشديد مرة ثانية :

- لقد أوحشتني !

فجأة سحبها وضمها إلى صدره بقوة ثم تنهد :

- أعلم !

ثم أخذت يداه تجريان على شعرها المسترسل .

- سأقدم العشاء الآن .. لقد تأخر الوقت على شاي ما بعد الظهر .

كان ظهور "إدنا" ونظراتها العنيدة قد هزهم وانتزعهم من غيبوبة غير محددة الزمن .

شد "دان" جسمه وهو يحرر "أنّا" ، واستدار إلى أمتعته الموجودة بجوار باب البهو :

- امنحيني عشر دقائق يا "إدنا" .. سأغتسل .

- حسناً ياسيد "تورين" .

اختفت نظرة "إدنا" الماكرة . لقد عاد ، وعليها أن تعلم أن السفينة لها قبطان يقودها الآن .

طبع قبلة خاطفة على خدها وهو يغادر الحجرة ، واختفت وقد احمر وجهها كالتفاحة .

لقد عادوا أسرة مرة ثانية ... فيماعدا "جافن" الغائب . عندما جلسوا في حجرة الاستقبال بعد الغداء . جلست "أنّا" في الخلف ترقب .

كان "دان" بالحجرة ، وسرعان ما عادت بسهولة إلى دورها القديم . كان حضوره ضروريا بطريقة مزعجة بعض الشيء ، لأنه رغم علم "أنّا" بأن دورها سيأتي وأن عينيه الماكرتين ستحاصرانها حتما وتفحصانها وتسألانها ؛ إلا أنها أحست وكأنها لن تغادر البيت أبداً ، وأن مشاكلهم قد عادت للظهور .

قالت "إلين" بعصبية :

- لقد اتفقت أنا و"ستيف" على تأجيل الزفاف .

ظلت عيناه مثبتتين عليها وقد لان وجهه القوي .

- لاتفعلا ذلك .

ابتسم لئلا تبدو كلمته السريعة جافة ، وكأنه أراد أن يتأكد من أنها ليست متضايقة .

- إنه بعد أسبوعين ، وقد تمت جميع الترتيبات فدعي الأمور تسير كما هي يا "إلين" .... كان أبي سيوافق على ذلك .

- إنني .. إنني لا أدري يا "دان" ...

- إنني أفهم .. والحياة يجب أن تسير يا "إلين" فقد أحبته عندما كان هنا .. عيشي حياتك" . كان يطمئنها بلطف .

- ماذا عمن سيقوم بالتوكيل عن العروس يا "دان" ؟ ربما العم "جاك" ..

- أوافق ، وأنا سعيد أنك لم تطلبي ذلك مني ، لأنني لا أحب أن أحل محل أبي.

وضع يديه على يدي "إلين" "كان يبدو حزينا لدرجة لا تطاق للحظة ، ثم حول نظره إلى "أنّا"

- ماذا تنوين" أن تفعلي يا "أنّا" ؟

حملقت "أنّا" فيه عبر الحجرة :

- تقصد بعد الامتحانات النهائية ؟ . سأظل في "أكسفورد" حتى إعلان النتيجة وربما حصلت على وظيفة مؤقتة خلال تلك الفترة ، وربما ذهبت إلى "ويلز" كي أزور موطني أو إلى إيطاليا فهي وطني الثاني أيضا ، وعلى أية حال فإن "إلين" ستكون قد تزوجت واستقرت في بيتها ، وهذا هو منزلك . لقد كان "لانجفورد" ملكاً لعائلتك من قرون وأجيال .

ضاق حاجباه عندما ذكرت كلمة "وظيفة مؤقتة ولكن كلماتها الأخيرة جعلته غاضباً وضغط على شفتيه قائلاً :

- مادمت تحت وصاية "جافن" أصبح هذا بيتك. لست أدري ما سيقوله "ويل" ولا يعنيني قوله في شيء . لقد ربحت الأموال الضرورية لحياتي ولن أعيش هنا ، ولا أنوي أن أعيش هنا ، وإذا ظننت أن ..

- لست أوحي بأنك ستقوم بطردي من هنا .

حولت "أنّا" نظرها عن وجهه الذي أصبح مشدودا فجأة :

- لقد اتفقت أنا و"جافن" حول هذا الموضوع منذ زمن طويل وكان يعلم أنه إذا... توفي فإنني سأرحل . لأنني لا أستطيع ..

وقفت عن الكلام وقد خنقتها دموعها ومنعتها من الاستمرار . أحس بالأسى نحوها تاركا مسألة مستقبلها لوقت آخر . لقد أحس بالإعياء عندما فكر في المستقبل القريب . إنه لايعلم بعد . و"إلين" لاتعرف هي الأخرى ، ربما لم يخبر المحامي "دان" وربما "جافن" لم يكن يعني ذلك ؟

وقبل كل شيء لقد كان مريضاً للغاية . قال "دان" فجأة وقد ركز عينيه الماكرتين عليها بشغف :

- إنه آخر فصل دراسي لك . أليس كذلك ؟

- بلى ! .

كانت سعيدة سعادة طاغية . إنها استطاعت أن تسيطر على عواطفها في الحال . لم يكن ذلك سهلا في مواجهة تلك النظرة اللحوح . ظلت الذكريات تلح عليها وهي لم تعد تحس بألفة نحوه مرة ثانية . لقد بدأت تتحقق من أن السنوات الأربع التي مضت إنما مضت بسرعة فائقة .

www.elromancia.com

– إذن .. ماذا بعد ؟ .

ضم شفتيه استهجانا لإجاباتها المقتضبة ، وأحست أن الدماء تسري في عروقها . لقد كانت دائماً مقتضبة في إجاباتها عندما تكون منزعجة ؛ إما مقتضبة وإما مضطربة ؛ تنتقل من النقيض إلى النقيض .

– لم أحدد بعد . عندما أؤدي الامتحانات النهائية سأرى ماذا سيحدث بعد ذلك، ولقد قر قراري أن أسافر عبر البحار .

ارتفع أحد حاجبيه وظل مركزاً نظراته القاسية عليها :

– قر قرارك ؟ إنه اختيار غير مقبول للكلمات ، فضلا عن أنك ستشعرين أنك مشردة .

– إطلاقا ، لقد كنت دائما أعتزم ذلك . و"جافن" كان يعلم ، وكذلك "إلين" ثم رق صوتها وهي تقول :

– دون شك ... ربما أرسب في الامتحان .

غمغم متهكما :

– هذا أمر بعيد الاحتمال .. لقد شط بك الأمر هذه المرة .

– كيف لك أن ... ؟

– لقد أخبرني أبي . الأمور محسوبة وإلى ماذا ستؤدي بك دراسة الرياضة البحتة ؟

قالت "أنا" وهي متوترة قليلاً :

– هناك احتمالات لا نهاية لها .. قد أدخل عالم الصناعة أو البنوك أو الحكومة...

لقد عاد إلى نقده اللاذع ثانية ، بالضبط كما كان يفعل في الماضي ، ضحك فجأة بنعومة :

– الحكومة ؟ إنني سعيد لأنني أعيش عبر البحار . عندما تفقدين أعصابك فإن صدى ثورتك يتردد في العالم أجمع .

– قد يصلك الصدى في جنة جزيرتك .

تمنت ألا تقول ذلك بعد أن أفلتت منها الكلمات . لأن "دان" أحس بلهجة المرارة

في صوتها ، فضاقت عيناه العسليتان . طمأنها بنظرة استياء :

– لست أظن ذلك . فإن امتلاكي جزيرة مهما كانت صغيرة له مزايا خاصة . إن لدي جميع مستلزمات المعيشة في سلام لانهاية له . ولهذا عشت هناك أربع سنوات ويمكنني الاستمرار في الكتابة .

لم يقل إنه يعيش هناك مع زوجته ، وإن كان ذلك واضحاً على وجهه . ونظرت "أنا" وهي مضطربة بعيدا عنه وركزت عينيها على النار المشتعلة بالمدفأة :

– أوه ! "دان" لم نسألك عن "دافني" كيف حالها ؟

قال "دان" بصوت ثابت :

– في أحسن حال . والطفل سنه ثلاث سنوات الآن ، وقررت "دافني" أن تسميه "تريفور" .

كانت كل كلمة تطعن "أنا" كالسكين وتنزل عليها كالصاعقة . كانت تتغلب على نفسها . لقد عاد "بيتر دان" إلى العش الذي كان يعيش فيه ومع ذلك تريد الهرب .

كانت تتساءل في يأس كيف ستتصرف عندما أطلت "إدنا" برأسها من فرجة الباب :

– مكالمة هاتفية لك يا آنسة "أنا" ... إنها من "أكسفورد" .

سألها "دان" بنظرة ساخرة :

– إنهم يستدعونك ؟

ردت عليه بنظرة متوترة ، رغم أنه وصل إلى البيت لتوه . إنه دائما يحاول السيطرة على أي شيء :

– إنني لم أعمل في الحكومة بعد ، ومن المؤكد أنها من "برايان" .

قالت ذلك وألقت نظرة ذكية على "إلين" وقد أعيتها رغبتها في أن تتصرف بعنف أو تنفجر .. ليس لديها شيء يؤكد صدقها أمام "دان" .

– "برايان" ؟ .

سمعت "دان" وهو يردد الاسم وهي تخرج مندفعة من الحجرة وقد بدأ الشغف في كل حركاتها .

www.elromancia.com

قالت "إلين" في صوت منخفض :

– إنه حبيب "أنّا" .. لقد ظننت أن أبي أخبرك عنه ، وستقرع أجراس الزفاف مرة ثانية قريباً .

أغلقت "أنّا" الباب واستندت عليه لحظات وقد أغلقت عينيها وكان تنفسها غير منتظم .

بارك الله في "برايان" لأنه مكنها من الخروج من هناك . إذا استمر الحال هكذا فلابد أن تحدث عاصفة .

– هل أنت بخير ؟ .

كانت "إدنا" واقفة ممسكة بسماعة الهاتف كعادتها وقد تسلط على عقلها فكرة أنها لو وضعت السماعة على المائدة أكثر من ثانية فسينقطع الخط .

– إنني بخير . انتظري دقيقة ثم ضعي السماعة حيث سأتلقى المكالمة في المكتب .

جمعت "أنّا" شتات نفسها وعبرت البهو . كان عليها أن ترقب خطوها . إذا رآها "دان" في هذه الحالة فإنه في الحال سيفكر ...

جاء صوت "برايان" مملوءا بالترحيب وهو يقوم بتمثيل دور الناصح العملي وإن كان ذلك بسبب قلقه عليها .

– ما الذي يحدث عندك ؟ أرجو ألا تكوني شديدة البؤس يا "أنّا" لن يرجع الحزن – مهما بلغ – "جافن" للحياة مرة ثانية .

– إنني بخير فاطمئن .. وعلى أية حال فإن "دان" هنا .

ماهذا الذي تقوله ؟ كان من الممكن أن تصبح حالها أفضل لو أن "دان" لم يحضر على الإطلاق . لقد اعتادوا الحياة مدة طويلة بدونه . ولكن "جافن" كان معهم – ذكّرت نفسها بذلك – إنها تستطيع أن ترتب أمورها ولكن "إلين" لم تكن تستطيع ذلك حتى تنتقل إلى بيتها مع "ستيف" .

– آه ... الأخ الشهير .

هاهو ذا يعود إلى التهكم ثانية . فكرت برهة أن تغضب مع "برايان" . ذكرته بصوت حاد نوعا ما :

– إنني لست قريبة لأحد . و"دان" شقيق "إلين" .. ولا صلة لي بهما على الإطلاق .

– أسف .. وأرجو ألا أكون قد جرحتك .

ضحكت "أنّا" ضحكة مفتعلة :

– لا .. إن غلطتك تكررت مرتين الليلة وقالت "إدنا" ذلك قبل الآن .

سألها وهو مسرور :

– وهل أطبقت على عنقها . لقد ظننت أنهم استدعوك باعتبارك فرداً من الأسرة ؟

– لقد حدث . أرجو أن تكف عن التدخل في حياتي .

أخذ "برايان" يضحك ، ونسي الموضوع مما أراحها كثيراً . إن مكانتها بالنسبة لـ"دان" موضوع تريد أن تهمله هذه الساعة . حولت ذهن "برايان" إلى مواضيع أخرى . كان من الممتع التحدث معه عن الإشاعات .

www.elromancia.com

الفصل الثاني

ظلا يتحدثان بهدوء عندما عادت ولم ينظر "دان" حوله .

ابتسمت "إلين" :

– هل تم ترتيب كل شيء يا "أنّا" ؟ وهل أعد "برايان" العدة كي يحضر حفل الزفاف؟ .

– لا ! إنني آسفة يا "إلين" .. إن المستشفى يعاني نقصاً كبيراً ولن يستطيع أن يحصل على يوم إجازة .

شرحت "إلين" الأمر لـ"دان" :

– إنه طبيب . لقد أتم دراسته العام الماضي وهو الآن يعمل في مستشفى . أعتقد أن اسمه "دارتمور" . آسفة يا "أنّا" .

ضحكت "إلين" وأكملت :

– سيكون الأمر على مايرام إذا لم يحضر . ولكن أرجو ألا تنسحبي من دور رئيسة وصيفات الشرف .

– كما تريدين .

فجأة أحست بعيني "دان" تركزان عليها رغم أنه لم يعلق بكلمة . أضافت بسرعة :

– سأذهب وأساعد "إدنا" في غسيل الأطباق .

قالت "إلين" بحزم :

– إنني لا أعرض خدماتي ! .

ألقت "أنّا" إليها بابتسامة :

– اجلسي فقط وزيدي جمالك .

– لو استطعت أن أزيد جمالي مثلك لظللت جالسة لشهور طويلة .

– هذه مجاملة . لابد أنك تريدين شيئاً .

سألتها "إلين" بصوت مملوء بالاستعطاف :

– هل ستأتين معي إلى المحلات غداً ؟

صححت لها "أنّا" الكلام :

– أنت تعنين أنني سأقود السيارة لأوصلك إلى المحلات . والإجابة " : نعم ، بشرط أن تنهضي من الفراش قبل الساعة السابعة .

استدارت ناحية الباب ، ولكن صوت "دان" استوقفها :

– إنك مازلت تستيقظين مبكرة إذن ؟ .

أنبته "أنّا" وهي تدلف خارج الحجرة :

– الآن وفي كل وقت .

كان صوته يجعلها تحس إحساسا غريبا . لايزال داخلها إحساس بالحقد وهو أمر مثير للسخرية . إنه متزوج ! إنه حتى لايعلم الأعباء الملقاة على عاتقه بالتأكيد إنه لايريدها . هجمت على الأطباق بحمية ، حتى أن "إدنا" احتجت بأنها تفضل ألا تتلقى منها معونة وأن تحتفظ بأعصابها . لم تكن "أنّا" حقيقة تنصت إليها . كانت أفكارها تحاول أن تطير بعيداً عنها وتأخذ طريقها الخاص ولكنها لم تسمح بذلك . لقد نسيت الماضي منذ وقت طويل ، وقد يكون المستقبل خادعا .

كان "دان" بمفرده حينما عادت ورفضت تماما أن تنسل خارجة . لن تنتهز الفرصة على أية حال ، لأنه التفت عندما فتحت الباب . كان ينفض الماء من على سترته وحملقت فيه وكأنها أحست باهتمام غير طبيعي بما يفعله .

– إنك مبلل !

كان قولاً سخيفاً ، ولكنه غطى لحظة شعور بعدم الارتياح . نظرت حول الغرفة وكأنما كانت تأمل أن تكون "إلين" مختفية . وكالمعتاد كانت طريقتها العصبية تسبب له الضيق في الحال . قال لها بطريقة مهذبة :

– لقد ذهبت "إلين" إلى النوم ، وأنا مبتل لأن المطر لايزال يهطل غزيراً . لقد خرجت كي أضع السيارة في مكان الانتظار . هل هذا يجيب عن كل التساؤلات؟

– هل فعلت حقاً ؟

www.elromancia.com

كانت تعلم أنها كانت تحملق فيه وهي تحاول أن تعتاد عليه مرة ثانية .

ظل لحظة فارغ الصبر .

- ماذا فعلت ؟ وضعت السيارة في مكان الانتظار ؟

- " لا . لقد حاصرتني سيارتك الـ"بولو" البيضاء ويبدو أنها تُركت أمام الباب الأمامي دون اهتمام .

- أوه ! إني آسفة . لو كنت أخبرتني ....

- هل هي سيارتك ؟

مال على حافة المدفأة وقد وضع يده في جيبه وأخذ يراقبها بثبات :

- نعم ... لقد منحها لي والدك بمناسبة بلوغي سن الحادية والعشرين ."

فأجابها "دان" بقوله :

- منذ أربعة أشهر مضت ؟

لقد أدهشها أن يعرف أنها على قيد الحياة . أرادت أن تغادر الحجرة الآن، ولكنه كان لايزال يريد أن يتكلم . فجأة قال بحدة :

- ألا تنوين العودة إلى هنا على الإطلاق ؟ .

- لم أفكر في الأمر .

كانت تكذب . تحركت ناحية النافذة وأخذت تنظر في الظلام في تلك الليلة الممطرة .

- إن ذهني الآن مشغول بالكثير ، مثل زواج "إلين" وامتحانات نهاية العام و...و...

قال "دان" بحنان :

- لابد أن الأمر كان صدمة لك يا "أنّا" ، لقد كنت في السابعة من عمرك عندما جئت إلى هنا في "لانجفورد" ، كان أبي بمثابة أب لك دائما . كم تمنيت أن أكون هنا !

قالت بسرعة ، مع أنه لم يكن غاضبا بأية حال :

- لقد حاولنا الاتصال بك .

صحح لها حديثها :

- تعنين أنك "أنت" التي حاولت الاتصال بي ، إنني أعرف "إلين" تمام المعرفة إنها لاتتمالك نفسها مثلك .

قالت "أنّا" بسرعة :

- لم نشك قط أن ذلك يمكن أن يؤلمك .

كان ذلك مديحاً من "دان" لو كان يعني مايقوله ...

لقد كان كتوماً لدرجة مخيفة . أجبرت نفسها على التحرك لتواجهه وتبوح له بما يدور بذهنها ، وعن كل دقيقة بؤس مرت بها منذ وفاة "جافن" .

- لن تبيع "لانجفورد هول" يا "دان" . أليس كذلك ؟ أنت غني ولن تحتاج إلى نقود ... ولا أتحمل التفكير في أي شخص آخر ....

طمأنها بلطف :

- لا ! لن أبيعه أبدا . إنه يضم الكثير من الذكريات . إنني دهش من إحساسك العميق نحو هذا المكان ، وتصميمك في نفس الوقت على تركه . إنك لم تحسي بالاستقرار هنا أبداً . أليس كذلك ؟

- لقد أحببت "جافن" .

كانت مصرة على عنادها كي تخفي جراحها . ربما استقرت لو كان "دان" شخصاً آخر .

- لقد كان يحبك . وأمك أحسنت الاختيار عندما طلبت من أبي أن يكون وصياً عليك .

- لم يكن لنا سوى أقارب عن بعد قليلين للغاية .

قال "دان" بهدوء :

- وكان هو في يوم ما يحبها بعمق حتى أخذها منه إيطالي أسمر اللون .

- أنت تمزح ! كيف يمكن لك أن تقول هذا ؟

نظرت في وجهه دهشة ، ولكن شفتيه استدارتا في شكل مسل . بينما العينان الماكرتان مركزتان على وجهها .

- لقد أخبرني والدي بذلك ، وهو السبب الذي من أجله قبل أن تأتي إلى هنا . وبسبب ذلك كان يحبك حباً جماً .

www.elromancia.com

– وليس من أجلي شخصياً ؟

كانت تحس بالمرارة وهي توجه ذلك السؤال ، رغم أنها كانت تعرف تماماً ماتتوقعه من "دان" ، قال وهو متوتر مؤكداً :

– إنني لم أقصد ذلك . إذا كنت فهمت ذلك من قولي فإنني آسف إذن . أنت تعلمين تماماً أنه أحبك من أجلك أنت .

بدا وكأنّ لسان "أنّا" قد تعود على مرارة الحياة .

– وحتى رغم ذلك فإنني أعد شيئاً غريباً وكريها .

أخبرها بصوت جاف :

– إنه لم يلاحظ ذلك على مايبدو ، وأتساءل كيف ستتوافق الوصية مع حقيقة أن والديك أصراً على أن تظلي تحت الوصاية حتى سن الخامسة والعشرين ؟ ولا أدري كيف يتوافق هذا الأمر مع القانون ؟ ربما كان في الإمكان أن ترثي التركة فوراً؟.

اندفعت كالرصاصة خارج الحجرة ، تاركة إياه يفكر كما يعنّ له . لم يكن بمقدورها أن تظل هناك وأن تكذب عليه . لم تكن تستطيع أن تخبره أنه قد أصبح المسؤول عن تلك المهمة . لقد تكلم معها المحامي فيما يخصها في لقد وضعها "جافن" كعميل منفصل : لها محاميها الخاص الذي كتب إليها فور موت "جافن" . كانت تشعر بالاستياء من نفسها ، لأن الشجاعة لم تواتها كي تخبره بذلك في الحال . وحتى تنتهي من الأمر نهائيا . كانت لا تزال تخشى "دان" .

لقد اختارته سرا منذ أن حضرت إلى هذا المنزل فارساً لأحلامها! بعينيه الضاحكتين اللتين تبدوان لها في كل مكان . وكانت سعادتها تتجاوز كل الحدود عندما كان يبتسم لها . كان من الصعب جعله يبتسم كلما كبرت في السن وأصبح لها رأيها الخاص وأصدقاؤها المستقلون . ويمكن أن يصبح لاذعاً عندما لايوافق على شيء ما .

تنهدت وهي تتمنّى لو أنها انتهت من الامتحان النهائي ، وأصبحت مثل "برايان" مرتبطة تماماً بالعمل حتى لاتستطيع المجيء هنا أبداً ، اليوم قبل الغد. كان في إمكانها عندئذ أن تحضر زفاف "إلين" وأن تواجه الأمور يوماً

واحداً. هل كان "دان" يستقر هنا كل هذا الوقت ؟ ربما البؤس الذي يخيم على البيت بعد أن فقد أعز شخص فيه جعل منه مكاناً غير مناسب ولا مقبول بالنسبة لطفل . أغلقت باب حجرتها بالمفتاح ولكن فكرة النوم لم تراودها .

قامت بالاغتسال وبدلت ملابسها للنوم ثم جلست أمام المرآة كي تمشط شعرها الطويل اللامع .

كانت عيناها تنظران إلى صورتها في المرآة وهما مشدوهتان . لم يسبق لها أن بدت هكذا . كانت تعلم أنها تغيرت في الأعوام الأربعة التي مضت .

تغيرت فجأة . وهذا التحول المفاجئ في السلوك نحو "إلين" و"دان" لقد أرسلوها إلى الكلية والعمل الشاق ولكن لم يكن هذا هو السبب إطلاقا .

كانت دائماً تأخذ الأمور ببساطة . وكانت تعمل بجد في الدراسة ، كل ذلك من أجل "دان" .

كانت كالقطة البرية شبه المتوحشة ، ولكنها لم تهاجم "دان" قط . لم يكن بمقدورها أن تتلقى منه أي تأنيب . كان شعرها طويلا وكثيفاً وقد ضمته في ضفيرة واحدة على ظهرها . وكانت نحيفة لدرجة مؤلمة ، وكانت تحس بالمرارة والقبح في الوقت الذي كانت "إلين" – التي تكبرها بأربعة أعوام – قد بدأت تنمو وتترعرع كزهرة متفتحة . لقد تعود "جافن" أن يقول لها :

– كيف تظهرين بهذه الوحشية وفي نفس الوقت في منتهى الذكاء في المدرسة. لابد أن في الأمر خدعة أو سحراً ؟

ولكنه كان فخوراً بها بدرجة كبيرة ، عندما كانت تحصل على جائزة بعد جائزة. ولكن "دان" لم يكن يقول شيئاً قط . ولم تكن متأكدة من أنه حتى يعرف بتفوقها.

ثم فجأة أصبح "دان" شهيراً . كانت كتبه المثيرة تحقق رقما خياليا في مبيعاتها كما صُورت سينمائيا ، ولم يعد يحضر بعد ذلك . كانت دائما مغرمة به وهو بالبيت ، وكان يكفي أن يكون هناك ، وأنها تستطيع أن تراه حتى ولو أنه كان ينظر إليها بفتور من آن لآخر ، وكأنه يعتبرها غريبة ، وكانت نظراته عادة ماتنتهي بابتسامة واسعة فيها معنى الألم ، ولكنها كانت ثمينة بالنسبة لها .

ورغم أن فكرة الاقتراب منه راودتها ، إلا أنها لم تجرؤ على تنفيذها .

كانت في الرابعة عشرة من عمرها عندما سافر إلى أمريكا كي يكتب سيناريو كتابه تمهيدا لعمل فيلم له . ولم تكن تستطيع أن تستوعب فكرة أنه قد يظل بعيداً بصفة دائمة . كان في الخامسة والعشرين . وكان طبيعيا أن سافر قبل ذلك مرات . كانت تنطوي على نفسها في حزن عندما يذهب، ولكنه كان يعود دوما.

وعندما بدأ الكتابة كان مقيما في "لانجفورد هول" ، ولم يكن يهمها أنه لم يلاحظها ، بل يكفي أنه كان ينظر إليها بحدة أحياناً . يكفي أنه كان هناك.

وجدها "جافن" ذات مرة تبكي بعد رحيله فطمأنها قائلاً :

- إنه سيعود .. وأنت تعلمين هذا .

كانت تعلم أنها خاضعة تماماً لنفوذه وأنه كبر وأصبح مشغولاً ، ولكنها - لأمر ما - لم تستطع المقاومة .

لم يعد لمدة ثلاث سنوات ، وفجأة توقفت خطاباته أيضا . أخذت تعمل بجنون كي تشغل نفسها أكثر ، وعندما عاد كانت في السابعة عشرة. وكانت قد علمت لتوها أن لها مكانا في جامعة "أكسفورد" لنتائجها الباهرة في امتحان القبول.

نهضت "آنّا" ومشت للنافذة ونظرت إلى أسفل واجهة المنزل ، إلى السيارتين اللامعتين تحت المطر : سيارتها وسيارة "دان" . لقد كانت في المنزل عندما عاد، كان ذلك منذ أربع سنوات مضت ، ولكنها تذكره جيداً ... كانت في غاية الإثارة وأحست بالخجل الشديد لمجرد أنها كانت تنتظره مع الباقين ، ولكن إثارتها ماتت فجأة عندما خرج من سيارته ليساعد امرأة على الخروج من السيارة.

كانت المرأة جميلة وفي سن "دان" ، ملفوفة القوام شقراء . كانت "آنّا" قد لمحت خاتم الزواج في إصبعها . تجمد شيء ما في داخلها ومات ؛ شعور مذهول بعدم الواقعية سيطر عليها ؛ لأنها كانت تظن أنه لن يحدث .

كان بمقدورها أن تظل في مكانها للأبد لو لم تسمع صوت "إلين" آتيا من البهو

- إنه هنا يا "آنّا" . لقد عاد "دان" إلى البيت .

لم يعد في الحقيقة إلى البيت ، وإنما يقوم بزيارة كي يريهم خطيبته . وهو ما مزقها من الغيرة ، إنه شعور لم يسبق لها أن أحست به من قبل .. عندما رآها وقف مذهولا . لقد اختفت الضفيرة الطويلة ، وبدا وجهها مملوءاً بالأنوثة . بينما برز صدرها قليلاً تحت "السويتر" الرقيق الذي كانت ترتديه ، أما ساقاها فكانتا تبدوان طويلتين رشيقتين من خلال الجونلة المتمايلة . لم تعد تلك النحيفة المرتبكة دوما . وهو في تلك اللحظة واقف فقط يحملق فيها .. تلفظ باسمها ، وبدا وكأنه لايصدق أنها كبرت . ثم تقدم منها وفحصها ، وواجهته بابتسامة وهي تحاول جاهدة أن تبدو طبيعية . ولكنها لم تستطع التحكم في عينيها .

خطا "دان" للخلف حتى لا يلمسها وقد فوجئ دون شك بالحزن الذي في عينيها.

قال "جافن" بفخر :

- لقد كبرت ! .

ضاقت عينا "دان" ، وعاد وجهه إلى مرحه الطبيعي عندما كان يتحدث مع والده:

- كان لابد أن تكبر يوما ما ، وهو شيء لم يحدث بالنسبة لي لسبب لا أعرفه . كان أسبوعا من العذاب ، حلما مزعجا لانهاية له لأنها لم تستطع أن تكره "دافني" ، لقد كان ثمة شيء حزين مؤلم يلفها . بدون سبب محدد كان "دان" غير مهتم وغير منتبه . اعتذرت بحجة أنها مكبلة بالعمل الكثير .

كانت الكلية أمامها . كانت غالباً ما تظل في حجرتها بدعوى العمل ، ولا تلتقي بهم سوى وقت الوجبات والأمسيات الطويلة التي لاتنتهي عندما تجتمع الأسرة في حجرة الاستقبال .

كان لديها القليل لتقوله ، وعندما كانت عينا "دان" تستقران عليها كانت تحس وكأنها ترتعد ، وكان هو الآخر لا يجد ما يقوله ، وافترضت أنه متضايق لأنها تتجاهل خطيبته . لا شك أنه ظنها متعجرفة ، وعاشت في جو كريه لاذع .

كان ينظر إليها وكأنه غاضب ، وكان وجهه قاتماً وجامداً ، ولابد أن وراء

عاصفة رغم أن أحداً غيرها لم يلاحظ ذلك .

عندما رحلا : لم تستطع أن تواجه الأمر . ظلت في حجرتها وكانت تنظر إليهما خلال الستائر المنفرجة . وقد أحست بقلبها يتحطم عندما ودّع "دان" الجميع ، وعندما بحث عنها ؛ تبين للجميع أنها غير موجودة وبدأت "إلين" تتحرك نحو البيت . ولكن "دان" استوقفها وجاء بنفسه .. كان يريد لقاءها .

نظر إلى النافذة فانسحبت للخلف وهي خائفة . لم تكن تستطيع أن تواجهه . لقد كان غاضبا طوال الأسبوع منها ، ولو رآها الآن لزاد ضيقه .

عندما طرق بابها لم تجبه . تحركت إلى أقصى ركن في الحجرة وهي تكاد تتعثر في بؤسها . ركزت عينيها على الباب وكأن وحشا ضاريا يقف خلفه عندما فتح "دان" الباب انكمشت على نفسها ملتصقة أكثر بالحائط الصلد.

لم يتكلم .. وقف ينظر إليها ثم أغلق الباب وخطا إلى الداخل ، ثم وضع وجهها بين كفيه وهي تنظر إلى أسفل .

أخذت أصابعه تمشط شعرها الطويل ، ورفع وجهها نحو وجهه . كانت يده قوية ودافئة ، وظلا يتبادلان النظرات دون أن يتفوها بكلمة . سألها بلطف في النهاية:

– هل كنت ستدعينني أذهب دون كلمة ؟ ألم تكن لديك النية في أن تحضري لوداعي ؟ .

كان يريدها أن تحضر الوداع العائلي . ولكنها لم تكن تشعر أنها من العائلة . كل ما أحسته أنها وحيدة وضائعة . انسابت الدموع التي حبستها طويلا من عينيها وسالت على خديها . مسحت أصابعه دموعها بخشونة ، ولكنها ازدادت انسيابا وهو يقول لها :

– لا تبكي ...!

في تلك اللحظة لم تستطع أن تخالف "دان" عندما جذبها بين ذراعيه واحتضنها بقوة وهو يدير وجهها نحوه ، حتى فتحت عينيها اللتين التمعتا بدموع التعاسة ونظرت إليه . همس :

– "أنّا" ! يا إلهي ! من أين أتيت ؟ .

هزت رأسها وقد أعمتها الدموع وهي لاتفهم الكلمات . كان كل شيء داخلها يبكي . أين كانت ؟ لقد كانت دائما هنا كي تبهج "دان" .

مست شفتاه شفتيها فاستجابت له بوحشية لا صلة لها بالوداع اللطيف .

بدا مذهولا غير مصدق ، ثم قبلها بسرعة وعمق وهو يحتضنها بقوة ويداه تداعبان يديها ، بينما التف ذراعاها حول عنقه وأسلمت نفسها تماما لتلك العاطفة القاتلة .

أعاد صوت "جافن" "دان" إلى صوابه . كان ينادي عليه من البهو . تصلب "دان" وتحرك قليلا للخلف وهو يعدل سترتها التي كانت قد انفتحت قليلا.

ثم ضبط رباط عنقه وهو ينظر إليها بعينين خاليتين من التعبير . تدفقت الكلمات منها دون تفكير :

– خذني معك ! .

قال بصوت كالصقر ، في حين ضاقت عيناها وأجفلت كأنها تخشى أن يضربها :

– سأتزوج خلال أسبوعين فقط . لقد حضرت فقط كي أجعل الجميع يشاهدون "دافني" وأجري محادثات مع "الناشر" في لندن . وفي المستقبل سأعمل على بعد آلاف الأميال من هنا .

أخذت تتوسل وهي محطمة وخجلة مما تقوله :

– لست مجبراً على الزواج منها . كيف لك أن تقبلني بهذه الطريقة وأنت تنوي أن تتزوجها ؟ .

كان وجهه جامدا وقاسيا وهو يقول :

– أنت لا تعرفين الكثير عن الرجال يا "أنّا" . استجيبي لأي رجل بنفس طريقتك معي وسيقبلك أيضا بنفس الحرارة . أريد أن أتزوج "دافني" حتى لو لم أكن راضيا عن ذلك ، إنها حامل !".

انسحبت وشحبت فجأة ، واستدارت مبتعدة . قال لها بخشونة :

– إنك مازلت في السابعة عشرة ، وستتغلبين على كل شيء .

خرج عندما اقترب صوت "جافن" لدرجة الخطورة :

www.elromancia.com

- "هل وجدت "آنّا" ؟ .

سمعت السؤال وإجابة "دان" عليه :

- نعم وجدتها . وودعتها .

نعم لقد ودعها . لقد قال لها "وداعا" بأشد اللهجات قسوة ؛ لأنها من تلك اللحظة عرفت أن شعورها نحو "دان" لم يكن مجرد ولاء وحب طفل للتملك.

لن يندمل الجرح أبدا : ذلك الجرح الذي سببه لها . لم تتحرك من الحائط وهم يبتعدون عن حياتها .

ومع ذلك اندمل الجرح . لقد كان على حق تماما . لقد تحطمت إلى قطع صغيرة لفترة ، ولكن هناك الجامعة ، وهي حياة جديدة رغم إحساسها من الداخل بالصدمة منذ أن عرفت بأن "دافني" حامل ، وحتى وهي تعلم أن "دان" سيتزوجها . لقد تعثر فارس أحلامها وسقط ، وحولت أفكارها لأشياء جديدة وأشخاص جدد . إذا ظن "دان" أن باستطاعته أن يأمرها الآن فهو مخطئ .

ربما يستطيع غدا أن يزور محاميها وسيطلعه على الأخبار.

إنها مسرورة لأنها لم تخطره مسبقا . فهي لم تتلق منه إخطارا مسبقا أيضا بعزمه على الزواج .

كان القدر لها بالمرصاد في اليوم التالي . عندما استيقظت أحست بصداع رهيب ، وأخذت تتخبط حتى استطاعت أن تذهب إلى أسفل كي تعد لنفسها قدحاً من الشاي قبل أن يحضر أحد . حملت القدح إلى حجرة نومها وتناولت قرصي أسبرين وعادت إلى الفراش . وظلت مستلقية تحاول النوم ساعات قبل أن تسلّم بأن الفكرة كلها ميئوس منها .

كانت الساعة العاشرة صباحا حينما نزلت إلى الدور الأرضي . وكان "دان" يتمشى داخل المنزل .

كانت تستطيع أن تفهم بمجرد النظر إلى وجهه أن اللعبة قد انتهت . نظر إليها بحزم مشيراً إلى غرفة المكتب وهو يقول :

- هنا من فضلك !

قالت بسرعة وهي تصارع حتى لا يظهر القلق في صوتها :

- لم أتناول فطوري بعد . لقد استيقظت وأنا أعاني صداعا رهيبا فعدت مباشرة إلى النوم ، لقد عاد الصداع الآن مرة أخرى .

- بسبب الشعور بالذنب لا جدال ! . .

أمسك ذراعها ولم تجد أمامها أي خيار إلا أن تذهب إلى حجرة المكتب .

وارتعدت عندما صفق الباب . نظر إليها بفتور وقال :

- اتصل بي "ونترز" هذا الصباح وطلب مني أن أذهب لمكتبه . أعتقد أنك تعرفين "ونترز" ؟ .

- أتعني "إر" ؟ ... إنه المحامي .

كانت تحاول مراوغة نظرات عينيه الباردة التي كانت تعرفها . انتظر حتى واجهته ، وقد زاد يأسها من التغلب على الموقف مهما حاولت أن تتظاهر بالشجاعة . كانت عيناه قاسيتين ، قال بصوت ثائر :

- لقد كان لديك طوال ليلة أمس الفرصة لتخبريني عن الدور الرهيب المفروض عليّ أن ألعبه في حياتك ، وبدلا من ذلك احتفظت بصمتك تاركة الأمر كي أعرفه من "ونترز" الذي قال لي : "لاشك أنك علمت من "آنّا" أنك أصبحت الوصي عليها من الآن بعد وفاة والدك ؟ .

كان غاضبا لأقصى حد ، وكانت قد نسيت قدرته على تقليد أي صوت بسخرية. أضاف :

- لقد اضطررت أن أطلب منه أن يخبرني بالأمر كله مادمت لم تتكرمي وتعلميني . لماذا سكت عن ذلك ؟ .

قبض على كتفيها دون أن تتوقع . وتذكرت في هذه اللحظة مدى قوة "دان" :

- ظننت أنك ربما لاتريد أن تُثقل عاتقك بالأمر .

قال ساخرا :

- أوه ! لا شك أنك في جميع الأحوال تشكلين أثقل عبء عليّ . ومهما حدث فقد فات الوقت وأصبحت الوصي عليك ، وأنت تعرفين ذلك .

- إنني في الحادية والعشرين . والفكرة مضحكة . إنني أعرف تماما أنني لن أرث أموال أبي إلا بعد أن أبلغ الخامسة والعشرين . ولا يهمني ذلك أبدا .

www.elromancia.com

ووجود الوصي أمر لابد منه . وعندما اشترطت أمي ذلك الشرط كنت لاأزال طفلة . ولابد أنها لم تقصد أن تستمر الحال كل هذه المدة ."

قال بلهجة لاذعة :

- ربما كان لديها بعد نظر حول نوع شخصيتك عندما تكبرين ! .

شحب وجهها وأدارته بعيداً عنه بسرعة .

- اللعنة يا "أنّا" لماذا لم تخبريني ؟ .

قالت بمرارة :

- ربما كان عندي أنا أيضا بعد نظر . وربما كنت أعلم أن هذا المشهد الدرامي سيحدث . إن لدي مايكفي من المشاكل غير هذا . ما فائدة الوصي ؟ إنني قانونا بالغة رشيدة وأستطيع أن أفعل ما بدا لي .. وسأفعل ذلك .

غمغم وهو يستدير إليها ثانية :

- من سيوقفك ؟ لقد اعتنى بك أبي ولست الآن في حاجةإلى هذه العناية إلا إذا احتجت إلى من يراقبك .

بدا لطيفا بعض الشيء . فاكتسبت من ذلك بعض الشجاعة :

- أرجو أن تخبره أنك لاتريد ذلك يا "دان" .

أخذت تتوسل إليه وهي تنظر إلى عينيه الداكنتين . قال مقترحا :

- لست متأكداً من التعقيدات القانونية حول هذا الأمر . علينا أن نقول فقط إنني الوصي وننسى كل ماعدا ذلك .

- هل لديك نية أن تفعل ذلك ؟

اتسعت عيناها من الدهشة . وفجأة ابتسم لها :

- لم لا ؟ لقد قمت بالكثير دون أن أصحبك تحت نراعي في السنوات الأربع الماضية ، وحتى أنا لم أعد أعرفك جيدا .

- إنك لم تعرفني قط .

أفلتت منها العبارة قبل أن تتمكن من وقفها ، وحملق فيها بقسوة ، مما دفع الدم إلى وجنتيها . قال :

- إنك تظنين أنني لا أعرفك ؟ ربما .. ولكننا سنرى ! وستفاجئين بالنتيجة!

عزمت على الخروج ، بعد أن اعتبرت المقابلة قد انتهت وهي تهنئ نفسها على التخلص من الموقف بهذه السهولة ولكن صوته استوقفها :

- تعالي هنا ! .

لم تضايقها لهجته بقدر ما فاجأتها ، فعادت إليه وقد علت الدهشة وجهها ، أخذ ذراعيها ووضع كفه الثانية فوق جبهتها وقال بلطف والبهجة تبدو في خلفية عينيه :

- إنني أفحص الصداع . لست أعرف تماما ما هو عمل الوصي . ولكن الاطمئنان عليك أمر أساسي .

لم تكن مسرورة بالقدر المطلوب ، ولم تكن تريد أن تبقى بقربه في نفس الوقت . ومع ذلك فإذا كان سيلقي نكاته عن الوصاية فإن الفكرة قد تختمر في ذهنه ويقوم بالدور حقيقة . أعطته ابتسامة متحفظة لاتحتوي على أي سرور من أي نوع وكان هو الآخر قد اكتفى .

* * *

كان احتفاظها بابتسامة على وجهها في يوم زفاف "إلين" يتطلب منها جهدا هائلا . فخلال الأسبوعين السابقين للزفاف ، تعلمت "أنّا" كل يوم أن تلقي بقلبها وروحها في استعدادات الزفاف . لم تسترح لحظة واحدة وكأن القدر قد جنبها لقاء "دان" إلا وقت الغداء وأحياناً في المساء عندما تعجز عن إيجاد عذر يبعدها عن حجرة الاستقبال . لقد غيرتها سنوات أربع .

ولقد انقطع الرباط القوي الذي كان يربطها به ، ولم يحل محله شيء آخر . كان كالغريب بالنسبة لها ولم تكن لديها فكرة عما إذا كان هذا الشعور بسبب أنها كانت تشعر بعدم الاهتمام ، أم أن السبب كله يرجع إلى "دان" نفسه .

قالت لها "إدنا" :

- إنك ترهقين نفسك . ولا حاجة بك إلى أن تفعلي كل شيء بنفسك والآنسة "إلين" جالسة فقط تحلم ، في حين تقومين أنت بجميع الأعمال وفي نفس الوقت. قالت "أنّا" بحدة :

www.elromancia.com

- إنني أحبها .

ولكنها لم تكن تحبها ، وإنما احتاجت إلى ذلك . لم يشر "دان" إلى موعد رحيله وقد انهمك في تلقي مكالمات شبه يومية من الناشر أو من "مريكا" .

وكان ينفق وقتا طويلا في المكتب . ولكن حضوره كان هناك دائماً معها وحولها. في أية لحظة يقرر أن يتدخل في حياتها كانت تحس بالرعب .

إنها لاتريد أن تصبح مرتبطة ومتعلقة به مرة ثانية .

عندما أتى اليوم الموعود ، امتلأت الكنيسة عن آخرها ، وانتظرت "أنّا" في الخارج حتى تحضر العروس ، وقد انهمكت تماما في تهيئة فتاتين في سن العاشرة ستقومان بدور وصيفتي الشرف للعروس . كانت هناك المراسم الدينية. ثم حفل استقبال في أحد الفنادق الكبرى بالمدينة وبعدها ينتهي كل شيء . كما أن نهاية الإجازة قد اقترب بسرعة . آه لو استطاعت أن تتحمل فقط الأسبوعين القادمين ! لم تكن "إلين" قد لاحظت بعد العداء الخفي بينها وبين "دان" . إذا اكتشفت ذلك فسيؤلمها كثيرا ويكفيها ما لديها من جراح . لقد كان بالنسبة لـ"إلين" عملاقا . ولايزال تماما كما كان في نظرها يوما ما .

بدت "إلين" جميلة وهي تصل بصحبة عم "دان" ، وأنفقت "أنّا" بضع لحظات تضبط إكليل العروس قبل أن تبدأ الموسيقى في العزف ، وداخل الكنيسة لم ترغب النظر إلى "دان" مع أنها كانت تعرف مكانه ، لو كانت ساحرة لاستطاعت أن تجعل روحها تسيطر عليه . فيم يفكر الآن ؟ هل كان يفكر في يوم زفافه هو؟ وهل كان نادماً لأن "دافني" ليست موجودة اليوم ؟

كان في الصف الأول من مقاعد الكنيسة ، وعندما مرت به "إلين" استدار ببطء وقد مر بعينيه دون سرور على ابنتي أخت العريس ، ثم رفعهما لينظر مباشرة إلى "أنّا" . لم تتوقع ذلك وتجمدت عيناها للحظة . كانت "إلين" قد اختارت ألوان الثوب بناء على نصيحة "أنّا" ، كانت وصيفتا الشرف قد ارتدتا ثوبين من الحرير الأبيض "الأورجانز" الموشّى بزهرات خفيفة منثورة حتى كادت تختلط بقماش الثوب . كما كان ثوب الزفاف طويلا خلفها وقد أمسكت به الفتاتان الصغيرتان أما ثوب "أنّا" فكان من الحرير باللون الوردي ، وقد بدت ببشرتها

النحاسية وشعرها الفاحم الطويل وكأنها وردة متفتحة .

كانت تبدو جميلة بشكل غريب . عندما نظر إليها "دان" لم يتغير فيها شيء. كانت تحس شيئاً داخلها يكرهه ، ولم تكن لترتاح معه حتى ولو للحظة .

سحبت نظرها بعيداً ، وخطت إلى الأمام كي تأخذ باقة ورد العروس ، وقد أجبرت عقلها على التركيز على واجباتها كرئيسة لوصيفات الشرف .

ولكنها تحس نظرات "دان" تخترقها وهي توليه ظهرها ، وبدأت المراسم .

عندما انتهى الاحتفال الكنسي ، سارت إلى نهاية الممر وقد وضعت يدها في يد شاهد العريس ، وتجنبت بحرص النظر إلى أي شخص ، وكان عقلها يقول لها باستمرار إن كل شيء انتهى . جرى التقاط الصور حول الكنيسة ، وأمكنها عندئذ أن تذوب بين الحشد .

وما إن فعلت حتى أصبحت محط أنظار الجميع . عندما استعد الجميع لالتقاط صورة الأسرة رفعت عينيها ، فوقع بصرها على "برايان" كان مرتدياً الملابس الرسمية، وكان يقف على باب الكنيسة وهو يحاول لفت نظرها .

نادت على "برايان" واستأذنت المصور لدقيقة . طارت عبر النخيل وقد وضعت يدها على أعلى ثوبها وقد أضاء وجهها بالمرح والراحة . لقد جاء "برايان" كي ينقذها . بارك الله فيه ألقت بنفسها بين ذراعيه ، واحتضنها بشدة وقد أضاءت ضحكة وجهه . صاحت :

- لقد قلت إنك لن تستطيع الإفلات من العمل .

- لقد قمت بخدعة وعمل إضافي . لوكنت أعلم أني سألقى هذا الترحيب لألقيت لهم باستقالتي .

صحبها بعيداً وهو ينظر في وجهها ، وأحست هي بعاطفة جامحة تجاهه ، حتى أنها شدت قامتها وقبلته أمام الجميع . تساءلت : لماذا لاتقع في حبه ؟ لماذا لم تفعل ؟ لقد كان لطيفا للغاية وحنونا لأقصى حد ، ولا يوجد أي أثر للقسوة عنده قال لها :

- هل ستضمينني إلى إحدى هذه الصور الجماعية ؟

ابتسم لها وعادت إلى واجباتها كرئيسة وصيفات الشرف في حفل العرس ،

www.elromancia.com

ولكنها ظلت تمسك يده بقوة وكأنها تعطيها الحياة والأمان من "دان" ومن أحاسيسها غير المريحة .

بدا وكأن كل شيء يسير على مايرام . أصبح "برايان" محط الأنظار لمدة طويلة . وأجبرت نفسها على تقديمه لـ"دان" . قالت بابتسامة دافئة وجهتها إلى "برايان" وهما يقفان أمام "دان" بعد فترة :

- هذا هو "برايان" الذي حدثتك عنه "إلين" .

كانت لا تزال مشبكة ذراعها بذراع "برايان" ، وكان وجهه يلمع من السرور . لم يكن غالباً يحظى بمثل اهتمامها هذا رغم خروجهما معا باستمرار .

قال "برايان" بابتسامة ساخرة .

- "دان تورين" المشهور .. لقد قرأت كل كتبك ! .

ازدادت ضربات قلب "أنّا" عند سماعها قول "برايان" . كانت تخشى أن يقول إنه استعارها منها . ولكنه لم يفعل ؛ كما لم يُظهر "دان" امتنانه لتقدير "برايان" له ، بل قال بإيجاز :

- شكرا . فإن هذا يزيد من المبيعات ! .

تحركت عيناه بسرعة إلى وجه "أنّا" المتألق . كانت تفيض حيوية ، وتهنئ نفسها على قدرتها الهائلة على التمثيل .

- على كل فإنني سعيد بوجودك هنا . وهذه أول مرة منذ حضرت إلى المنزل أرى "أنّا" وقد عادت إلى الحياة . لقد بدأت أتساءل عما إذا كانت مريضة ولكن من الواضح أنها كانت في شوق زائد .

ألقى عليها نظرة ساخرة متهكمة ثم ذهب ، ونظر "برايان" إلى وجهها وهو يرى الحيوية تنسحب منه ويحل محلها غضب مستتر . سألها في قلق :

- هل قلت شيئا خاطئا الآن ؟ وهل المزح لم يكن في موضعه ؟

غمغمت وهي تنظر بعيدا عن نظرات "برايان" المتسائلة :

- "أنّا" .. إنه ليس الوقت المناسب لـ"دان" فهو لم يستطع حضور الجنازة وكل ماحدث بعد ذلك . لقد أصر على أن تسير الأمور في مجراها الطبيعي . ولكن لابد أنه يحس بالحزن .

قالت لنفسها إن ذلك ربما يكون الواقع ، وربما ظنت أن "دان" لم يكن يريد منها أن تظهر كل ذلك السرور بعد وفاة "جافن" . ربما يكون ذلك التشدد الغريب في مظهره هو حزن لايستطيع إظهاره . طغى عليها شعور كريه من الانغلاق ، وتحولت كي تتحدث مع "دان" ولكنه كان بالفعل قد ابتعد .

وعلى أية حال لقد كان متوتراً معها مثلما كانت هي معه .

من يستطيع أن يتنبأ برد فعله أمام من يتعاطف معه ؟

لم يكن هناك تقارب مع "دان" . وهي لم تكن ترغب في هذا التقارب .

www.elromancia.com

الفصل الثالث

استمرت "أنّا" في حفل الاستقبال نشطة ، تبتسم وتثرثر مع الجميع وتسحب "برايان" من مجموعة إلى الأخرى حتى بدأ يتذمر . كانت "إلين" ، ممتنة ولكن القليل من الناس كان ينظرإليها نظرة استهجان ، بينما كان "دان" يظهر لامعا مرموقا.

كانت تتجنبه معظم الوقت . وتغير اتجاهها عندما ينظر إليها ويكون على وشك الحديث معها . وأخيرا ذهبت كي تغتسل وتستعيد نشاطها . وعندما خرجت من الحمام كان "دان" في انتظارها .

كان مقطبا لدرجة أنها خشيت أن يكون شيء قد حدث أثناء غيابها . سألته :

– هل حدث شيء ؟

قال بجدية :

– ليس بعد ! إنك مازلت على قدميك بمعجزة ، لم أشاهدك تجلسين وتستريحين لمدة أسبوعين واليوم توجت كل هذا . ما الذي يحدث معك ؟ .

– لا .. لماذا ؟ إنني أستمتع بذلك .

كان اهتمامه بها صدمة لها ، وكانت تحاول أن تقوم بدور يبعدها عنه ، ولكن "دان" لايسهل خداعه . قال بحدة :

– عليك اللعنة ! إنك تتألقين كمصباح الكهرباء الموشك على الانفجار .

– لا أستطيع أن أجلس بينما هناك الكثير يجب على أداؤه ..

أخذ ذراعها ولم يدعها تكمل :

– لم يقل لي أحد إن من المتوقع أن تكوني أم العروس والمشرفة على الكنيسة ومسؤولة التغذية والتموين في وقت واحد . لقد ظننت أنك فقط رئيسة وصيفات الشرف .

احتجت وهي تنزع ذراعها من قبضته :

– أريد أن تحظى "إلين" بيوم جميل .. وإذا لم أستطع الاستمرار فيمكن

لـ"برايان" أن يواصل ...

– ارحميني يا "أنا" !

أصبح وجهه فجأة متصلبا ، واشتدت قبضته على ذراعها لدرجة القسوة وهو يكمل :

– إن "برايان" محاط بمجموعة من الجميلات ، وكلهن يرمقنه في دلال . ومع ذلك فلا تقلقي عليه ، فمن المحتمل أن عينيه لم تتركا الباب لحظة واحدة ، ولا يبدو أنه يريد النظر إلى أحد غيرك سواء أكنت أمامه أم غير موجودة . ولا دخل له بتمثيليتك .

كان يتهكم بمرارة . وظهر الضيق على وجه "أنّا" المعبر . كان على وجهها قدر كبير من التوتر وفي صوتها كذلك ، بينما ألقى نظراته عليها بعدما تحولت قبضته من القسوة إلى الحنان . قال بنعومة :

– إنك جميلة للغاية .

رفع يده ببطء كي تلمس وجهها ، ومست أصابعه الطويلة بشرتها ، بينما سرت في جسدها شحنة من الانفعالات والأحاسيس سببت لها الرعب .

– أرجوك يا "دان" .. إنني متعبة .

كان يصعّب الأمور عليها . لقد اعتبرته بالفعل غير موجود . لقد انتهى كممثل أعلى بالنسبة لها منذ أربع سنوات مضت . لم تعد تحس بالألم الآن ولكنها تذكرته ، فجاء صوتها باردا وقاطعا .

أكد لها بعدوانية :

– أعلم هذا ، وليس لي حق المساعدة . أليس هذا ما تريدين أن تقوليه لي بطريقة لطيفة ؟ من المفروض أنني الوصي عليك الآن . أليس كذلك ؟ "

ثم أضاف :

– لقد سألت نفسي لماذا أترك الوظيفة حتى ولو كنت مايسمونه في الأفلام الرومانسية "الجمال السماوي" .

أخذ كل منهما يحملق في الآخر ، ثم لان وجهه وبدأت عيناه تبتسمان . قال بتصميم :

– ستذهبين لتناول الطعام . وسأجلس بجانبك لأتأكد من أنك تأكلين مايكفي كي تستمري على قيد الحياة ، ويمكنك أن تنهاري عندما تعودين إلى المنزل .

لقد وضعها بين شقي الرحى . من الصعب أن تغضب مع شخص يبتسم في عينيك ؛ ولكن ليس مع "دان" . وبذلت جهدها كي تظل طبيعية وكي تبدو وكأن لديها الرغبة في أن تكون على سجيتها عندما اقتادها عائداً إلى الغرفة الرئيسية ، وظل يوجهها ناحية "البوفيه" . سألها ببلاهة وهما يأكلان :

– ماذا تبقى أمام حبيبك من وقت ؟

– الآن ! حقيقة ! وعليه أن يرجع إلى عمله الليلة .

كان من الصعب عليها أن تمثل دور الفتاة المدلهة بحب "برايان" ولكنها حاولت ذلك . كانت غريزتها تنبهها إلى ضرورة وضع "دان" عند حده بصرامة ، فلم يعد مكانه بالقرب من قلبها . لقد انتهى ذلك منذ وقت طويل . عادت العينان الضاحكتان إلى السخرية ، قال بتهكم :

– ستقعين في المصيدة لو سافرت عبر البحار أو عملت في الحكومة . ماذا سيصنع "برايان" ؟ يصحبك ويتعلق بأذيالك ؟ .

قالت "أنّا" بحدة :

– إنه ليس من النوع الذي يتبع المرأة .

– ولكنه يبدو مخلصا للغاية . ربما ربط حياته بك ! .

– إنك تشبهه بالدودة ، وهو ليس كذلك .

غمغم "دان" في صوت لحوح :

– كل شيء يخصك يثيره . أنت جميلة للغاية وكلك حيوية ولكنكما لاتبدوان منسجمين .

وقفت "أنّا" فجأة ووضعت طبقها على المائدة ولم تكد تمس طعامها . أكدت بحزم :

– لقد شبعت ! .

أضاف إلى قولها وبنظرة خبيثة إلى عينيها المشتعلتين :

– وغاضبة أيضاً ! إنني أفضلك غاضبة عن أن تكوني متحكمة في نفسك وهذا

يؤكد لي أنك مازلت حية ، وبصفتي الوصي عليك فإني في حاجة إلى معرفة ذلك .

– لقد تعهدت أن تنسى الأمر برمته .

– فيما عدا العناية بك .

نكرها بذلك بهدوء . دارت بنظرها حولها ، سارت وثوبها الوردي يهتز ويتلألأ ، وذهبت بحثاً عن "برايان" . ماالذي كان "دان" يحاوله ؟ لقد أعطته سببا كي يشك في أنها لاتشعر بأي شيء على الإطلاق . لم تفعل ذلك ؟ كان ذلك منذ أربع سنوات مضت . ولكنها مرت كلحظة انفجار مجنون لعاطفة مشبوبة . بالتأكيد لابد أنه يتذكرها في تلك اللحظة ، إذا كان يتذكرها أصلاً !

عادت لتفعل بالضبط ما كانت تفعله من قبل : تستنفد طاقتها . ظلت عيناه الداكنتان مركزتين على "برايان" وهو يلتصق بها تماما .

* * *

كان البيت رهيبا بدون "إلين" ومع ذلك كان من المناسب لـ"أنّا" أن تبقى بمفردها ، لقد كان لديها بالفعل عمل تؤديه استعدادا للامتحانات النهائية . وكانت تقضي معظم وقتها في هدوء بحجرتها . كان "دان" قد بدأ كتابة كتاب جديد ، وبدا مسرورا ومكتفيا بعمله في "لانجفورد هول" في المكتبة . نادراً ما كان يتحدث معها أثناء طعام الغداء ، وكان يعتذر بقوله إنه عندما يبدأ الكتابة ويندمج فيها فإنه نادرا ما يتكلم ، وكان هذا يناسبها تماما . كان الوقت يمر سريعا . وأصبحت تستذكر كل الوقت ونصف عقلها يركز على المراجعة . وإن كان مجرد معرفة أنه موجود بالبيت كان يُصعّب عليها الأمور .

كانت تسير في الغابة بعد صباح من العمل الشاق عندما التقت بـ"دان" . وكان واضحاً أنه أتى كي يبحث عنها ، كان أمرا سخيفاً . إنهما نادرا ما يتحادثان في الوقت الحالي . قال بإلحاح وهو يخطو نحوها :

–"لا يمكن أن تستمري على هذه الحال يا"أنّا" ، سواء أكان هذا بسبب الامتحانات النهائية أم لا فإن هذا الضغط الذي تمارسينه على نفسك سيحطمك

www.elromancia.com

وستمرضين".

استطاعت أن تقول من بين أسنانها :

- ليس هناك مايدعوك للقلق عليّ .

كانت قد فكرت في أن تجري بأقصى سرعتها عندما رأته ، ولكن هذا لم يكن يؤدي إلا إلى نتيجة سيئة . كان قد صمم على الحديث معها ، وكانت تعرف أن بإمكانه أن يمسك بها .

- هناك سبب مهم للقلق عليك . فنزلة البرد التي تعانيها لم تنته بعد . إنك قليلاً ماتتركين غرفتك . وتأكلين قليلاً . وهذه النزهة هي الامتياز الوحيد لصحتك . لقد كنت دائما مليئة بالحياة . وأنت الآن تذبلين أمام عيني .. طمأنته "أنّا" :

-"إنه فقط هذا الأسبوع . وكل طالب سيعود الآن إلى الدراسة موجها نفسه للامتحانات النهائية وسأعود إلى الجامعة يوم الجمعة ."

- لاتبدو عليك الصحة بحيث تستطيعين العودة .

- ومع ذلك سأعود وقد تعودت على اتخاذ قراراتي بنفسي ، وعلى أية حال فإن ذلك سيعطيني الوقت كي أكون مع "برايان" قبل أن تبتلعني الامتحانات . بقي صامتا ثم تملكه التوتر فجأة . سألها دون أي توقع منها :

-"هل ستتزوجينه حقا ؟ وهل كانت "إلين" على حق عندما قالت إننا سنسمع أجراس الزفاف قريبا ؟ .

قالت "أنّا" بصوت جاف :

- في هذه اللحظة أنا و"برايان" مشغولان للغاية على ما أعتقد .

كانت فكرة الزواج قد جعلتها في حالة توتر داخلي . لقد كان الزواج نهائيا بالنسبة لـ"دان" . لم تسأله قط عما إذا كان سيتزوج . لقد أخبرها في عبارات مبهمة عن مشاريعه للمستقبل منذ أربع سنوات مضت .

- هل تعيشين معه ؟

قطع السؤال أنفاسها ، وكان عليها أن تبلع ريقها بصعوبة قبل أن تجيب بغضب وقد وقد اكتسى وجهها بحمرة الخجل والضيق ، ولكنه لم يبد عليه أنه يلاحظ ذلك :

- إنني أعيش بمفردي .

- إنني مدرك لذلك ، وليس هذا ما أعنيه .

شاب صوته نغمة قاسية أدهشتها . افترضت أنه يحاول حماية مهمته الجديدة وأنه أعطاها أكثر من حجمها . امتلأت غضبا . إنها لم تكن بحاجة إلى أن يتدخل "دان" في حياتها . كان يبدو مسروراً لعدم وجود زوجته معه . ويستطيع أن يستمر في الكتابة . دارت حول نفسها ثم واجهته :

- أتعني أنني أنام معه ؟ إن ذلك ليس من شأنك . لم أسألك أسئلة شخصية . وما نفعله أنا و"برايان" من شؤوننا الخاصة ، وكل منا يحب الآخر ". لم يكونا في الحقيقة يحبان بعضهما البعض . لقد كانا مغرمين ببعضهما ويمكن أن تسميه صديقها المقرب " ولكن كلاً منهما كان مشغولاً للغاية بعالم التعليم . لقد كان ما بينهما مجرد ترتيب مريح . وسار الأمر كذلك لمدة عامين .

وكانا يخرجان معا عادة مع بعض الأصدقاء الآخرين . ولم تكن لتسمح لـ"دان" أن يكتشف ذلك . لم يكن هناك طريقة يتخيل بها أنها مازالت متعلقة بذكرى ما حدث منذ أربع سنوات . أمسك بكتفيها بقوة وأدارها كي تواجهه عندما كانت على وشك الرحيل .

- أتحبان بعضكما البعض ؟ هل هذا هو الواقع ؟ إنه يبدو غير قادر على السيطرة عليك .

لا ! لقد تحققت أنه يعتبر "برايان" مجرد صبي ، وكان ذلك ظاهراً تماماً طوال فترة الزفاف . قالت في كراهية :

- نعم . إننا نتبادل الحب ، وهذه هي القضية وأنا لست في حاجة إلى من يسيطر عليّ .

قال بهدوء :

- من الواضح أنك كنت تفعلين ذلك دائما ، ولكن ليس عند وجودي .

قالت "أنّا" في صوت مشدود :

- لقد كنت أخافك ، وكنت أعتبرك فتى ضخماً خطراً .

قال بموارية ، وقد تصلبت قبضته :

www.elromancia.com

– في كل الأوقات ؟

كانت أصابعه الطويلة تتلمس رقبتها النحيلة ، وأحست أنها غير قادرة على التنفس وقالت :

– عندما كبرت تحققت من أنك لست عملاقا . وأنا حقيقة لا أعرفك الآن على الإطلاق ، فالناس يكبرون فتختلف طباعهم .

– نعم ! فلا يتشابه الناس . فالحياة تتغير وليس دائما إلى الأفضل . لقد رحلت بعيدا كي أكون ثروة ونجحت . وفي سبيل تحقيق ذلك فقدت حياتي .

أسقط يديه واستدار ناحية الممر ، وأحست مرة ثانية بغريزة الدفاع عن النفس لقد فقد والده . وهي تعلم ماذا فعل ذلك بها وكان الأمر أسوأ بالنسبة لـ"دان" .

فجأة وجدت نفسها ممزقة من تأنيب الضمير ناحية "دان" وارتفعت يدها كي تلمس ذراعه :

– أوه ! يا "دان" !

نظر إليها لحظة طويلة ثم ابتسم وغطت كفه أصابعها . قال فجأة :

– أوه باللعنة ... لا مستقبل للأماني .

لف ذراعه حول كتفيها ، وأدارها ناحية الممشى وصحبها حتى المنزل وهو لا يلاحظ أبدا النظرة التي علت وجهها .

ارتعدت عندما عادت إلى الماضي لثوان . إنها لن تعود إلى الماضي ، وهي لاتحس الآن نفس الإحساس . سألته بعد فترة :

– متى ستعود إلى جزر "الباهاما" وجزيرتك الصغيرة ؟

كانت تحاول أن تعيد الحديث إلى الوضع العادي وفي نفس الوقت تتمنى أن يذهب "دان" إلى أبعد مسافة ممكنة . أجاب بهدوء :

– عندما تستقر الأمور . أستطيع أن أعمل في "لانجفورد هول" بهدوء وسهولة. كل ما أحتاج إليه آلة كاتبة ، وهي عادة لاتبعد عني . أريد تسوية كل شيء عند عودة "إلين" من شهر العسل . وسأمكث حتى تنتهي الامتحانات النهائية .

– لا ! ليس هناك حاجة إلى ذلك ، ولايتحتم عليك أن تأتي لزيارتي في "أكسفورد" .

كان في صوتها لهفة غير عادية : فتجمدت نظراته وتصلب جسده وسقط ذراعه بعيداً عنها . قال بفتور :

– لم تكن لدي أية نية لعمل ذلك . إنني أفهم أنك ستكونين مشغولة ولا تستطيعين الاستغناء عن دقيقة واحدة من وقتك إلا مع "برايان" ، وسيسعدني تماما أن أتلقى منك مكالمة هاتفية إذا احتجت أو احتجتما إليّ .

قالت بلهجة لاذعة :

– لقد ظننت أن زوجتك تحتاج إليك . فكلما مكثت هنا مدة أكبر زاد افتراقكما عن بعضكما . وقبل كل شيء فلقد استطعنا أن ندير شؤوننا بدونك مدة أربع سنوات ، وثلاث سنوات قبلها .

– إنني مدرك لقلة زياراتي . ولو أنني كنت هنا كثيرا في السنوات الأربع الأخيرة لرأيت والدي وقتا أطول . وأعترف بإهمالي . ومع ذلك فإنني لا أهمل زوجتي . لأنه ليس لي زوجة !

حذرتها لهجته من أن تضيف لأقواله شيئا . ولكنها وقفت وقد فغرت فاها ، فتوقف هو أيضا واستداركي يواجهها ببرود . قالت بذهول وعقلها يسرع كي يستوعب ما قاله :

– أنت ... لقد قلت إنك ستتزوج "دافني" ؟ لقد كانت تلبس خاتما كبيرا و ....

أخبرها بنفاد صبر :

– في النهاية لم نحقق ذلك .

وقف هناك واضعاً يده في جيبه ينظر بعينيه الساخرتين المتهكمتين .

تصاعدت الدماء في رأسها عندما فهمت لماذا هو قاس إلى هذه الدرجة .

لقد كانت "دافني" حاملاً ومع ذلك ... لم تتصور قط أن "دان" يمكن أن يتخلى عن أحد . هل كان يعلم عندما جاء هنا منذ أربع سنوات أنه لن يتزوج "دافني" المسكينة ؟ وكم غيرها فعل معهن ما فعله معها ؟ وهل هذا ما تصنعه للإنسان الحياة في عالم الشهرة والأضواء والأفلام ؟ أم أنها كانت صغيرة جدا عن أن تكتشف حقيقة أخلاق "دان" ؟

لابد أنه ظنها صغيرة وغبية ، وأنها لاتزال تؤمن بوهم الحب ، أوربما ظن أن

www.elromancia.com

رأسها مملوء بالأفكار الأكاديمية النظرية والرغبات الطموح في أن تعمل في الحكومة أو البنوك ؟

قالت بفتور :

– إذن ما دمت حرا ولاقيود زواج عليك ، أتظن أن بإمكانك أن تفعل ماتريد ؟ من اللطيف أن نعلم أن هناك شخصا مابجانب "إدنا" في القصر .

– وماذا يهمك ؟ لقد فهمت أنك لن تعودي ثانية .

ردت عليه "أنّا" :

– ليس هنا ما يستدعي عودتي من أجله . فالناس هم الذين يكونون البيت وليست مجموعة من الأحجار القديمة .

قال بلهجة لاذعة :

– لقد زرت أماكن عديدة ، ولم أزر قط أحجارا قديمة ، ولا يدهشني ذلك ، وأعتقد أن الجزيرة هي بيتي الآن ، عندما رحلت "إلين" ذهب آخر مصدر دفء من "لانجفورد هول" ولماذا تهتمين بالإبقاء على البيت يا "أنّا" فلا أنا أحس بالترحيب بي ، ولا أنت ترغبين في أن يرحب أحد بك .

عاد متجها إلى المنزل وكلماته تمزقها ، هل يظن "دان" أنه غير مرغوب فيه ؟ لقد أحبته وقد هبط من منزلته كفارس للأحلام . وكان آخر ماكشف عنه يؤكد أنه لم يكن ماكانت تظنه عنه وتخيلته ، ولكن هناك ذكريات كلها عن "دان" .

نادته بصوت خافت ، فنظر حوله ثم ثبت عينيه عليها ورأى كل شيء على وجهها .

قال :

– شعور بالشفقة ؟ إنني لا أريد ذلك حقيقة ، ولا أريد مجموعة من الأحجار القديمة أيضا .

قالت له بمرارة وقد أزاحت لهجته المتهكمة كل ما أظهره من لطف :

– بعه إذن .

قال بنعومة :

– أوه ! لا ؛ لقد كان ملكا لآل "تورين" من أجيال بعيدة ويوما ما سيوجد جيل

آخر . لم أتزوج حتى الآن ولكني سأفعل . بالإضافة إلى أنك توسلت إليّ ألا أبيعه منذ أسبوعين فقط . إذا كان قلبك سريع التغير إلى هذه الدرجة ، فمن المؤكد أنك سترجعين عن رأيك مرة أخرى ، ولما كانت "إلين" قد تزوجت فلن يبقى إلا أنا وأنت . سنترك الأمر حتى يستقر رأيك وسنناقش الموضوع عندئذ .

قالت "أنّا" وهي مشدودة :

– عندما أتزوج سيصبح لي بيتي الخاص .

قال "دان" بنعومة :

– دعيني أعرف عندما يأتي ذلك الحدث . لاشك أن صديقك الطبيب لن يتحمل ذلك ، ولكنك ستحصلين على إرثك ، وإذا عملت في الحكومة فمن يدري ؟ قد أبيعه لك .

* * *

أراد أن يصحبها في سيارته إلى "أكسفورد" ولكنها رفضت ؛ فقد كان لديها سيارتها الخاصة على أية حال ، وظنت أنها لن تستطيع أن تتحمل مسافة طويلة مع "دان" الصامت تماما بجوارها ، هز رأسه وتركها لحال سبيلها فذهبت وهي لاتحس بشيء سوى البؤس والشعور بالذنب . بدت الرحلة وكأنها بلانهاية وأصيبت في الطريق بنوبة سعال ، بينما تفاقمت نزلة البرد .

* * *

كان طبيعياً أن تعود إلى زملاء الدراسة ، رغم أن ما كان لديهم من وقت للحديث كان قليلاً ، فقد كانوا متوترين وأظهروا ذلك بمختلف الطرق .

ومن بين مجموعتها الصغيرة من الأصدقاء كان القليل منهم يرغب في الخروج . وقد انضمت إليهم في أمسيات الأسبوع الأخير قبل الامتحانات في لقاءات ترويحية يتناولون فيها "البيتزا" في مطعم المدينة الصاخب ، وهو مكان تجمع الطلبة في وقت الدراسة . عقدت النية على الشفاء من نزلة البرد لكنها رفضت أن تتركها وازدادت التصاقا بها يوما بعد يوم . لم يكن أحد يلاحظ شيئا ؛ فقد

كانوا في شدة الانشغال والقلق .

قررت في آخر عطلة أسبوعية أن تجعل من يوم الجمعة آخر يوم تخرج فيه . لو كانت عاقلة لأمضت تلك الأيام في الفراش ، ولكنها لم تشعر بأنها عاقلة .

لقد هزها الوقت الذي قضته مع "دان" أكثر مما تعترف به ، وكل لحظة قضتها وحيدة كان يتسلل إلى أفكارها . لم تكن لتستطيع أن تسمح له بأن يعود إلى أفكارها ثانية .

كانت ليلة الجمعة أكثر صخباً عن المعتاد ، حيث أخذت الأعصاب تثور وتشتد ، ولكن "أنّا" لم تشعر بالمرح الذي كانت تتوق إليه .

كانت الضجة تدوي في رأسها ، والدخان جعل الدموع تنساب من عينيها وأحست أنها في حاجة إلى من يعاونها حتى تعود إلى حجرتها . لم يكن من المجدي أن تطلب "برايان" ، إذ كان في نوبة عمل كعادته ، وكان سيكتفي بإلقاء محاضرة عليها بسبب إهمالها علاج نزلة البرد .

لم تكن قد رأت "دان" منذ فترة إلا عندما وجدته يطل وهو مبتسم ، فابتعدت عنه بغباء وحاولت أن توحي إليه أنها كانت منهمكة في ذلك المرح المصطنع ، لم تكن تستوعب أنه بالفعل "دان" وربما ظنت ماتراه سراباً ، ولكن عندما أغلقت عينيها ثم فتحتهما وجدته لا يزال في مكانه وقد تملكه غضب لم تره من قبل .

اقترب منها وأمسك بذراعها ثم أجبرها على الوقوف على قدميها . رأت على وجهه من بين الضباب أشكالاً عدة من صور الاحتجاج والثورة :

- تعالي معي !

قال أحدهم :

- هاي "أنّا" ... من هذا الرجل الخارق ؟

- اتركها ياسيدي !

انفجر الجميع في الضحك . ولم يحاول أحد أن يمنعه . كانوا في مرح صاخب. وتبين لها أنها لو تعرضت للخطف في تلك اللحظة ، لما استطاع أحدهم أن يتمالك نفسه لإنقاذها .

نعم إنها تتعرض الآن للخطف ! حملها "دان" إلى الباب ، ومنه إلى الهواء

الطلق، حيث أخذت تسعل دون أن تقوى على السيطرة على سعالها .

كان حنانه غائباً عنه تماماً . انتظر وصبره يكاد ينفد ، ثم عبر بها الشارع وهو يكاد يجرها حتى وصلا إلى سيارته . وهي السيارة التي كانت معه عندما جاء إلى "لانجفورد هول" .

- ماذا أنت فاعل ؟ ولماذا أنت هنا ؟ إنني لا أريد أن ...

- ادخلي السيارة !

لم يكن في حاجة إلى تلك العبارة ، فقد دفعها إلى داخل السيارة . ولم تمر ثوان إلا وكان يقف بسيارته في مكان الانتظار أمام أحد الفنادق الكبرى .

لم يكن إخراجها من السيارة أمرا صعباً أيضا ، فقد جذبها دون مجاملة ، ومست قدماها الأرض بصعوبة ، وكاد يحملها وهو يعبر الباب الدوار ، ومنه إلى باب الاستقبال ، ثم إلى ردهة متسعة .

كان "دان" كريها أكثر من أي شخص ، ولم تكن قد استردت أنفاسها من صدمة وصوله المفاجئ وحدث ذلك عندما وجدت نفسها في حجرته ، وسمعته يطلب قدح (قهوة سادة) في الحال .

وقفت على ساقيها المهتزتين وهي تنظر إليه في تصميم وثورة :

- ما هذا الذي تفعله ؟

كانت نظراته أكثر غضباً وثورة :

- سأتكلم معك عندما تشربين بعض القهوة ويصبح نظرك غير مهتز .

وضع كل شيء أمامها بسرعة مذهلة :

- أتظن أنني شربت وفقدت اتزاني ؟

قاطعها بحدة :

- إنني أعرف ذلك .

- لقد أخطأت ، وهذه هي المرة الوحيدة في حياتك التي تخطىء فيها ، لقد تناولت كوباً من عصير الليمون المثلج ولاشيء آخر ويمكنك أن تغير طلب القهوة إذا كنت طلبته لي . أنا لا أحب (القهوة السادة) !

نظر إليها بقسوة ثم رفع سماعة الهاتف وغير الطلب إلى " شاي" . جلست

mohamedelromanaa.com

"أنا" بعد أن خانتها ساقاها أخيرا . أنبها وهو يطل عليها من أعلى مرة ثانية :

– ماذا كنت تفعلين مع عصابة المشاغبين تلك ؟

– إن عصابة المشاغبين هم طلبة يروّحون عن أنفسهم قبل الامتحانات النهائية الرهيبة ، لقد كنت طالباً في يوم ما . وعلى ما أعتقدَ فإنك لم تفعل شيئاً مماثلاً!

سألها وما زالت أمارات الشك فوق وجهه متجاهلاً ملاحظتها السابقة :

– هل كان "برايان" معك ؟

– لم يكن هناك ، فهو يعمل كالمعتاد ، ماذا تفعل هنا يا " دان" ؟ إذا فكرت أنني سأخضع لهذا الهراء الخاص بالوصاية إذن ....

– لقد أتيت كي أودعك ، إنني عائد ثانية إلى جزر " الباهاما " وإلى جزيرتي... استدار بعيداً عنها ، فسقط رأسها وتسابقت ..... انفعالات من اليأس والخيبة على وجهها فتأوهت .

عندما سمعها تتأوه استدار وعاد إليها وقد ضاقت عيناه ، قال :

– لم أتخيل لحظة أنه كان عليّ أن أرسل لك تنبيها بموعد رحيلي مسبقاً ، ولم أعرف أنك ستحتفلين بالمناسبة .

رفعت رأسها ونظرت إليه بعينين غائمتين وهي تغمغم :

– لقد أخبرتك ماذا كنا نفعل !

سألها بفتور :

– لأي سبب ؟ لست في حاجة إلى وصي ، ولسنا صديقين ولاقريبين ، فماذا نحن إذن بحق السماء ؟

ما إن تلتقي حتى تنشب بيننا معركة ، وليس هناك سبب لأن أبقى إذن .

نظرت بعيداً وهي تقول :

– أعتقد .. لايوجد سبب .

جاء بعد لحظة وأدار وجهها وسألها :

– هل أكلت ؟

– لا .. لا ، فأنا لا أحب البيتزا و ....

لم يكن منصتا ، رفع سماعة الهاتف وطلب سندويشات مع الشاي .

– إنك ستغضبهم ، فلابد أن الشاي في الطريق إلينا .

ابتسم "دان" وطمأنها :

– لايهم ، طالما لم يعبروا بوجوههم عن هذا الضيق ، فإن الأمور ستسير على ما يرام .

– كيف وجدتني ؟

كانت تراقبه وهي شبه مخدرة بينما نظر إليها في توتر :

– لقد سألت عن مكان تجمع الطلبة ، وعليه تتبعت ضجتهم .

– ولماذا أرهقت نفسك ؟ كان بإمكانك أن تكتفي بإرسال بطاقة بريدية من جزر " الباهاما" .

كان التوتر مؤلما ، حتى إنها تكلمت بفتور ومن بين أسنانها :

– فكرت أنه قد يكون من الأفضل أن تتأكدي بنفسك من رغبتي في الرحيل ، ويمكنك الحضور إلى المطار إذا رغبت كي تتأكدي بنفسك من رحيلي ، وبهذه الطريقة تصبحين حرة .

"حرة" .... إنه يقصد وحيدة ، نظرت بعيداً وأصبح هو فجأة صامتاً ، ولكنه صمت كانت تسمعه . لايهم ! لم تعد تسره بعد اليوم أكثر مما فعلت طوال حياتها ، ولم تعد تهتم أيضاً لو أنه تذكر الطريقة التي كانت تتفعل بها عندما كان يودعها منذ أربع سنوات .

ولماذا تهتم ؟ لقد أصبحت مرهقة للغاية .

خلعت سترتها ثم تكومت فوق مقعد ، وقد أحاطها التعب من كل جانب ، لقد ملت عنايته بها .

كانت شبه نائمة عندما حضر "النادل" ووضع صينية بهدوء بجانبها على مائدة صغيرة قال "دان" بمرح وهو يصب الشاي من أجلها ويشير إلى "السندوتشات":

– هيا .. كلي واشربي وامرحي !

لم تكن تريد أن تأكل ولكنها لأمر ما فكرت أنها لابد أن تأكل ، كان من الأصوب

www.elromancia.com

أن تحني رأسها عندما يكون "دان" تائراً ، فلم يسبق لها أن رأته في مثل هذه الثورة من قبل .

نامت في مكانها ، لم يكن "دان" يتكلم وإنما أخذ يذرع الحجرة ذهابا وإيابا ثم اختفى خارج الحجرة .

لم تحس بعد ذلك بشيء إلا عندما أخذ يهزها بلطف .

- هيا :حان وقت النوم !

- هل ستعيدني الآن ؟

كان هذا كل ما استطاعت أن تنطق به وهي تحاول فتح عينيها ، وتعثرت عندما تركها .

- لا ! لقد حجزت لك حجرة بجوار حجرتي ، وستبقين فيها الليلة تحت ملاحظتي المباشرة.

- لا أستطيع !

سألها بمكر عندما وجد فكره يدور حول إمكان أن تكون قد قضت ليالي أخرى خارج منزلها :

- ألم يسبق لك أن قضيت ليلة خارج المنزل ؟

بدا شديد التجهم وهو يقودها إلى الحجرة المجاورة ، وأشار إلى فراش وثير لم تقاوم إغراء النوم عليه .

عاد السعال إليها أشد ضراوة ، ولكنه خرج دون أن يهتم بارتعادها ، ماذا كانت تتوقع ؟

إنه لم يهتم بها قط ! ، لا ، بل اهتم دوما بأن يكون لطيفا معها ، إنه حقاً لم يكن شغوفا بها ولكنه كان لطيفا معها . كانت هي المشاكسة إذا ما نظرت إلى الأمر نظرة عميقة .

إن رغبتها في الاستحواذ عليه طوال حياتها جعلتها خجولا وسريعة الغضب ومن الصعب التعامل معها ، لقد سئمها الآن .

فجأة تبين لها أنها لم تحضر ملابس معها ، ولكنها لم تستطع أن تترك الفراش الآن ، فقد بدا لها مريحا للغاية ، جاهدت حتى تستطيع أن تخلع ملابسها .

وجلست كي تخلع حذاءها ثم استراحت لحظة .

كان السعال ينهكها .

دخل "دان" وهي على ذلك الوضع ، وكانت متعبة وتائهة وعاجزة عن أن تعير دخوله أي انتباه خاصة وأنها لم تضع شيئاً بدلاً من ردائها . قال بهدوء ، وقد أمسك زجاجة دواء للسعال :

- هل أنت متأكدة من أنك لم تتناولي مشروباً روحياً ؟

فهذه الأدوية أحيانا ماتكون خطرة وتسبب الدوار إذا تناولتها بعد الشراب .

قالت "أنا" بحذر :

- لم أشرب سوى "عصير ليمون" ولايمكن أن يسبب لي أي شراب دوارا أكثر مما أحسه الآن . أعطاها ملعقة من الدواء . وجلست كدمية الأطفال مهلهلة وغير متماسكة وهو يغلق الزجاجة بحرص ويضع الملعقة جانبا ، كانت عيناها مغلقتين ولم تبذل أي جهد كي تفتحهما . قال بلطف وهو يرفعها ويضعها فوق الفراش البارد ويغطيها بعناية ثم يطفئ الأنوار ويغادر الحجرة :

- هيا .. استغرقي في النوم .

أيقظتها خادمة في الصباح عندما أحضرت لها طعام الفطور . جلست في الفراش واستطاعت أن تأكل معظم الطعام وهي تعلم أن "دان" سيحضر للتفتيش عليها . وهذا ماحدث عندما كانت على وشك الانتهاء ، لم تكن هذا الصباح متعبة بالدرجة التي تجعلها لاتهتم بأنها تلبس فقط قميص النوم .

- يمكنك الآن أن تنهضي من الفراش ...

قال ذلك بخشونة عندما سحبت الأغطية بسرعة حتى عنقها ، وأكمل حديثه :

- سأقوم بدفع الحساب الآن وسأصحبك إلى الكلية وبعدها أنطلق في رحلتي .

جعلتها كلماته تحس بالوحدة القاسية ، ولم تعد تستطيع التفكير فيما يمكن أن تقوله له . كل ما استطاعت أن تفعله هو أن تجلس في مكانها وتحملق فيه .

ونظر إليها بشدة فأغلقت عينيها ، قال :

- عندما تذهبين إلى الكلية يجب أن تتصلي بأستاذك وتخبريه أنك مريضة .

- إن كل ما أصابني نزلة برد !

www.elromancia.com

- وإرهاق باد ورهيب ! ومن هذه البدايات ينتهي الأمر بالإصابة بالالتهاب الرئوي . وأستطيع أن أستنبط من نظرات أصحابك أمس أنهم لابد سيتساطون أين قضيت ليلتك ويجب عليك ألا تعيرى الأمر أي اهتمام .

- نحن ناضجون ! ونحن نعنى بأنفسنا . ولا أعتقد أن أياً منهم اهتم بك عندما كنت في الجامعة .

- لقد كان لدي عضلات أكثر منك . ولم أقم بتنظيم عرس ، وفقدت أبي وظللت أعمل دون توقف وأصبت ببرد . لقد كنت أعمل عملا واحدا في كل مرة ، وليس جميعها مرة واحدة .

همهمت وهي تشعر بعدم الراحة من نظراته العميقة وصوته العدواني :

- كل ما في الأمر أن ذلك حدث أثناء الامتحانات غمغم بتهكم :

- هذا حقيقي . ولاشك أنك ستعيدين الامتحانات العام القادم .

كان قوله هذا بمثابة إلقاء الزيت فوق النار .

أحست بموجة عارمة من الغضب وألقت الأغطية جانبا دون تفكير ووقفت تحملق فيه :

- يبدو أنك لاتعلم شيئا . في العام القادم سأكون حرة والحمد لله . إذا تصورت أن بإمكانك عزلي عن أصدقائي وإخفائي في فندق ثم تأتي في الصباح وتلقي علي محاضرة مثل العم العجوز ذي اللحية ؛ فيجب عليك أن تعيد التفكير .

مرة ثانية . نحن نعلم تماما أين حدود كل منا ، خاصة فيما يتعلق برغبتنا في الوصاية . إن الجزيرة تناديك .. فهيا اذهب !

خرج بعض البخار المكبوت داخلها عندما رأت أنه يراقبها بعينين مسرورتين ضيقتين كانت حملقته القاسية تمسح وجهها الصغير الغاضب .

وافقها على قولها :

- حسنا ! سأعود إلى حيث أنتمي ولكن أرجو ألا تهملي نصيحتي . وإذا فقدت المزيد من وزنك فستصبحين نحيفة ولن تثيري الاهتمام .

تذكرت وهي مرتعبة أصابعه وهي تداعبها منذ أربع سنوات مضت ، كادت تحس بها وكأنها حقيقة الآن . اندفعت الدماء في خديها ، فلوى شفتيه في

احتقار قبل أن يخرج من الحجرة ويغلق الباب بشدة .

* * *

تحققت "أنّا" أثناء الامتحانات النهائية من صحة ما توقعه "دان" عندما اتهمها بأنها كانت السبب في مرضها ، كان الحزن العميق بسبب موت "جافن" والمجهود الذي بذلته كي تبدو طبيعية مع "دان" في البيت ، والعمل الشاق الذي أدته في إعداد زفاف "إلين" وكذلك استعداداتها لأداء الامتحانات ، كل ذلك أوصلها إلى حافة الهاوية .

مرت أسابيع عدة حتى بدأت نزلة البرد تخف بعد أن سلبتها صحتها ، وكانت تعلم أنه لابد لها من استشارة الطبيب .

عندما نظرت في المرآة رأت تماماً ما توقعه "دان" بل إن الحال تدهورت ، خاصة قرب انتهاء الامتحانات . كانت قد تعودت أن تعقص شعرها في ضفيرة خلف ظهرها حيث لم يكن لديها ما يكفي من الوقت للعناية به ، لم تعد تأكل ولا تخرج للنزهة واختفت حمرة خديها وأصبحت بشرتها النحاسية شاحبة بلا حياة.

فقدت الكثير من وزنها حتى إن شعرها ظهر وكأنه أثقل من أن يتحمله رأسها . بدا الجميع وكأنهم لا يلاحظون ذلك التغيير وسرها ذلك .

عندما انتهت "محنة" الامتحان بدأ الجميع يلاحظونها بعد أن كانوا منهمكين في دراستهم . عقلها فقط هو الذي كان يعمل ، وكانت تقطع طريقها الشاق في الامتحانات وكأنها تخوض حرباً بلا نهاية . وكانت مشتتة في الحقيقة عندما عاد "دان" بالقرب منها . كان بالنسبة لها دائما معنى كبيراً ولم تكن تستطيع أن تواجه حقيقة أنه خان امرأة ما . عندما تجد نفسها وحيدة كان عقلها يبحث عنه ؛ عن "دان" القديم ، عن "دان" الذي أحبته بجنون . لم تفعل ما يعاونها على التغلب على إرهاقها ، بل كانت تزيد الأمور سوءاً ، وكان النوم دائما عزيزاً عليها . لقد ذهب بعيدا جدا . كانت تستعيد صورته وهي مستلقية بلا حياة تنتظر الصباح وصوت أمواج بعيدة يتردد في أذنيها .

www.elromancia.com

انتهت الامتحانات ، ولكنها لم تعد قادرة على الراحة ولا أن تصدق أن كل شيء انتهى . كان الباقون يحتفلون ، ولكنها لم تجد ما تحتفل من أجله ، لقد كادت تضيع كل سنوات العمل سدى بسبب مرضها .

كان من الممكن ألا تؤدي الامتحانات على الإطلاق .

كان "برايان" يتصل بها هاتفيا بانتظام ، ولكنها لم ترغب في رؤيته . كان كل شيء يتطلب جهدا خارقا حتى ولو كان الذهاب لتناول الطعام . أخفت ما تعانيه عن "برايان" ، لم تكن بحاجة إلى محاضرات ونصائح . وكان هذا جو "دان" وطبيعته .

قررت أن تظل في مكانها وأن تحاول أن تحصل على بعض الراحة . لم تكن في الحقيقية تعلم ماذا تفعل . عندما عادت إلى المنزل تكلمت عن رغبتها في الذهاب عبر البحار . كما تكلمت عن رغبتها في وظيفة مؤقتة وأن تفعل أي شيء حتى تظهر نتيجة الامتحان ، وهي الفكرة التي لم يوافق عليها "دان" . لم تكن حالتها الصحية تسمح لها بأن تفعل أي شيء . لم تحضر فعلا مقابلتين للحصول على وظيفة لأنها لم تكن على استعداد لذلك .

لم يكن أمامها في الحقيقة أي مكان تذهب إليه .

بالتأكيد لم تستطع العودة ثانية إلى "لانجفورد هول" ، إذ سيصبح المكان رهيباً دون وجود "إلين" فيه ، وستفكر في "دان" كل الوقت .

بل لم تكن متأكدة إن كان من حقها العودة إلى هناك الآن . وبغض النظر عما قالته مجاملة فقد أصبحا اليوم أعداء قبل أن يرحل . وعلى الأقل فإن المكان هنا هادئ ، كانت مشدودة للغاية حتى تعذر النوم عليها في الليل ، وبينما كانت في النهار تختطف لحظات نوم ، على الأقل تخلصت من نزلة البرد . وربما تحس في الأسبوع القادم بأنها استردت صحتها وتستطيع أن تخرج من هنا وتبدأ حياة جديدة .

الفصل الرابع

عندما جاء "دان" كانت نائمة فوق السرير كما تعودت عندما يغلبها الإجهاد من كثرة التفكير . فتحت عينيها وكان هو داخل الغرفة واقفاً وقد علا الغضب وجهه . وقفت مربيتها المتوترة إلى حدما خلفه ولم تكن في تلك اللحظة المرأة المتسلطة الكريهة .

ورغم أن "أنّا" كانت تتكلم فقد تجاهلها "دان" ، وحول غضبه إلى المرأة المسكينة الواقفة في مدخل الباب .

- لماذا لم تتصلي بي قبل أن يحدث هذا ؟ وهل من سياسة الكلية أن تدع الطالب يذوي بكل سهولة دون إخطار أقاربه .

كان غاضباً إلى حد عنيف . ولم تستطع "أنّا" أن تفهم مايقول . ولم تصدق أنه هنا أمامها .

- المجهود ... الامتحانات ... طلبة كثيرون .

وهم على كل حال ناضجون ياسيد "تورين" ، والعديد من الطلبة لا يتحملون ضغط الامتحانات النهائية ، ولم تحس بما حدث إلا عندما ظلت ملازمة لحجرتها لاتخرج منها .

صرخ "دان" :

- إنها ستترك حجرتها الآن . واذا كان هناك إجراءات يجب عليكم إتمامها فوراً ، فإنني سأخرجها من هنا خلال خمس عشرة دقيقة .

عندما صفقت المرأة الباب دل ذلك على أن المشرفات نادرا مايتلقين التأنيب بهذه الطريقة . جلست "أنّا" فوق سريرها وهي تحس بالرعشة وعدم الاستقرار وقالت :

- "دان" ماذا تصنع هنا ؟ إنني لا أفهم ..

قال بعصبية :

- لقد أرسلوا إليّ . لقد طلبوا "لانجفورد هول" فأتيت ولو تأخروا يوما واحدا

www.elromancia.com

لما وجدوا أحدا هناك ؛ لأنني قررت الرحيل إلى الجزيرة بعد كل ماحدث . ومن حسن الحظ أنني كنت في المنزل . إنهم لايعلمون أن الأسرة تفرقت الآن وواضح أنهم لم يتلقوا منك أية معلومات .

قالت وهي مهتزة :

– إنني ... لا أتذكر أنهم سألوني .

ضاقت عيناه المركزتان على وجهها .

– لا ؛ ليس من الضروري أن أكون طبيبا حتى أتعرف على المرض الجسدي والعقلي . من المحتمل أنك لاتعرفين تاريخ اليوم ؟ أين ذهب صديقك المقرب بينما أنت تتهارين ؟

– لم أخرج ، كما أن "برايان" يعمل طوال الوقت و ...

قاطعها "دان" بغضب :

– حسناً .. ستخرجين الآن !

– أستطيع أن أظل هنا ..

– لعله غاب عن بالك يا "أنّا" أنه لايوجد طالب واحد في المكان . لقد أنهوا الامتحان ورحلوا . هل كنت ستظلين هنا حتى يعثر عليك حارس فضولي ؟ ستأتين معي إلى المنزل ...

– أظن أنني لن أعود إلى "لانجفورد هول" ... لماذا لم تذهب إلى :"الباهاما" ؟

– لقد قررت أن أبقى بعض الوقت . وعلى أية حال فإنك لن تذهبي إلى "لانجفورد" . لقد قلت إنك ستعودين إلى المنزل معي في الجزيرة ، وأظن أنهم لن يتقاضوا أجرا إضافيا عنك ، لقد حصلت بالفعل على تذكرتي وسأحصل على تذكرة لك في غضون ساعة . إنك أصبحت مجرد حزمة عظام جميلة .

حملقت ويدها فوق ياقة قميصها تشدها بعصبية :

– لا أستطيع أن أذهب إلى الجزيرة .. لا أستطيع أن أذهب بسبب ...

ربما يكون ذلك بسبب وجود "دافني" هناك ، وهي لا تستطيع أن تواجه الموقف فجأة ركع بجوارها وهو ينظر إلى وجهها الشاحب :

– ستأتين معي يا "أنّا" ، لن أتركك ، لأنك على وشك الانهيار التام ، وسأحتفظ

بك معي حتى أتأكد تماما أنك استعدت صحتك وسلامة عقلك . بدا عليها الضيق وهي تقاطعه !

– ليس هناك خطأ بالنسبة لعقلي .... سأذهب إلى "إلين" و "ستيف" . قال لها متهكما :

– إنهما عروسان فار حميهما ، على أية حال فإنني سأعود إلى الجزيرة وستكونين هناك بجانبي عندما تركب الطائرة ، ولا فائدة من الجدال الذي لن تستفيدي منه سوى زيادة توترك ، أستطيع بسهولة أن أحملك وأشحنك في لوري بمنظرك هذا . أليس الأفضل أن تسافري بالدرجة الأولى ؟

– لا أريد أن تكون وصياً علي .

أحست بأنها في حالة تسمح لها بالعراك معه ، ولكنها كانت تمارس مجرد المعارضة ، وفي الحقيقة لم تستطع أن تكف عن النظر إليه ، لقد ظهر كالبرق ولكنها أحست بالأمان وبالرغبة في الالتصاق به لولا ضعفها الجسدي .

قال بخشونة :

– لقد حصلت على وضع الوصي بالفعل يا صغيرتي ، وبعد أسابيع قليلة بدأت أعجب ببعد نظر أمك ، فلو تُركت وحيدة لما عشت .

فتح بسرعة صوان ملابسها وبدأ يحزم متعلقاتها ، وعندما احتجت ونهضت من الفراش ، أمرها بحدة أن تعود إليه مرة أخرى ، كان من الأفضل أن تطيعه عندما يكون ثائرا ، وأخذت تراقبه بعينين واسعتين وهو يحزم أمتعتها ، أخذ يفحص الحجرة وهو عابس الوجه :

– إن منظرك يوحي بأن كل ما لديك من ملابس لن يناسب حجمك ، وعلى كلّ سنشتري ما تحتاجين إليه من جزيرة "ناساو" .

– إنك ... لاتستطيع أن تختطفني بهذه الطريقة يا "دان" .

كانت قد بدأت تشكو وهي تتساءل لماذا لا تستطيع العراك معه ، ولكنها كانت تعلم أنها لاتستطيع العراك معه فعلا . جاء وأمسك بيدها ثم قادها إلى المرآة.

ظهرت – تحت عينيها – تجاعيد كبيرة سوداء تملأ وجهها النحيف ، وحتى

سترتها بدت واسعة جدا عليها . ظهرت وكأنها مجرد عظام وشعر وعينين فقط .
لم تكن تتذكر الأيام التي تلت الامتحانات النهائية .
طمأنها وهو مقطب الوجه :
– أعتزم أن أختطفك ، وأشفق على أي فرد يحاول أن يمنعني من ذلك .
قبل مرور ساعة كانت جالسة بسيارة "دان" وهو متجه إلى لندن . كانت مرهقة للغاية حتى إنها لم تعد قادرة على الاعتراض وعيناها لاتكفان عن الالتفات إلى فكه المشدود ويديه القويتين الممسكتين برشاقة بعجلة القيادة . قالت بعد فترة :
– لو كنت قد استأجرت هذه السيارة فلا بد أنها كلفتك ثروة طائلة . لقد استعملتها من قرون .
اجتنبت هذه الملاحظة العارضة دهشته رغم أنها قالتها بصوت واهن . ربما ظن أنها جنت . أهمل الموضوع ، ولكنها تمسكت به مقطبة لأنه ترك أثرا محيرا في عقلها . قال :
– لقد اشتريتها في الحقيقة عندما وصلت .
– وماذا ستصنع عندما تريد بيعها ؟ هل سنبيعها عندما نصل لندن ؟
فجأة أحست أنها عادت طفلة عندما كررت كلمة "نحن" ماذا سنفعل بها يا "دان"؟ ماذا ستقول لهم ؟ نظر إليها في قلق وتركزت عيناه على يديها المشدودتين في حجرها . كان في كل لحظة يتوقع أن تشبك يديها الرقيعتين بالطريقة التي تعودتها عندما كان يتحدث معها ، ولكنهما الآن أصبحتا يدي امرأة ملفوفتين وشاحبتين ، بينما ظهرت عظام الرسغ . قال :
– لا يهمني إذا كنت سأتركها عند المطار . لايزال أمامنا طريق طويل يا "أنّا" اذهبي إلى النوم .
– حسنا ؛ إنني حقا متعبة يا "دان" .
كان صوته غريبا مبهما ومشغولا على حالتها لمدة دقيقة قبل أن تغلق عينيها وتستغرق في النوم .
سقط رأسها فوق كتفه ، بينما لم تعد عيناها تريان النظرة الفاترة التي ألقاها على وجهها وهو يقود السيارة متجها إلى المطار .

* * *

مامر بعد ذلك كان شبه أحلام . قضيا الليلة بأكملها في فندق . ورغم أنها كانت منهكة وغارقة في النوم فقد استدعى "دان" طبيبا نظر إليها وقال إنها تعاني الإنهاك والآثار الجانبية لنزلة برد حادة . وقال إن بإمكانها الطيران ولكن يجب عليها أن تستجم لمدة طويلة بعد السفر . عندما سمع "دان" ذلك ؛ رفع حاجبيه من الدهشة وقد علا فمه ابتسامة استنكار : أخذ يغمغم وهو يغلق الباب وراء الطبيب "إن كل ماقاله الطبيب كان بإمكانه هو أن يشخصه بنفسه" .
نامت "أنّا" بعمق لم تشهده منذ سنوات ، وقد استرخت عضلاتها المشدودة .
تناولت عشاء خفيفاً فقط كي تريح "دان" وعيناها تتابعانه في صمت عندما ذهب خارج الحجرة بعد أن أطفأ النور . كانت قلقة على كل شيء : على الجزيرة ، وعلى وجودها مع "دان" في هذه اللحظة . عادت ثانية إلى غيرتها الطفولية وكان جزء محدود من عقلها فقط هو المتوازن . لقد أحبت "دان" يوما ما لدرجة الهيام . كيف سيكون حالها عندما يصلان إلى الجزيرة ؟ وماذا عن ابن "دان" . هل لايزال متصلاً بهما ؟ وهل اعترف بالولد ؟ لقد تخيلته متزوجا منذ أربع سنوات . أربع سنوات من عمرها بنت عليها تلك الحقيقة . ربما تقوم "دافني" بزيارته . استغرقت ثانية في النوم وقد أمسكت يداها بأغطية مقاعد الطائرة .
كانت الجزر منثورة في البحر كاللآلئ وسط زرقة مياهه الصافية ، تحيطها الأمواج البيضاء .
حملقت "أنّا" فيها وهي مبهورة . كان المنظر من الجو يشبه كل ما يتخيله الإنسان عن الفردوس : الصخور والمحيط والسماء . كانت في تلك اللحظة مسرورة أكثر مما كانت عليه عندما رحل "دان" بعيدا وتركها . كانت فترة زمنية قصيرة ورائعة ، ولم يكن هناك ما يدعوها لإنكار ذلك . سألته :
– هل يمكننا أن نرى جزيرتك من هنا ؟
كانت قد التفتت إليه بشغف ولأول مرة تراه يبتسم . لقد اهتم بها بطريقة وحشية ولكنه كان مشدودا ومكتئبا ، ومن الواضح أنه لم يكن يرغب في أن تكون بجانبه على أية حال . ولم يعد لديه الصبر على فكرة وصايته أكثر منها . ولكن

رغم ذلك أحست بالراحة عندما رأت ابتسامته القديمة التي كانت على طرف شفتيه ولطفت من عينيه الساخرتين . رد عليها :

– لا .. إنها صغيرة للغاية . إنها تقع عند حافة الأفق . إذا كنا أعلى من هذا ربما استطعنا رؤيتها . إنها جزيرة صغيرة جداً ، مساحتها ثلاثة أميال مربعة فقط . والعديد من الجزر بنفس المساحة وبعضها أصغر .

– هل لها اسم ؟

– نعم ... "أماراكاي" !

– وماذا يعني هذا الاسم ؟

خففت شدّة اهتمامها من مزاجه المتقلب الذي كان عليه منذ أن أنقذها في الكلية ، فانحنى للخلف وبدأ يستريح أكثر .

– "كاي" تعني "الجزيرة الصغيرة" ، ويوجد أكثر من سبعمائة جزيرة في "الباهاما" وربما أكثر . ولايعرف أحد عددها بالضبط .

– وماذا تعني كلمة "أمارا" ؟ إنها كلمة جميلة .

– "أمارا" ؟ لست أعرف ، ربما كان اسم إحدى عشيقات قرصان ما . لقد تعرضت تلك الجزر يوما ما إلى هجمات القراصنة وكانت أماكن في غاية الخطورة . وهناك أعمال تهريب كثيرة تجري حتى في أيامنا هذه . ولايُستحب الإبحار بجانب الشواطئ ليلا .

أنبته "أنّا" بمكر !

– ولكن قراصنة اليوم لايلبسون حلقاناً ولا يضعون عصابة على عيونهم اليسرى.

كان يبتسم برقة مثلما كان يفعل في الماضي . إنه الآن "دان" الذي كانت مدلهة بحبه طوال حياتها . طغت عليها موجة من السعادة . كان من المستحيل الاستمرار في الشك والفتور وهو طيب جدا معها.

تنهدت بعمق وقد علا وجهها الشاحب ابتسامة . سألها بهدوء :

– هل يمكن أن تفسري لي معنى هذه التنهيدة ؟

أعلنت وهي غير واعية بخطر اللحظة الحالية :

– إنها رضا ومرح .. لقد كنت أفكر ....

أحست بصدمة خفيفة عندما تبين لها أنها لم تكن حذرة بالقدر الكافي . كانت على وشك أن تبوح بأسرارها وتخبره أنها سعيدة بسبب هذه اللحظات معه . ربما وجدا عند وصولهما إلى "أماراكاي" امرأة أخرى في انتظاره . ربما كان يعيش مع امرأة ما ، تماماً كما سألها عما إذا كانت تعاشر "برايان" . حثها على الإجابة .

غمغمت وهي تحاول التهرب من الإجابة ، بينما ازدادت ابتسامة "دان" مكراً :

– إنني أتساءل ماذا يفعلون الآن في البيت ؟

سألها بجفاء :

– لقد كانت التنهيدة تعبيراً عن شعور بالرضا عما يفعلونه هم ، وليس عما تفعلين أنت . ألست راضية ؟

قالت فجأة عندما أخذت الفكرة تطاردها وهي تشعر بالذنب :

– لم أخطر "برايان" قط أننا سنرحل . لابد أنه سيصاب بالجنون .

طمأنها "دان" :

– يمكنك إرسال خطاب له عندما تهبط الطائرة ، ولما كان مشغولا جدا حتى إنه لم يلاحظ مرضك فمن المحتمل أنه لم يكتشف للآن غيابك .

اعترضت "أنّا" وقد تحققت من ضرورة إظهار موضوع حبها لـ"برايان" باستمرار .

– أنت لاتفهم شيئا عما بيني وبين "برايان" .

لم يتغير شيء . كانت ببساطة تحلم أحلام اليقظة ، كان ضغط الأشهر الماضية قد تركها متخبطة ولم تعد تريد أن تستمر في عراكها مع "دان" بعد الآن .

لم يعد لها مكان في حياته . وهو الآن – ببساطة – يعتني بها وهو يشعر بأن ذلك واجب عليه لا أكثر . كان يعاملها كما لو كانت أخته ، ولو كان الأمر متعلقا بـ"إلين" لفعل معها نفس الشيء .

– أفهم ؟ .. لا .. لست أفهم !

قال ذلك بنوع من الوحشية الهادئة جعلتها ترتعد . لقد انتهت فترة الرضا

www.elromancia.com

القصيرة ، وحملقت "أنّا" في جمال المناظر البحرية أسفلها ، ولكن السعادة مضت ، وحل محلها الواقع المرير . لقد أحضرها إلى هنا لتسترد صحتها .. ومهما كان الوقت المطلوب لذلك فلابد أن يكون مختصرا ، ويجب أن يكون مختصرا . لم يكن يربطها شيء مشترك به .

كانت جزيرة "ناساو" صاخبة ومزدحمة وحارة . وكان الجو في الحقيقة ممتازاً ، ولكن بالنسبة لـ"إنجلترا" الباردة ولحالتها الصحية فإن "أنّا" سرعان ما أحست بالاختناق .

قال "دان" بعد أن ألقى نظرة شاملة فاحصة تركزت على وجهها الشاحب وعينيها المجهدتين :

– سنذهب مباشرة إلى الجزيرة .

– أعتقد أنه يجب علي أن أقص شعري .

قالت ذلك وهي ترفع شعرها الطويل من على رأسها بدلال .

قال لها :

– ليس الآن . دعي الأمور كما هي يومين أو أكثر قليلاً . وستتعودين على الحرارة ، ويمكنك أن تعقصيه في ضفيرة كما تعودت أن تفعلي .

أخذت تشكو في عناد :

– إنه ثقيل للغاية .

– إنه جميل جداً ، وإذا قصّرته فستندمين على ذلك فيما بعد ، فالأفعال المجنونة تتم دون تفكير ، ولا ينفع الندم بعد وقوعها .

كانا قد نزلا عند جانب رصيف بحري ، ولم تكن الحرارة سيئة هناك بسبب النسيم الذي كان يهب من البحر . كان الجو والمنظر وكل شيء ساحراً ، وكان بجوار الرصيف سوق مكشوف وقوارب تأتي من حين لآخر محملة بالفواكه ، والخضراوات والجمبري والمحار ، كان المنظر بهيجا متعدد الألوان ، حتى إنها كانت تود أن تنظر إليه طوال النهار .

كان الجميع يعرفون "دان" وينادون عليه ، ويضحكون معه ، ويلقون على أسماعه النكات .

وكانت وجوههم الداكنة تتطلع إلى "دان" ثم تتحول في تساؤل نحو "أنّا" . لم يوضح "دان" الأمر لأحد ، وأحست بالذنب . من المحتمل أنهم تعودوا أن يشاهدوه هنا بصحبة "دافني" ، وأصبح التساؤل : لماذا هي الآن معه ؟

أشار "دان" إلى الأمام :

– من هنا سنذهب !

حمل سائق التاكسي بعض حقائبهما إلى حيث دخلا قارباً أبيض أنيقاً مربوطا بجانب الرصيف . أعطى "دان" سائق التاكسي أجره ، ثم أدخل "أنّا" الكابينة الموجودة أسفل سطح القارب لتستريح هناك ، وفتح النافذة كي يدع النسيم البارد يدخلها ، قال لها :

– اجلسي هنا لمدة دقيقة لترتاحي وتستردي أنفاسك . لن أتأخر كثيرا .

راقبته في قلق ، ولكنه توجه إلى السوق ، وسرعان ما عاد ومعه كمية من الفواكه والخضراوات ، الكثير منها لم تره من قبل . بينما سار بجانبه شاب ضاحك داكن البشرة يحمل المزيد منها .

هكذا كان يعيش "دان" في ذلك المكان الدافئ المثير . لاعجب إذا لم يكن يريد العودة . كان هنا كل شيء يحتاج إليه ، ولايوجد من يسأله كيف يعيش أو مع من يعيش . خيم الوجوم على "أنّا" وأغلقت عينيها ، وهي تحاول أن تطرد رؤية المستقبل ، لم يكن من السهل طرد أفكارها عن المستقبل . كان "دان" يتسلل عائداً إلى قلبها ، وكانت مرهقة جداً بحيث لاتستطيع محاربته وطرده من حياتها .

كان في (كابينتها) وهي لا تعلم . أمسك أعلى ذراعيها بيدين قويتين وانحنى عليها وهو يمعن النظر في عينيها . قال :

– هل تشعرين بالمرض يا "أنّا" ؟

ابتسمت ولكنه ظل قلقا فأكدت له :

– لا .. لا .. إنني بخير !

– هيا بنا نصعد إلى سطح القارب وسيفيدك النسيم وعندما نصل إلى المنزل ستضعك "جوزي" في السرير مباشرة .

www.elromancia.com

اعترضت وهي تتبعه إلى سطح القارب ، ووقفت بجانبه وهو يدير آلات القارب القوية . قال بخفة ولكنها استشفت من وجهه أنه قلق :

– إنه وقت إطاعة الأوامر .

أحست بمزيد من الذنب ، ولم تسأل من تكون "جوزي" . جاء الوقت الذي ينبغي عليها فيه أن تهتم بأمورها فقط ، وأن تمسك لسانها . ستكون تماما كما أرادها "دان" وبعدها ستعود إلى منزلها وتنسى كل شيء عنه .

اندفعت فكرة عدم وجود بيت مستقل بها على الجزيرة إلى ذهنها ، ولكنها طردتها بحزم . لن تكون عبئا على "دان" ولا على غيره . لقد كان مستمتعاً بدوره . كان على فطرته مستمتعا بحريته ، وكانت تعلم بالضبط كيف يحس .

طار القارب بيسر فوق المياه اللامعة بجوار الشواطئ الرملية إلى بعض الجزر، وكان بعضها مغطى بالنخيل ، حتى أوشك أن يصل إلى المياه . بينما البعض الآخر غطته أشجار مزهرة . كانت جزائر العجائب . أماكن الأحلام ، بينما أمسكت "أنا" بعمود يدعم سور القارب ، بينما أخذ شعرها الأسود يتطاير خلفها .

أوشكت أن تحس بأن الصحة تعود إليها .

– هل أنت سعيدة ؟

قال ذلك وهو يلقي عليها نظرة جانبية ، بينما صدمها إحساس غريب في داخلها ولاسبيل إلى التحكم فيه . أذهلها ذلك الإحساس واستدارت بعيدة عنه بسرعة وهي تقول :

– أوه ! نعم !

لم تزد على تلك كلمة ، ولكنها عندما نظرت إليه خلسة ، وجدت الابتسامة الخفيفة تعود ثانية إلى شفتيه ، وعندها بدأت ضربات قلبها المرح تزداد مرة ثانية . إنها الآن موجودة هنا مع "دان" . وحتى لو كان وجودها هو فقط مدة رحلتها فوق المياه البراقة ، فإن كل لحظة منها تقابل العذاب الذي تحملته وذهب الآن عنها . كان من غير المجدي أن تتذكر ذلك . كان هناك دائما سحر في وجودها مع "دان" . في البيت ! في "لانجفورد هول" ، كانت الذكريات مختلطة

عليها ، وما أحسته من بؤس لرحيله منذ أربع سنوات كان حتى الآن حقيقة ولكنها بدأت في الذهاب . كل شيء أصبح جديدا ، و"دان" كان رائعا وهو يعنى بها . وهو بجانبها تماما .

قال لها وهو يشير إلى نهاية الأمواج عندما أخذ يهدئ من سرعة القارب تمهيداً للرسو :

– انظري !

نظرت حيث أشار ، فوقع بصرها على أرض تثير الخيال ، عبارة عن عالم من الصخور البيضاء والأسماك الدقيقة . كانت المياه صافية تماما حتى إنها استطاعت أن ترى رمال القاع والشعب المرجانية البيضاء أو الوردية على شكل قلاع وكهوف تلعب فيها الأسماك بحركات سريعة .

– إنها جميلة !

– سأصحبك يوما في رحلة غطس عندما تستردين صحتك .

سألته بخوف بينما عيناها تلمعان من منظر المياه :

– ألا يوجد أسماك قرش ؟

– ليس داخل الحاجز المرجاني .. وهناك خليج رائع في الجانب الآخر من الجزيرة ، أمارس فيه هواية الغطس .

كانت مفتونة ومسحورة للغاية لدرجة أنها لم تلاحظ أن القارب أبطأ أكثر فأكثر، وعندما رفعت عينيها وجدت القارب يتجه ناحية الشاطئ الرملي على حافة المياه. حيث تناثرت الأشجار المزهرة والنخيل على طول الشاطئ ، في حين برزت أحجار بيضاء على الشاطئ حيث رصت خلف منصة خشبية تستخدم كمرساة للقوارب . على بعد خطوات كان يوجد بيت صغير من الأحجار البيضاء تحيط به حدائق واسعة فيحاء :

كانت هذه هي جزيرة "دان" أمارا كاي" .

اتسعت عيناها وهي تراها لأول مرة ، وقد أمسكت شعرها المتطاير بيدها ، بينما أوقف "دان" القارب بجوار المرساة وأطفأ المحرك ، ثم قفز كي يربطه بالمرساة ، ثم عاد ليأخذ بيدها . كانت لاتزال تحملق مذهولة حولها عندما أحاط

www.elromancia.com

خصرها الرفيع بيديه ورفعها من فوق سطح القارب ثم وضعها فوق أرض المرساة .

تنفست النسيم العليل وقالت :

– لا أستطيع أن أصدق ما أراه . لطالما تساءلت عن شكل جزيرتك .. وهأنذا فوقها الآن !

–أخيراً !

قالها باستياء وعندما رفعت عينيها رأته يتأملها برقة وقد تحركت عيناه الناقدتان فوق وجهها بنظرة لم تستطع أن تفهم معناها .

سألها برقة ولكنه كان يفكر في شيء آخر استطاعت أن تعرفه :

– مارأيك في "أماراكاي" ؟

قالت وهي تضحك ضحكة خفيفة ومرتعدة !

– إنها تبدو وكأنها قطعة من السماء .

قال بهدوء :

– إنها قريبة من السماء في جمالها إلى حد ما !

نظر بعيدا ثم أدارها ناحية المنزل .

كانت تعلم أنه سعيد بعودته إلى المنزل . لقد كان يريد أن يكون هنا . لقد أخبر "إلين" أنه ما إن ينتهي من أعماله مع الاستديوهات حتى يعود في الحال إلى الجزيرة . ولولا وفاة والده وزواج "إلين" لما أمكنها أن تراه مرة ثانية .

ألمتها الفكرة ، فعضت شفتها السفلى .. أحست فجأة بأنها مهتزة ، كل ذلك كان بسبب الرحلة الطويلة .

وبدا لها المنزل بعيداً ، وأن المشي اليه هو المشقة بعينها ، كانت توشك أن تسقط لولا أنها أمسكت بـ"دان" الذي رفعها بين ذراعيه ..

قال لها عندما توسلت إليه أن يسمح لها بالسير .

– إنك تترنحين ياسيدة ! وأمامنا بضع ياردات وتصبحين بالقرب من "جوزي" ومن السرير .

كان يضحك ثانية ، وقد ذهب عنه مزاجه المعتل ووضعت ذراعها حول رقبته

حتى لاتهتز . احتجت :

– من هي "جوزي" وماذا سيكون رأيها عندما نصل ونحن على هذا الوضع ؟

– "جوزي" هي مديرة منزلي ، وزوجها "آب" يقوم بالعناية بالحديقة وكل شيء آخر .

ستنظر إليّ وتظن أنني اصطدت "حورية بحر" ذات شعر أسود وعليك أن تخفي ساقيك حتى يصدق ظنها .

أحست برغبتها في الضحك بسعادة ، ولكن فكرة المنزل أقلقتها .

– هل ... هل هناك شخص آخر ؟

– لا ! أنا لا أفتح بيتي لكل من هو تحت وصايتي ، فإنني لا أتحملّ سوى مسؤولية واحدة فقط .

احتضنها وعيناه الباسمتان تنظران في عينيها . أمرها بلطف :

– استرخي ، فلن يأكلك أحد . أريدك أن تعودي إلى حالتك الطبيعية كما كنت منذ سبع سنوات مضت .

غمغمت والابتسامة على فمها بدأت تغيب :

– لقد مضى وقت طويل . هناك فرق بين سن الرابعة عشرة والثانية والعشرين..

قال مؤكدا كلامها بطريقة ماكرة :

– لقد لاحظت ذلك .

عادت إلى حالة الحذر معه ، ولم يكن سلوكه بأي حال سلوك أخ تجاه أخته .

كان من أحلامها أن تجد نفسها بين ذراعي "دان" . كانت ذراعاه القويتان السمراوان وهما تحتضناها بقوة ترسلان قيظا مؤلما من الإثارة خلال جسدها، فتدفع الحمرة إلى وجهها وتسبب لها شعورا عميقاً من الخوف . لم يكن هناك مكان تختبئ فيه ، وانتابها إحساس بالحذر . ماالذي كانت تفعله في "لانجفورد هول" سوى الاختباء منه ؟

لم تعد قادرة على طرده من حياتها كما كانت منذ أربع سنوات مضت . لقد أصبح جزءاً منها تقريباً . أدارت وجهها دون إرادتها نحو رقبته القوية الدافئة وكأنها حيوان صغير يختبئ تحت رأسه . ولكنه لم يقل شيئا على الإطلاق ..

www.elromancia.com

سرعان ما أنزلها إلى الأرض وسمعت خطوات تنتقل من نعومة المسطح الأخضر إلى صلابة خشب أرضيّة الشرفة .

فتحت عينيها لتجد امرأة تتطلع إليها بفضول . كان وجه المرأة مستديراً وأسمر، وعرفت في الحال أنها "جوزي" . ما إن شاهدت المرأة ابتسامة "أنّا" المتلالئة حتى ذهب عنها فضولها عندما تبين لها أن "أنّا" ليست فاقدة الوعي ..

قدمها "دان" بمكر :

– "جوزي" هي الشخص الوحيد الذي سيلزمك الفراش .

لم تكن "أنّا" تنصت جيدا ، حتى إنها لم تعترض كعادتها ، بينما كانت عيناها تدوران حول المنزل وهم يدخلون وقد تقدمتهم "جوزي" السعيدة . كان مكانا خرافيا ولم يكن هناك شك في أن "دان" غني إلى حد كبير .

وكيف لها أن تشك في غناه . وفي إمكانها أن تعرف ذلك بسهولة . لقد كان كل كتاب يؤلفه ، يحقق مبيعات هائلة ، وأغلب كتبه تحولت إلى أفلام ..

قالت بسخرية وهي تضحك :

– يمكن ببساطة اعتبار المنزل مجرد "كوخ ساحلي" .

– لا ! إنه من دور واحد ، ولا يوجد تعب في تنظيفه ولا درج لصعوده .

– منتهى السهولة ؟

كان المكان يبدو من الداخل وكأن "دان" قضى سنوات عدة في جمع التحف والكنوز الأثرية واللوحات الزيتية والتحف الخزفية .

كان جميلا حقاً .. صاحت :

– يالإلهي ! ماذا يمكن أن يقال ؟ إنني أخشى أن أحطم إحدى هذه التحف ؟

غمغم "دان" :

– ستتعرضين للعقاب !

دخل رجل إلى المنزل يحمل بعض الأمتعة ، وكان ذلك الرجل هو "آب" كما أخبرها "دان" . كان طويلا لدرجة تثير الدهشة ، وهزيلاً إذا ما قورن بزوجته .

وكل ما فعلته "أنّا" أن وقفت مشدوهة من توالي المفاجآت . سألت :

– هل يمكنني التجول في المنزل والتأمل ؟

– عندما تتناولين شرابا طيبا .

وعدها بذلك ، ثم أمسك بذراعها بحزم وقادها إلى الخارج ، في الشرفة الباردة، ثم أجلسها في مقعد أبيض من الخيزران تحيطها وسائد مريحة ، قال:

– إنك تبدين وكأنك أصبت بالجفاف .

– تعني أنني ذبلت ؟

نظر إليها نظرة قلق وابتسم ببطء :

– آه ! أنت الآن مجرد واجهة لـ"أنّا" القديمة ، وبعد أيام قليلة ستعودين إلى حالتك الطبيعية .

قالت "أنّا" دون تفكير وهي تنظر إلى الحدائق الملونة وإلى البحر الصافي المائل إلى اللون الأخضر :

– مهما كان فأنا راضية .

قال "دان" بهدوء :

– إن الطبيعي بالنسبة لي هو عندما أنظر إليك وأقول "هذه هي "أنّا" المزعجة ، الجميلة ، التي تنبض حيوية . وحتى يحدث ذلك فأنت لا تزيدين عن مجرد طفل مشرد ، استطعت بطريقة ما أن ألتقطه وأحضره إلى المنزل .

لم تنظر إليه لأنها كانت تخشى خطر البكاء ، ولكنه تجاهل كل ذلك حتى لو لاحظه . سرعان ماحضرت "جوزي" ومعها كوب كبير من العصير المثلج .

قال "دان" فجأة وهو يرفعها كي تقف على قدميها عندما انتهت من تناول الشراب المثلج !

– أمامك خمس دقائق كي تتجولي وتشاهدي وتحطمي التحف . وبعد ذلك أمامك عدة ساعات من النوم .

لم تجادله . كانت تحس بالإرهاق والتوتر ، بالإضافة إلى رغبتها البلهاء – التي أصبحت ملحة – في أن تنفجر باكية . ألقت عليه نظرة امتنان ، ثم تجولت بمفردها ، وتركته كي يذهب إلى غرفة المكتب ليعود إلى كتاباته ويراجع الكميات الضخمة التي كتبها في "لانجفورد هول" . كان يسودها جو من الرضا والدفء،

وكانت تبدو عليه السعادة لعودته إلى منزله .

يجب عليها أن تحاول الابتعاد عن طريقه ، وتدعه يستمر في حياته العادية كما تعود في الجزيرة .

كانت قد عادت إلى حجرة الجلوس الباردة الفسيحة عندما دق جرس الهاتف وسمعت "دان" يجيب :

– عزيزتي "دافني" .

كان يبدو سعيدا للغاية ، حتى إن "أنّا" توقفت في مكانها وأحست بأن قلبها ثقيل كالرصاص وهو يكمل :

– لقد عدت منذ نصف ساعة فقط . ماذا ؟ هل فعل .. ؟ صليني به إذن .

سمعت ضحكات "دان" المنخفضة وكلمات لم تكن تتوقع سماعها :

– هالو "تريفور" أهلاً يابني العزيز .

استدارت وهربت من نفس الطريق الذي أتت منه وهي تتعثر ، وكادت تصطدم بـ"جوزي" التي ألقت عليها نظرة واحدة ثم صحبتها مباشرة إلى حجرة باردة وهادئة حيث كانت أغطية السرير معدة لاستقبالها . قالت "جوزي" في صوت هادئ يغلف غضبها المكتوم وهي تضع "أنّا" في السرير :

– يقول السيد "دان" إنه يجب عليك أن تنامي وهو أيضاً رأيي الخاص . والآن عليك أن تخلعي ردائك يا آنسة "مازيني" .

قالت وهي متعبة وقد تجمدت الدموع في عينيها .

– اسمي "أنّا" .

– حسنا يا آنسة "أنّا" .. دعينا نضعك في السرير .

كان لطيفاً أن تحس بأن هناك من يقوم بدور الأم معها ،كل ماأرادته "أنّا" هو أن تنام . كي تنسى البهجة التي كست وجه "دان" وهو يتحدث في الهاتف . إنه لم يتزوج "دافني" ولكن ذلك لم يغير من الأمر شيئا لأنها مازالت في حياته وكلماته في "لانجفورد هول" كان لها معنى مختلف . "في النهاية لم نغامر بالزواج ربما لم يفعل ، فالعديد من الناس يدور في فلك الحياة التي يعيشها "دان" ؛ يعيشون معا دون زواج . لقد أوضح لها الابتهاج البادي في صوته كل

ما كانت تود معرفته ، وهاهي ذي هنا الآن في المصيدة ، بعد أن بدأ يعود إلى حياتها .

دخل الحجرة في هدوء وهي مستلقية تحت الأغطية ولم تغلق عينيها بعد :

– "أنّا" ؟ لقد قالت "جوزي" إنها عثرت عليك وأنت تتخبطين في الخارج وعلى وشك الانهيار . هل أنت بخير ؟

همست بضعف وهي تشير إليه أن يخرج :

– مجرد تعب ، وسأكون بخير عندما أنام .

قال لها بلطف وهو يقترب من السرير وينظر من أعلى إليها :

– ستوقظك "جوزي" فيما بعد ، وعليك أن تستغرقي في النوم ولا تحاولي القلق بشأن أي أمر .

قالت وهي مضطربة ، بعد أن التصقت بالفراش عندما أحست بأن كل شيء بدأ يغيب عن عينيها .

– لم أستطع الاتصال بـ"برايان" .

قال لها ببعض الحدة ، وظنت أنه غاضب لأنها نسيت الاتصال بـ"برايان" :

– يمكنك الاتصال به بعد أن تستيقظي .

– ولكن الاتصال مكلف للغاية .

قال ببرود :

– أعطني الرقم وسأتصل به بالنيابة عنك .

ولكنها لم توافق ، فقد يكتشف أن مابينها وبين "برايان" ليس قصة الحب الملتهبة التي تخيلها .

– هو ... أقصد "برايان" قد يكون نائما . فهو يعمل كثيرا و ...

– إذن سنجعله يستيقظ . إذا طلبتني هاتفيا وأنا نائم ...

فجأة استدار وتوجه إلى الباب ، وأنهى كلامه بطريقة ماكرة وهو يغلق الباب خلفه :

– يمكنك أن تطلبيه بعد فترة ، وربما يكون عندئذ في نوبة الليل . سقطت دموعها الجافة غزيرة على خديها . ما الذي تفعله هنا ؟ إنها تعيش في بيت

www.elromancia.com

"دان" تسعى إلى أحلام مستحيلة التحقيق ! كان كل شيء ميؤوساً منه ... دائما... استيقظت لتجد وجها أسمر قريبا منها ، حيث هزتها "جوزي" برفق وهي تحدق فيها :

– حان وقت العشاء ياآنسة "أنّا" ، قالت ذلك وأضافت قائلة : يرى السيد "دان" أنه من الأفضل أن تسيقظي حتى يمكنك معاودة ، النوم الليلة .

النوم ! إنه أسرع ما تلجأ إليه ، وهو أضمن وسيلة . ولكنها هزت رأسها وأخرجت ساقيها من السرير بعد أن تبين لها أنها تشعر ببعض التحسن . كان الشعور بالتراخي الذي يجلبه النعاس فيجعلها غير متماسكة قد بدأ يخف عنها تدريجيا، بينما حل محله ألم حقيقي أخذ ينمو عندما كانت تفكر في "دان" . لقد أحست على الأقل أنها حية . أخذت حماما ، ثم نظرت داخل صوان الملابس حيث وضعت "جوزي" فيه بعضها ..

كان كل ثوب تنتقيه يبدو فضفاضاً جدا عليها .. بعد فترة اختارت "روبا" ليموني اللون كان في إمكانها على الأقل أن تلفه حول جسدها وتربطه بحزام فلا يسقط عنها . عندما دخلت حجرة الجلوس التي كان الضوء فيها ناعما استدار "دان" . وأخذت عيناه تنتقلان عليها ببطء ، قال بصوت ممدود :

– عظام جميلة وسحابة رائعة من الشعر ولاشيء آخر ! وعلينا أن "نسمنك" وإلا خاب ظننا فيك .

تجهم وجهه فجأة عندما امتعضت وقال لها :

– لا أحب أن أراك تفقدين سيطرتك على نفسك .

ركز عينيه عليها عن قصد وفي الحال أحست بالقلق فقالت :

– وعندها سألقي بهذه التحف النادرة وأحطمها على الأرض .

قال لها بحدة وهو يلوي شفتيه عندما نظرت إليه بسرعة :

– لم أكن أفكر في هذا النوع من المرح .

لحسن الحظ حضرت "جوزي" لتعلن موعد تقديم العشاء ، وسعدت "أنّا" لأن الحديث تحول إلى موضوعات أكثر أمنا . وأخذت تنصت إلى "دان" وهو يتحدث عن الجزر .

أصابها الخوف مرة ثانية فيما بعد عندما دخلت "جوزي" وهما جالسان في غرفة الاستقبال يتناولان القهوة .

كانت قد قدمت كي تتمنى لهما ليلة سعيدة وهي ترتدي قبعة بيضاء صغيرة .

انفجرت "أنّا" ضاحكة وهي تودعها :

– هل ستنام وهي مرتدية هذه القبعة ؟

كانت مستمرة في الضحك ، ولكن إجابة "دان" أوقفتها :

لقد انتهى "آب" و"جوزي" من عمل اليوم وسيعودان إلى منزلهما ، وهي دائما ترحل بالزي الرسمي .

– البيت ؟ ألا يعيشان هنا معك ؟

نهض "دان" ليصب مزيدا من القهوة :

– لا ! إنهما يعيشان على إحدى الجزر الكبرى على بعد أميال قليلة من هنا ، والقارب الصغير الموجود عند المرسى ملكهما . لقد اشتريته لهما ، وهي الطريقة الوحيدة التي استطعت بها أن أحتفظ بهما كي يعملا عندي .

وكان الاتفاق أن أدعهما كل ليلة يذهبان إلى بيتهما ولم أجد مفرا من أن أوافق وإن كان ذلك مناسباً لي .

– إذن من ... أقصد .. أننا سنكون بمفردنا هنا ما إن يغادرا الجزيرة..

استدار كي يتفحصها :

– نعم ! ليس هناك ما يجعلك تقلقين ، وإذا ماحلمت بالقراصنة فما عليك إلا أن تصيحي ، وسأكون هنا في سرعة البرق .

لم تكن تقصد ذلك . لقد كان الأمر سيئا أن تكون مع "دان" في حضور أشخاص آخرين ، فكيف الحال وهما بمفردهما في جزيرة معزولة . أحست بالرعب عندما سمعت صوت القارب وهو يبتعد . انفجرت صائحة :

– ماذا .. ماذا سيظن الناس بنا ؟

اقترب منها ونظر إليها من أعلى :

– أي ناس تقصدين ؟ لقد كنت معي أمنة لسنوات طويلة فلماذا لاتحسين بالأمان الآن؟

www.elromancia.com

– إنني .. إنني أمنة ، ولكني أفكر في الناس الآخرين :

لم تجرؤ على أن تقول "دافني" ولم تكن تحب حتى أن تذكر الاسم في ذاكرتها .

قال متهكما :

– آه : أتعنين "برايان" .. ولكنه لايعلم شيئا ، ويمكنك فقط ألا تخبريه ... وهذا يكفي .

– إنني .. إنني لا أخفي عنه أسراراً أبداً .

كانت ردودها دائماً جاهزة . إنها لم تكن تخشى "دان" وإنما تخشى من نفسها.

كان يطل عليها من أعلى ، وثمة شعور غريب يسري من داخله إليها دون أية كلمة .

قال لها :

– إنه لايعلم أي شيء عنك بعد ، ويجب أن تحدثيه هاتفياً الآن ، فقد قلت إنه سيكون في غاية القلق .

كان حديثه لاذعاً للغاية ، وكأنه لايصدق ماتقوله عن "برايان" . أخذت السماعة وهي تبدي مرحا مفتعلا :

قالت لعاملة الهاتف :

– أرجو – شاكرة – أن تطلبي هذا الرقم .

– في الحال .

عندما دق جرس الهاتف رفع السماعة وناولها لها وأغلق الباب عليها بعد أن خرج فأحست بالراحة . لم يكن "برايان" متلهفا ولاقلقاً وإنما ببساطة دهش .

أجرت حديثا طيبا معه أطول مما اعتادت أن تجريه معه . كان أمرا طيبا أن تسمع صوتا مألوفا . كانت قد بدأت تفكر في أن أهم شيء بالنسبة لها هو أن تسترد صحتها . وكانت تشك في صحة قوى "دان" العقلية . ماذا يحدث لو حضرت "دافني" ؟ وعدم زواجهما لايعني شيئا . لقد رزقت "دافني" بطفل من "دان" ، وإذا كانا قد قررا العيش معا دون زواج ، فإن الأمر لايهم في الحقيقة.

إن "دان" ينتمي إلى "دافني" ولابد أنها ستغضب لو وجدت شخصا غريبا في بيته .

عندما انضمت إلى "دان" لم يكن مسروراً ، وأحست بالذنب لأنها كلفته قيمة تلك المكالمة .

– إنني .. إنني أسفة لأنني استغرقت وقتا طويلا في المكالمة ، فقد مر الوقت سريعا دون أن نحس به .

– من المفروض أنك في حالة حب ، وأنا أتذكر ذلك بالنسبة لي أيضا .

أبطأ في حديثه ، ثم ابتسم لها وفتح الباب قائلا :

– دعينا نتمشى على الشاطئ قبل النوم ، فالليلة مقمرة وسنبحث عن سفن القراصنة .

سارا صامتين على الشاطئ تحت ضوء القمر الفضي ، ولكنها كانت بداخلها مشدودة ومتوترة ، ولم يخفف ماقاله "دان" من توترها . حملها من الباب حتى حجرة نومها ولكنه خرج من حجرتها ببطء عندما وجدها تبتعد عنه بعد أن قال لها :

– عندما تستردين وزنك الطبيعي ، سآخذك في رحلة إلى "ناساو" وأشتري لك بعض الملابس ، فليس من الذوق أن أتركك في هذه الملابس المتسعة ، ولا أظن أنك تنوين أن تظلي نحيفة هكذا ، ولابد أن تعملي على التهام طعام أكثر مما أكلته في العشاء .

اعترضت "أنّا" بسرعة :

– إنني لا أحتاج إلى المزيد من الملابس .

– بل ستحتاجين . وأنا أطير إلى الاستديوهات من آن لآخر ، وأمر عادة على "ناساو" لتناول العشاء ليلا ومن الطبيعي أن تصحبيني .

– لن أظل هنا كل تلك المدة .

أخذت تترنح ، وهي على وشك أن تنهار وهي تفكر في مقابلتها لـ"دافني" وابن "دان" الصغير . هل تعلم "دافني" أنها هنا ؟ وهل أخبرها بذلك عندما تحدث معها هاتفيا ؟ ماذا ستظن بها ؟ وهي قبل كل شيء ليست شقيقة "دان" ؟

سألها "دان" بهدوء :

– كيف تنوين الرحيل ؟

www.elromancia.com

لابد أنه كان يمزح رغم عدم وجود ابتسامة على وجهه .

– هل اختطفتني ؟

كانت تمزح أيضا ، بينما ظلت ابتسامتها له مغرية .

– نعم .

– أتمنى ألا تلقي عليّ هذه النكات السخيفة يا "دان" .

أطلقت ضحكة صغيرة يائسة ، ولكنه ظل واقفا يراقبها وقد رفع حاجبيه ، بينما اتسعت عيناه الماكرتان ..

سألها برقة :

– من الذي يلقي النكات ؟

خرج وهو يغلق الباب عليها عندما بدأت ترتعد وقد اجتاحتها موجة عارمة من الإثارة . كان الأمر دون شك مثيراً للضحك ، ولكن وجهه كان جادا للغاية ...

دخلت الفراش وهي ترتعد رغم دفء تلك الليلة .

الفصل الخامس

كان من الواضح أن "دان" قد وضع لها نظاما غذائيا قاسيا دون أن يتقبل أية اقتراحات بشأنه . كان نظاما كاملاً . كان يعمل طوال النهار ويتجاهل وجودها.

وكان يدخل حجرة المكتب قبل أن تنهض من فراشها ويظل هناك ، وصوت الآلة الكاتبة يحذرها ألا تحاول إزعاجه .

كانت "جوزي" تحترم عمل "دان" بشدة ، وكانت تسير على أطراف أصابعها عندما تمر بالحجرة التي يعمل بها . أصبح الأمر في النهاية مسليا لـ "آنّا" .

وأصبحت تؤدي فقط العمل الذي يريحها : تستريح وتأكل وتتجول حول الجزيرة وتستحم في حمام السباحة خلف المنزل . أخذت صحتها تتحسن تدريجيا وازدادت سمرة بشرتها وأخذ وزنها في الازدياد شيئاً فشيئا . لم يكن "دان" يعلق ، ولكن كل ليلة عند العشاء كانت عيناه تفحصانها بسرعة ، وكانت ترى شفتيه تلتويان في سرور كلما لاحظ تقدم صحتها . كان أكثر الناس دقة . وكانت تجاهد كي تبعده عن حياتها ولكن تحقيق ذلك كان عسيرا ، ويزداد صعوبة يوما بعد يوم .

أحست في صباح أحد الأيام بعد الفطور بعدم صدور صوت الآلة الكاتبة من حجرة المكتب ، وعندما ذهبت إلى المطبخ أخبرتها "جوزي" بابتسامة مشوبة بالتآمر بينما انشغلت في تلميع الفضيات :

– السيد "دان" ؟ لقد رحل إلى "ناساو" مبكراً وطلب ألا ننتظره على الغداء وإن كان سيعود بعد الغداء مباشرة .

أحست بأنها وقعت في مصيدة ، وكأنه بالفعل قد اختطفها .

وأخذت تتساءل في قلق حول الأمر طوال فترة الصباح حتى قدمت "جوزي" طعام الغداء .

كانت لتوها قد انتهت من طعام الغداء عندما رجع "دان" ودخل حجرتها ، وقد

www.elromancia.com

حمل عدداً من العلب بين ذراعيه . قال لها بابتسامة واسعة وقد علت شفتيه علامات السرور :

– هل اشتقت إلي ؟

– لو أخذتني في رحلة للخارج لكان أفضل !

قال لها وهو يجمع الصناديق على طرف المائدة :

– لقد كنت أتسوق . لقد رأيت أنك تتحسنين وبالتالي فأنت في حاجة إلى ملابس جديدة من أجل رحلاتنا المنتظمة إلى "ناساو" كي نتناول العشاء على الأقل مرتين في الأسبوع .

– هل ذهبت للتسوق من أجلي ؟ وهل فكرت في أنها تناسبني ؟

لم تكن تدري : هل تسعد أم تغضب ؟

– لقد طلبت من "جوزي" أن تعرف أرقام ملابسك ، وعاونني أحد أصدقائي القدامى الذي يمتلك محل ملابس في الحصول على المقاسات المناسبة ، وقدم لي الألوان التي يمكن أن تناسبك ، كما ذهب معي إلى بقية المحلات ، وهأنذا قد أحضرت كل شيء .

يالك من فتاة ساحرة ناكرة للجميل !

لم يكن غاضبا وهو يخرج وينادي "جوزي" كي تعد له غداء متأخرا . نظرت "أنّا" إلى الصناديق بأحاسيس مختلطة . ما الذي قاله لصديقه ؟ هل أخبره أن أخته مقيمة معه ؟ وهل يعرف صديقه "دافني" ؟ ظلت غير مستقرة لفترة ، وأخيرا انتصرت عليها رغبتها في فتح الصناديق . أخذت تلتقط مابها وتلقي به فوق السرير . لم تكن لتستطيع أن تختار أفضل مما أحضره . كان ثوب السهرة يشبه ثوب الأحلام ويشبه إلى حد كبير الثوب الذي ارتدته عندما كانت رئيسة وصيفات الشرف في حفل زفاف "إلين" .

رفعت الثوب أمامها ونظرت في المرآة . أدهشها أن لون بشرتها عاد إلى طبيعته ، واستدار ذراعاها النحيلان بعض الشيء . كانت تبدو بصحة جيدة . والأكثر من ذلك أنها بدت سعيدة .

أخذت تدور حول نفسها والثوب يطير من حولها . جاء صوت ضحك "دان" من

خارج الباب المفتوح فجعل الدماء تصعد إلى خديها .

كان مستنداً إلى مدخل الباب ينظر إليها بعينين فاحصتين حتى إنها أحست بشعور حاد يخترق جسدها ..

صاحت :

– أوه يا "دان" .. إنه رائع !

قال بهدوء :

– وأنت كذلك . وسترتدينه في أول مرة نذهب فيها إلى "ناساو" . إنني لن أنسى تلك المرة التي رأيتك فيها في حفل الزفاف .

أخذت تغني أغنية تقول كلماتها : "أوه ! حاول أن تمنعني" ! . تقدم ببطء نحوها . قال برقة :

– لن أحاول أن أمنعك مهما فعلت .

وقف أمامها وهو ينظر إليها .. لم تستطع أن تنزع عينيها عن وجهه . تكورت أصابعها على الرداء ثم أخذت نفسا عميقا .

تابعت عيناه حركة أصابعها ، فمد يده ثم أخذ منها الرداء وبسطه فوق السرير. كانت واقفة دون حركة ، وساقاها من الضعف بحيث لم تستطع الحركة ، وتقبلت الأمر كحكم القدر عندما تقدم منها ووضع وجهها بين يديه كما فعل في المرة السابقة .

سألها برقة :

– والآن .... مم تخافين ؟

كانت عيناه تتجولان فوق وجهها ، بينما أخذت أصابعه تدلك عنقها بلطف . أغلقت عينيها ببطء غمغم :

– لن يؤذيك أحد يا "أنّا" .

قبل جبهتها برقة ، ثم رحل تاركا إياها ترتعد وتحارب خيبة أمل بالغة كانت تحس بها .

لقد أرادت منه أن يقبلها وعواطفها جائعة ولاتستطيع التحكم فيها . ولكن لم يقصد أن يقبلها ولم يرد ذلك ، ولماذا يريد ؟ عنده "دافني" وابنه وحياته الخاصة

www.elromancia.com

هنا التي لاتعرف عنها شيئاً .

إن عواطفها الخاصة خطيرة وتكاد تسيطر على كل أفكارها .

بدأت تتمالك نفسها تدريجيا . ليس من الصعب أن تتمالك نفسها مع "دان" .

لقد كان جزءاً مألوفاً جداً في أفكارها ، فلماذا يصبح غريبا عليها ، وهي ليست وحيدة . هناك الكثير من الهدوء والراحة حتى إن التفكير في الوحدة أصبح أمراً غير وارد عندها . إنه مكان فيه تندمل الجراح .

* * *

رغم أن الجزيرة لاتزيد على ثلاثة أميال مربعة إلا أنها بدت مترامية الأطراف . واستطاعت "أنّا" أن تتجول في معظمها بعد اتباع إرشادات "دان" ، كان الساحل هو الذي أثار إعجابها واهتمامها أكثر من أي مكان آخر . كانت الرمال بيضاء ناعمة ومياه البحر الصافية بلون "التركواز" كلها تشكل سعادة لاتنتهي .

كانت تريد أن تكتشف أسرار عالم ماتحت البحار . ورغم أنها لم تكن تخبر "دان" عن أماكن وجودها فقد كان يعلم أين تمضي معظم أوقاتها .

قال لها في صباح أحد الأيام وهو ينضم إليها في جولتها في البحيرات الصخرية وهي تتطلع إلى عالم المياه بعينين مفتونتين :

– أعتقد أنك أصبحت مستعدة لمحاولة الغطس تحت المياه .

– الآن !

لم تستطع أن تكبح حماسها الذي بدا واضحا في صوتها ..

ابتسم لها وأومأ موافقا .

– لم لا ؟ كان من الواجب علي أن أكون أكثر اهتماما بك . وأعلم ذلك ، ولكن عندما يستحوذ عليّ الكتاب فمن الصعب علي أن ألاحظ أي شخص آخر بجواري .

– لقد لاحظت ذلك .

كانت لهجتها الجافة قد جعلته يتحول بنظره إلى وجهها .

– أتشعرين بأنني أهملتك ؟ لقد كان لدي اعتقاد بأنك تريدين أن تظلي وحيدة.

غمغمت في ارتباك :

– إن لك طريقة غريبة في السخرية !

ولكنه استمر ببساطة يتطلع إليها . ثم غمغم وقد ركز عينيه الحادتين :

– أسخر ؟ وماذا يحدث لو أخبرتك أنني عقدت النية على ألا أدعك تذهبين .

قالت بعصبية :

– سأهرب بقارب "آب" و "جوزي" . أرجو أن تكون جادا يا "دان" ... هل يمكننا أن نغطس الآن ؟

– بالتأكيد .

عاد إليه طبعه الأمريكي ، وتذكرت "أنّا" في الحال "دافني" والطفل الصغير .

ذهبت النظرة الشغوف من فوق وجهها ونظر إليها "دان" متسائلا :

– لقد عرضت أن أصحبك ، ولعلك تذكرين أنها كانت فكرتي من البداية . لماذا هذا التردد . هيا تعالي !

عاد إلى المنزل وتبعته "أنّا" وهي تحاول الإبطاء . لقد ذهبت عنها الفرحة كلها.

كان من السهل عليها أن تنسى كل شيء طالما كان هو موجودا . والعقل عادة يتذكر الأشياء السارة التي لا ضرر منها .

انتظرها في الشرفة ، ثم قادها إلى خلف المنزل وهو يتجاهل تقطيبتها . كانت المعدات مكومة بالداخل ، ودهشت عندما وجدت نفسها أقل ميلا للشعور بالبؤس عندما سحب "دان" الأقنعة وأسطوانات الهواء والزعانف المطاطية . أمرها وهو يشير إليها كي تدخل حجرتها . وقد أخذ يفحص ضغط الهواء بالأسطوانات !

– ارتدي البكيني !

عندما خرجت من حجرتها كان هو عائداً للمرة الثانية من القارب لأخذ معدات أخرى .

ظهرت "جوزي" وهي تحمل سلة بها بعض الأطعمة الخفيفة أخذتها منها "أنّا" وهي فرحة ، وعيناها مركزتان على "دان" ، سألته :

– هل سنظل بالخارج لفترة طويلة ؟

www.elromancia.com

كان صوتها قلقا بعض الشيء والحقيقة أنها أحست بعدم الارتياح فجأة نتيجة الإثارة أكثر من الخوف .

استدار "دان" كي ينظر إليها ، ثم حول نظره في الحال بعيداً عنها . أجاب عن سؤالها :

– هذا يتوقف على مدى استعدادك كتلميذة . إذا لم تستطيعي أن تتقني الطرق الفنية للغطس فسنعود فورا ونتناول الغداء في الشرفة .

كان قاطعاً بقدر ما كانت سريعة الغضب . ضغطت "أنّا" شفتيها في غضب .

وأتاح له تعبير وجهها الفرصة كي يبتسم ابتسامة ماكرة . أجلست نفسها في القارب بينما أمسك بعجلة القيادة وتوجه إلى عرض البحر حيث قام بجولة حول الجزيرة . كانت تتوقع أن يبتعدا عن الشاطئ ، الأمر الذي جعلها تحس ببعض الخوف ، ولكن بعد تلك الجولة لم يعد لديها ماتخشاه .

عندما توقف القارب أخيرا وألقى "دان" الهلب "كي يشتبك بأحجار القاع ؛ نظرت "أنّا" حولها في دهشة – كانت تعتقد أنها اكتشفت كل عجائب جزيرة "أماراكاي" أثناء تجوالها . ولكنها لم تتعرف على هذا المكان . لم يكن له شاطئ. وكانت النباتات الخضراء الكثيفة ممتدة حتى داخل المياه وتغطي تلك المياه في أماكن كثيرة . بينما تقف في أماكن أخرى عند الأحجار البيضاء والصخور الصغيرة . كان مكانا هادئا للغاية .

لم يكن هناك وقت كي تحملق في المكان . لقد حضرا للغطس ، وبدأ "دان" استعداداته . كان رجل أعمال فعلاً . ناولها (حلة غطس) وعيناه تراقبانها وهي تندس فيها . قال لها :

– إنني أعتقد أنها تناسبك . سألته بعصبية وهي ترغب في أن تزيل توترها الناتج من نظرة عينيه الماكرتين المركزتين عليها عن عمد أكثر من أن تعرف رد السؤال:

– هل اشتريتها ضمن مشتريات اليوم ؟

– لا ، إنها تخص إحدى صديقاتي التي تحب الغطس ولن يهمها أن تستعمليها مرة .

كان اسم "دافني" أول ماورد على بالها ، ولكن قد تكون صديقة غيرها . فنظام حياة "دان" يتحمل أكثر من امرأة .

– هل كانت تغطس هنا ؟ أعني عندما تحضر لتبقى معك ... تملكتها رغبة خبيثة أن تعرف المزيد عنها . وأن يخبرها عن كل امرأة جاءت إلى نفس المكان، مما جعلها تحس وكأنها طفلة ، ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من السؤال .

– لا ! إنها غطاسة ماهرة وعادة مانغطس في "أندروس" .

– هل ستذهب معك هناك عندما أتقن الغطس ؟

كان ببساطة لايزال يحملق فيها وهي لاتعرف ماتفعله سوى أن تسأل أسئلة سخيفة .

– أنت ؟ لا أعتقد . هناك مياه عميقة ، على عمق ألف قدم على الأقل . ومهما بلغت براعتك فلن تستطيعي الغوص هناك .

– ربما أصبح في براعة صديقتك !

استدار بعيدا عنها بعصبية ، وبدأ يعلق أسطوانة على ظهره دون أن يجيب عليها .

لاحظت أنه لم يرتد ثوب غطس . كان كل مايحميه هو سرواله القصير و"التي شيرت" .

كانت رجلاه الذهبيتان في منتهى القوة ، وأظهر السروال القصير مدى قوة فخذيه . أخذت عيناها تتجولان فوقه بمحض إرادتها . بينما اندفعت الدماء إلى خديها عندما رأته يتابع تقييمها له . قالت بسرعة :

– إنك لاترتدي ثوب الغطس ؟

رد عليها بجفاء :

– أعرف ما أفعله . ليس أسفل المياه أقل خطرا من الوجود على سطح القارب. أرجو ألا تلمسي أي شيء ما لم أخبرك بأنه آمن ، فقد تمزقك الصخور ، وهناك العديد من الأشياء الكثيرة التي يمكن أن تلتصق بك أو تمزقك . مثل قنفذ البحر بأشواكه وقناديل البحر. أرجو أن تلتصقي بي حتى تتمكني من معرفة مواطن الخطر بنفسك .

www.elromancia.com

هزت "أنّا" رأسها بجدية وأخذت في مراقبته وهو يستعد . سألته ووجهها أحمر من شدة الارتباك ، ولكن الكلمات انسابت من فمها :

– هل .. هل تقيم معك في المنزل ؟

– بالتأكيد .

لم يسألها عمن تتحدث . كان يبدو عليه أنه يعرف أنها مهتمة تماماً بالمحادثة السابقة

– هل كانت تنام في نفس الحجرة التي أنام فيها ؟

سألها ببرود :

– أتعنين هل تنام معي ؟

تورد وجهها خجلا لأنها كانت تعني ذلك وأنه فهمها .

– إنني لا أعني شيئا من هذا القبيل .

– إذا لم تقصدي شيئا من هذا القبيل فلا تريدين إذن إجابة . أليس كذلك ؟

استدار إليها وناولها الزعانف المطاطية ، فانحنت كي تلبسها وقد أسعدها أنها كانت تنظر بعيدا عنه ، عندما فردت جسمها وجدته ممسكا بأسطوانة هواء وأدار إصبعه كي تستدير ليعلق الأسطوانة على ظهرها . أحست بثقل الاسطوانة على كتفيها عندما ربط الأحزمة في أماكنها ، ثم استدار ليتأكد من أربطة السلامة .

– والآن بقي القناع .

ذهب إلى جانبها ثم نظر حوله وأشار إليها كي تتقدم :

– سأقفز من فوق السطح ، وأنت انزلي السلم بحذر ، وانتظري عندما تلمسين الماء . ضعي القناع في مكانه ثم انتظري حتى أطلب منك التحرك . هل اتفقنا؟

هزت رأسها ونظرت بعيدا . أحست بعدم الراحة والوحدة . لقد بعد عنها في كلمات بسيطة وذهبت معه كل صداقتهما التي سبق أن عثرا عليها . فجأة أصبح صوت "دان" أكثر رقة ، وأمسكت يده بذراعها :

– لاتخشي شيئا !

نظرت إليه بتصميم ثم أومأت :

– لست خائفة على الإطلاق .

كان قد بدأ يخطو عند حافة القارب ، ثم سقط بظهره إلى المياه الصافية اللامعة .

كان باستطاعتها أن تراه طوال طريقه إلى أسفل البحر ، وكان جسده قوياً وهو يضرب الماء بقدميه بقوة . أصابها الغيظ لعدم قدرتها على أن تنزل الماء بنعومة وهدوء مثله ، ولم تكن قادرة على تجربة أي شيء فيه خطر في نفس الوقت . لقد أخبرها أن هناك مياها عميقة في "أندروس" وإن بدا في مكانها أن العمق كاف ، حتى ولو أنها كانت ترى قاع البحر المغطى بالرمال البيضاء .

– حسنا ! هيا تعالي عندي !

كان فوق سطح الماء على بعد ياردات . وجدت أن الزعانف ليست معوقة في الماء كما تصورت وهي فوق القارب . سبحت ناحيته وهي تضرب بقدميها الماء ، وبدت بوجهها ابتسامة هادئة عندما شعرت أنها حرة في الماء .

حذرها "دان" :

– لاداعي للعنف ، فإن النعومة مطلوبة .

أنفق وقتاً بدا كالدهر في تعليمها كيفية استعمال المعدات ، ثم غطس بعيداً ، وهو ينظر إليها من خلال قناعه وقد حول ضوء الشمس – خلال الماء – شعرها إلى لون الذهب المحروق ، وأخذت يده البنية اللون تلوح لها ، فغطست وهي خائفة للغاية نحوه ، وعقلها يتبع بسرعة تعليماته .

كان الأمر خرافياً . كان يتحرك ببطء بعيداً عنها ثم ينظر خلفه كل عدة ثوان ليتأكد من أنها تتبعه .

بعد فترة بدأت تستمتع حقاً باللعبة . إنها فعلا في أرض العجائب . كانت الشعب المرجانية مثل الورود تحتها ، وحولها الأسماك الملونة البراقة من كل جانب . كان جمالها لايقارن ، ونسيت "أنّا" كل ماكانت تشعر به من قلق . وكان كل ما يضايقها هو أنها لاتستطيع أن تتكلم مع "دان" لتعرب عن إعجابها بما تراه .

بعد مدة طويلة لمس ذراعها ، وأشار إليها كي تصعد إلى أعلى فظنت أنهما

www.elromancia.com

عائدان إلى القارب . ولكنهما في الحقيقة كانا بعيدين بمسافة كبيرة . عندما تبعته غطس فجأة ففعلت مثله ، فوجدت نفسها في كهف تحت الماء رائع الجمال . كانت أشعة الشمس تنفذ إلى داخله . وعندما صعد "دان" إلى السطح صعدت مثله وأبقيا رأسيهما فوق الماء . رفع قناعه ، فقلدته وقد أضاءت الإثارة وجهها . قال :

– تمتعي بالمنظر .

– "دان" ... إنه خرافي ! أستطيع أن أظل هنا للأبد .

ضحك :

– أمامك خمس عشرة دقيقة فقط . لاتنسي هذا . وإذا خالفتني فسأحبسك في الشاطئ إلى أن يشاء الله .

– يالها من رياضة للتدليل !! وعلى أية حال فأنا أكاد أموت جوعا .

– هذا هو أعقل ماقلت منذ غادرت إنجلترا . هيا بنا نعود إلى القارب .

أمسك كتفيها وأحنى رأسه ثم قبلها قبلة سريعة ثم وضع قناعه فوق وجهه الخالي من التعبيرات . ثم غطس تحت الماء .

مرت ثانية حتى استطاعت أن تتبعه . أضافت القبلة السريعة سحرا إلى الشعور الذي أحسته دون جميع الناس . وكان الماء اللامع مكانا غامضاً لها ولـ"دان" فقط .

رأته يصعد بسرعة ، فتبعته ثم ساعدها على الصعود فوق سطح القارب الدافئ المشمس . أخذت يدا "دان" القويتان تخلعان عنها معدات الغطس ، ودلت ساقاها المرتعدتان على أنها لم تعد إلى حالتها الطبيعية تماماً ، وأن "دان" كان على حق عندما قلل من وجودها تحت الماء .

تناولا غداءهما ، ثم فردت "أنّا" منشفتها وتمددت تحت مظلة القارب بعيداً عن الأشعة الحامية للشمس التي جففت جسدها أثناء تناولها الطعام . ظل "دان" في الشمس ، وقد تعود على سطوعها . لم ترغب في أن يسمرّ جلدها أو يحترق فيفسد كل شيء . ظل في مخيلتها في صورة مهزوزة وهي تستغرق في النوم : صورة القارب السابح في هدوء ، وهو يمسح معه كل متاعبها .

عندما استيقظت بعد مدة وجدته بجانبها ينظر إليها من أعلى . جاهدت كي تنهض وعاونها كي تقف على قدميها :

– أوه ! لم أقصد قط أن أنام . هل سنعود إلى الماء ثانية ؟

– لا ! أعتقد أنك نلت كفايتك اليوم . غداً إذا استطعت أن أرتب مواعيدي ... لم ترتكبي أي خطأ ولم تتعرضي للخطر . ويبدو أننا سنحقق تقدماً سريعاً .

– لم أكن أظن أنني صالحة .

ألقت إليه نظرة ساحرة ، ولايزال جزء من عقلها في دنيا الأحلام . لم يعد هناك حاجز بينها وبين "دان" :

– إنك لست صالحة . كل ما في الأمر أنني كنت حذراً معك . إنني أحس الآن أنني كنت في خطر شديد في الظهيرة ، ونجوت بأعجوبة .

من يعلم ؟ لو استمر بنا الحال مدة أطول فقد يظهر "عفريت البحر" ويقع المحظور .

– ماهذا ؟

كان وجهها يحمل الخوف الساحر الذي كانت تبديه أيام طفولتها عندما كانت تنظر في عينيه المرحتين ثم يتحول إلى الجدية .

– إنه حيوان له عينان حمراوان ، وثلاث أرجل ويتعلق من ذيله فوق الأشجار . وكل وظيفته أن يسبب المتاعب .

ظهر الغضب المرح على وجهها عندما تبين لها أنه كان يمزح فقالت :

– لا وجود لمثل ذلك الحيوان في الحقيقة .

– لاتثقي في نفسك أكثر من اللازم . لم أكن أظن أن هناك "حوريات بحر" ولكني أدرك كم أنا مخطئ عندما أنظر إليك !

جرت عيناه على بشرتها التي أصبحت ذات سمرة لطيفة ، وكان لون "البكيني" الأسود يختلط بلون جلدها . بينما شعرها الأسود المتلألئ قد جففته الشمس .. أحست بأن جلده يمس جلدها فارتعدت عندما وقعت عيناها على عينيه .

مد ذراعيه وأحاطها دون توقع ، وجذبها نحوه بينما يده تمسك بشعرها الحريري الأسود المنسدل على ظهرها ، حتى وصل إلى خصرها ، اضطرتها

www.elromancia.com

قوة احتضانه لها أن ترفع رأسها ، حتى أصبح وجهه ملاصقاً لوجهها . أمرها بصوت مبحوح :

– قبليني ياحورية البحر ! لقد أحضرتك من البحر ... وأنت مدينة لي الآن بأمنية.

– "دان" !

اختلط الذعر والضحك على وجهها ، ولكنه انتظر وشفتاه تحومان حول شفتيها وذراعاه تضمانها أكثر .

لأول مرة في حياتها تحس "أنّا" بجلده يلامس جلدها ، أفلتت دفعة من الإثارة من شفتيها ، حيث كانت العواطف المحرومة تمرح داخلها . شحب كل شيء داخل عقلها ولم يوجد سوى إحساسات خطيرة من الإغراء المصحوبة بالحذر .

أخذت عينا "دان" تخترقان عينيها ، وذهب عنهما الضحك .

– قبلني !

قالتها في همس ضاع وسط صوت البحر ، بينما كان صوت نبضات قلبها يعلو على صوتها ، في حين تحركت نحو شفتيه الطويلتين الحازمتين .

ردد اسمها في أعماق حنجرته بصوت مبحوح ، فأغلقت عينيها بينما أخذت شفتاها المرتعدتان تمسحان شفتيه ، فجأة أصبحت قبلتهما محمومة ، وترك شعرها بينما جذبها بشدة نحو صدره .

تذكرت أنه يجب عليهما العودة إلى المنزل ، وتذكرت مكانها فيه . جاءت صورة "دافني" وابنها لتخرجها من الحفرة التي كادت تقع فيها بمحض إرادتها .

سحبت نفسها وأدارت ظهرها وهي تشعر بالعار كما لم تشعر به من قبل .

وضع يديه على كتفيها وهو ينادي اسمها ، ولكنه لم يحاول أن يدير وجهها نحوه...

لم تكن تستطيع مواجهته وأحست به ينسحب منها حتى قبل أن يرفع يديه من فوق كتفيها وقال :

– إني آسف ! من المفروض أن الشمس مغرية ومثيرة للغرائز ، وهو أمر واضح بالفعل . قد يكون من الأفضل أن أعود إلى كاليفورنيا بعد هذا .

اعترفت له في صوت كان يحمل بعضا من شعورها بالخجل .

– إنها .. إنها غلطتي .. لو كنت ...

– إذا لم تكوني ... ماذا ؟ إذا لم تكوني أنت ؟ لا أستطيع أن أفكر في أي شخص آخر يمكن أن تكونيه . لذا لا تحاولي أن تتقلي نفسك بهذا الذنب . نحن – الاثنين – نعلم تماما ماذا حدث ولماذا ؟ كل هذه الخصومة وكل هذه الحرارة المخزونة .

نعم كانت تعلم أن حب "دان" استحوذ على فكرها منذ كانت طفلة إلى أن صارت امرأة لها رغباتها . ثم بالنسبة لـ"دان" ، أليس هو الآخر رجلاً قبل كل شيء؟

لقد مر وقت طويل منذ أحس بالحاجة إلى حمايتها . وهذه الفكرة جعلت الدموع تطفر من عينيها . مالذي فعله سوى حمايتها عندما كانت مريضة بالكلية ؟ وهي هنا أيضا من أجل حمايتها ، كانت مشوشة لدرجة اليأس ، وكل حاجز بنته بينها وبينه خلال أربع سنوات قد انهار .

قالت بصوت هادىء بالقدر الذي سمحت به شفتاها المرتعدتان :

– لابد أن أذهب إلى المنزل .

كانت عيناها مركزتين على هيئته الذهبية الوسيمة وهو منحن فوق عجلة القيادة ويده على ذراع السرعة ، قال لها ساخرا :

– حسنا : سأدور حول الجزيرة ثم أقفز عبر الأطلنطي وبذلك نحقق رقماً قياسياً .

– إنني جادة !

– هذا ما أحسه ، ولكن لسوء الحظ أنني لم أستغرق الوقت الكافي كي أتأكد من نفسي . ربما في المرة القادمة نستطيع أن نقيم الوضع بطريقة أفضل .

قالت "أنّا" بصوت حاد ، بينما كانت تمسك منشفتها بعصبية :

– لن تكون هناك مرة ثانية .

– إنها جزيرة صغيرة ياعزيزتي . وأنت فوقها وكذلك أنا ، والمسكين "برايان" على بعد أميال عديدة ، وقد كرس حياته للعلم . وسيحدث الأمر ثانية ؛ لأن

www.elromancia.com

الموضوع كان يغلي مدة طويلة .

أدار محرك القارب متجاهلاً إياها ، وجلست مشدوهة ، كانت ساقاها غير ثابتتين ، وعقلها لايصدق ماسمعته منه . سيحتفظ بها حتى ...

تحرك القارب ثم استدار ناحية الجانب الآخر من الجزيرة . سارت بسرعة للأمام كي تقف بجواره وهي تنظر إلى وجهه وهو يحملق في البحر . سألته بصوت مشدود خائف :

– دعني أعود إلى وطني !

– لا .

لم ينظر إليها . كان وجهه باردا وشاردا ، وكانت تعلم أنه لاينوي أبداً إطلاق سراحها .

لم تكن تفهمه على الإطلاق . لقد ذهب "دان" الذي تعرفه وحل محله شخص غريب مخيف ... لكنه مثير .

– يا "دان" !

قال لها بخشونة !

– وفري على نفسك المجادلة ... لن أتركك ترحلين .

* * *

كان من المستحيل أن يستمر الحال على ما هو عليه . كانت تعلم ذلك رغم أن "دان" كان يتصرف كما لو أن شيئا لم يحدث إطلاقا . ولكنه حدث بالنسبة لها . لقد جاءت لحياة مثيرة ، وأخذ ضميرها يضعف يوما بعد يوم وعيناها على "دان" باستمرار .

كانت تذهب معه أينما يذهب ، ولم يكن لها الخيار . وذهبا على الأقل مرتين أسبوعيا إلى "ناساو" للعشاء وللرقص حتى ساعة متأخرة من الليل ، كانت في البداية قلقة وخائفة عندما يلمسها ولكنها بالتدريج أخذت تخفف من قلقها ، واقتصر الأمر على مجرد ارتعاشة عندما تبتسم عيناها في عينيه وعندما يمد يده ليمسك بيدها . وكل ما كانت تحسه من خوف وشعور بالذنب إنما كان مجرد

عذر كي تكون بين ذراعي "دان" . وأخذت تدعو ألا يلاحظ ذلك . لقد كان مجرد حلم ، وهي تعترف بذلك . وكان الأمر يبدو له مجرد تسلية .

كثيرا ما زارا جزرا أخرى أثناء النهار عندما كان "دان" يعلن فجأة أنه انتهى من عمله ، فينزلق القارب الأبيض فوق المياه متخذاً طريقه إلى أماكن مثيرة وجديدة .

لم يكن هناك زحام بعيداً عن "ناساو" ، وكل شيء مريح ، وكانا يضحكان بيسر. كان يقص عليها قصصا خرافية عن الجزر الخارجية ، بعضها يصعب تصديقها . وكان أهل الجزيرة الذين يتحدث عنهم أكثر غرابة .

جلست "أنّا" على الحائط الحجري المحيط بالميناء بعد يوم من التجول في جزيرة "القط" . أخذت تعتاد معرفة كيف يفكر "دان" ، وكانت تأكل من الأناناس وهي تستمع إلى حديث أحد عجائز "الباهاما" . كان "دان" يجمع مادة لكتابه ولم يكن لدى العجوز أية فكرة عن أن ذكرياته ستسجل . شرد ذهنه وأخذت عيناه تفقدان اهتمامهما بأقوال الرجل كي تتركزا على "أنّا" . قال الرجل العجوز بفخر وعيناه تدلان على الرضا وهي مستمتعة بالأناناس :

– إنه أحلى "أناناس" ينمو في الجزيرة ، ولدينا كل شيء .

ثم بدأ محاضرة طويلة عن الأدوية الطبيعية المستمدة من الأشجار والأعشاب بطريقة جعلتها تضحك . لم تسمع في حياتها كل هذه الأوجاع والآلام ولاكل هذه الأدوية المنوعة .

أصبحت حرة تضحك عندما رحل الرجل العجوز ، وأدار "دان" عينيه اللامعتين نحوها :

قال أسفا :

– للأسف ، إنني لم أكن أعرف كل هذا ، وإلا لكان في إمكاني أن أحضرك هنا فور أن وطئت قدماك "الباهاما" ولأصبحت في صحة جيدة من وقت طويل .

ضحكت وقالت !

– أو تسممت !

قال لها "دان" بجدية وهو يثير انتباهها !

www.elromancia.com

- إنه لم يخبرك عن "أوباه" .

- "أوباه" ! ما هذا ؟

- إنه سحر لا يزال يمارس هنا بواسطة العجائز ، رغم أنهم لايتحدثون عنه . وكان من الممكن أن يبوحوا لك به واضعين في الاعتبار منظرك بشعرك الطويل الأسود . وفكري ماذا تفعلين بجرعات قليلة من السم .

قالت بسرعة وهي تعلم تماما ما هي جرعات السم القليلة التي يتحدث عنها .

- كان من الممكن أن أجربها مع "برايان" .

سألها "دان" برقة بعد أن ذهبت عنه نوبة الضحك فجأة مثلما جاءت فجأة :

- "برايان" .. من هو ؟

كان عليها أن تتجاهل الأمر . إنها لاتستطيع أن تتواءم معه عندما يصبح في تلك الحالة .

اشتكت وهي تحاول التهرب بالنظر حولها بحثا عن حقيبتها :

- إن أصابعي لزجة .

غمغم "دان"

- العقيها .

قبل أن تتمكن من التحرك كان قد أخذ يدها في يده ، ورفع أصابعها الملفوفة إلى شفتيه ووضعها في فمه الدافئ . قالت له :

- لاتفعل !

أخذ كل جسدها يرتعد وكأنه تعرض لصدمة كهربائية ، فسحبت يدها بسرعة وهي تبحث عن منديلها :

- إنني أحاول فقط أن أساعدك .. !

طمأنها برقة وأمسك بذراعها ، وقادها ناحية القارب وكأن شيئا لم يحدث البتة. ربما فعلا لم يحدث شيء بالنسبة له . أما بالنسبة لها ، فإنه خطوة أخرى في طريقها . شيء آخر يشعل استحواذه المتوحش عليها . كان صوته دائما يأتي عميقا ودافئا وناعما . وكانت تدفئ نفسها في حرارة ذلك الصوت كلما مرت الأيام . أحيانا ما يكون هادئاً فجأة ودون توقع . وعندما تلتقي عيونهما ، حيث

يسيطر على عينيه ذلك اللمعان العميق وكأنه يقرأ ما يدور بذهنها .

أصبحت الرحلات إلى "ناساو" في مرارة الدواء : رغبة حارقة في أن تكون بين يديه . وعندما كانا يعودان ، غالبا ما يبقى "دان" صامتا تاركا إياها لتسير ساعات ، ويصبح وجهه متوترا في اليوم التالي .

أصبح من العسير أن يصبح طبيعيا ، وغالبا ما ظنت أنه كان يحاول زيادة التوتر عن عمد .

كان الأمر بمثابة مسلسل إثارة ، يجري كل يوم ، وهو قوة كانت تسحبها إلى القاع .

www.elromancia.com

الفصل السادس

كانت "أنّا" تنتظر كل يوم و"دان" يعمل ، ولم تطلب منه مرة ثانية أن يعيدها إلى منزلها . ربما يكون اختطفها ! لم تعد تهتم . كانت تستلقي كقطة سعيدة بجوار حمام السباحة ، وجسدها يثور كلما فكرت في "دان" .

كانت مشاعرها الداخلية تزداد يوماً بعد يوم . وكانت أعينهما تلتقي كل يوم لفترة قصيرة . أخذت تزداد بمرور الأيام . كانت ترسم ابتسامة مغرية على وجهها وتفتح عينيها لترى "دان" واقفاً هناك يراقبها .

تورد خداها ولكنها نظرت بعيدا . ثم التقت بعد ذلك أعينهما وأخذت أيديهما تشتبك ثم تنفصل ببطء . رفضت أن تبعد نظرها ؛ لأنه تولد بداخلها نوع من الجنون : رغبة في أن تعاركه ، وأن تحتفظ به لنفسها . كانت ساقاها داخل الماء وتقدم للأمام خطوة ، وكان يبدو من عينيه أنه أدرك مشاعرها العميقة .

أرعبها ذلك ، فأبعدت نظراتها عنه وهي تعلم أنها كانت تناديه بعينيها ، وأنه كان في تلك اللحظة مستعدا للاستجابة . لم تعد على وجهه أثار التهكم وإنما رغبة بدائية تعبر عن فحولة تكاد تكون عدوانية .

نهضت فجأة على قدميها وأسرعت عدوا إلى البيت وهي تنظر وراءها وتقول :

– سأبدل ملابسي وأذهب للتمشية .

كانت مدركة تماما أنها بتصرفها إنما تتعمد الإغراء ، وكانت مستسلمة ولا يمكنها المقاومة .

لم يحاول معها ، وكانت تعلم أنه سيسترد وعيه ، وسيغضب منها ومن نفسه .

لقد أصبحت الحياة عسيرة . كانت تقضي كل أيامها وهي تتمنى أن يلمسها "دان" ، وكل ما كانت تفعله هو أنها كانت تسعى للدمار .

جلست على حافة سريرها وهي تحاول أن تشعر بالاشمئزاز من نفسها ، ولكن ذلك الشعور لم يأت . كان "دان" يعرف حقيقة مايدور في نفسها ، عندما عادت وهي أكثر خوفا بعد أن بدلت ملابسها .. سمعت صوت الآلة الكاتبة خلف باب

حجرة المكتب الموصد . فيم يفكر في هذه اللحظة ؟ هل كان غاضبا منها أم مستاء؟

كانت تعلم أن الواجب عليها أن تصر على العودة إلى إنجلترا ، ولكنها عجزت عن أن تنطق بالكلمات ؛ لأن معنى ذلك ألا تراه مرة ثانية ، عضت شفتها السفلى ، وكادت تطير ، إذ لحقت بها "جوزي" عندما خرجت إلى الشرفة ، وبيدها خطاب .

– هذا خطاب لك ياآنسة "أنّا" ! ... من إنجلترا .

كان ظرفا سميكا لونه "بني" وبدا أنه يحتوي على أكثر من خطاب . ومن الواضح أنه أرسل بالبريد .

عادت إلى حجرتها كي تفتحه ، وجلست على السرير . بينما كان قلبها غير منتظم الضربات من مواجهتها لـ"دان" .

سقط خطاب من "برايان" ونظرت إليه دون أن تفتحه . وكان عقلها يراه مجرد شبح ؛ لأن كل شيء في حياتها أصبح حلما مهزوزا ، وهي في هذا المكان الذي كان الحقيقة الوحيدة بالنسبة لها ، ولكن قلبها خفق بسرعة عندما سقط الخطاب الثاني وعليه خاتم الكلية .

نعم كان من الكلية . تجرأت وفتحته .. في غمرة الإثارة التي نتجت عن وجودها مع "دان" نسيت كل شيء عن الامتحانات النهائية وعن الحالة التي كانت عليها في ذلك الوقت . قرأت الخطاب ببطء ثم أعادت قراءته ثم نهضت على قدميها ، وأسرعت إلى "دان" ولايهمها سوى أن يشاركها فرحتها .

نظر إليها في دهشة عندما اندفعت داخل حجرة المكتب وكأنها فوق موجة عاتية. أعادتها نظرته الجامدة إلى صوابها .

بدأت حديثها وهي تلهث والخطاب في يدها .

– لقد وصلني بعض البريد من إنجلترا .

لم يكلف نفسه حتى بالنظر إليها .. وقال بمكر :

– خطاب من "برايان" ... هل أحضرته كي أقرأه ؟ ... كم أنت لطيفة !

غطت وجهها سحابة من الضيق ونظرت إليه مؤنبة :

www.elromancia.com

– لقد نجحت في الامتحانات النهائية ، وظننت أنك ربما تود أن تعلم .

نهض ببطء وقد علت شفتيه ابتسامة عريضة . دار حول المكتب واقترب منها حيث وقفت في مدخل الحجرة . سيطر عليها شعور أنه لم يكن من الواجب أن تكون هنا أساسا . كانت تلك أحاسيسها الداخلية .

بدأت تتكلم ولكنها لم تستطع الاستمرار :

– إنني أسفة لأنني دخلت عليك فجأة .

كان لايزال يبتسم ويشاركها فرحها :

– أوه يا "دان" ! لقد نجحت !

كان واقفاً أمامها وهو يراقب وجهها وابتسم لها :

– كيف ؟

– لقد كان ترتيبي الأولى !

ألقت ذراعيها حول رقبته ونسيت كل شيء عدا ذلك . والخطاب يتمايل في يدها بينما ضمتها ذراعاه بقوة حتى أوشك أن يرفعها من فوق الأرض :

– لم أتوقع درجة أقل من هذه !

انسحبت للخلف وأخذت تنظر في عينيه :

– ولكني كنت في حالة ارتباك ، وكانت الأرقام بالنسبة لي ألغازاً أحياناً ... لست أدري كيف فعلتها ؟

قال لها برقة ، بينما عيناه تبرقان في عينيها :

– إنه من أعمال السحر !

فجأة أحست بنظرة عينيه ، فتدافعت ذكرى اللحظات التي انقضت بجوار حمام السباحة . لقد عادت بين ذراعيه مثلما حدث فوق القارب . لسبب ما وجدت نفسها هنا ، يكاد يحتضنها بقوة . ووجه "دان" قريب منها . لان جسدها بطريقة غريزية وتحركت عيناه إلى شفتيها المنفرجتين ، ونظراته تداعبها ، وعندما رفعت عينيها كانت عيناه نصف مغلقتين ، وقد توتر وجهه عندما مد يده كي يغلق الباب ، وأخذ يشجعها بلطف كي تقترب منه . قال بصوت متثاقل بينما وضع شفتيه على شفتيها :

– "أنا" !

رفع وجهها أمام وجهه . لقد سمعته يكرر اسمها وكأنما أصابته الحمى . لم تعد تتذكر سوى هذه اللحظة وهي بين ذراعي "دان" واندفعا وراء عاطفة محمومة زاد أوارها الشوق .

أفاقا إلى رشدهما عندما سمعا طرق "جوزي" على الباب وهي تنادي عليه بسرعة !

– يا سيد "دان" ... أعتقد أن لدينا زوارا !

لم يستوعبا في البداية كلمات المرأة . كانت يداه مشغولتين في مداعبتها . نادت "جوزي" مرة ثانية عليه . رد عليها بصوت بعيد متقطع ، بينما كان جسد "أنا" مرفوعاً وهي ترتعد ، ولولا أنه كان ممسكا بها لانهارت ، نظر كل منهما إلى الآخر بعينين غائمتين وهما يعودان إلى صوابهما تدريجيا . تركها تذهب وهو كاره لذلك ، ووقف قريبا منها وهي تلتقط الخطاب بيدين مرتعشتين .

لم يكن من المأمون أن يبقيا معا . كان مسلكها عند حمام السباحة هو الذي أدى إلى كل ماحدث ، خاصة بعد أن ألقت بنفسها بين ذراعيه .. قال :

– لاتضطربي يا "أنا" .. إنه أمر طبيعي أن يحدث ! وأنت – قبل كل شيء – لست أختي . ومن حقنا أن نتبادل القبلات .

قالت وهي ترتعد :

– لا ؛ ليس من حقنا ! وإني أسفة ؛ لأنني ساعدت على حدوث كل ما حدث . لقد نظرت إليك عند الحمام بتلك الكيفية ثم ألقيت بنفسي عليك ، ونسيت أنني مجرد فتاة عليها التزامات .

أنهت كلامها بضحكة قصيرة متوترة .

ظل صامتا للحظة ، ثم تحدث معها بوحشية ، وكان صدره يرتفع وينخفض بسبب المجهود الذي بذله كي يتحكم في عواطفه . قال :

– التزام اسمه "برايان سكوت" ؟ لقد نسيته ، هل نسيته أيضا ؟ وهل تحسين معه مثلما تحسين معي ، وتلتهبين بين ذراعيه ؟

www.elromancia.com

استدارت نحوه وهي لاتكاد ترى ؛ وهي تهز رأسها دون أن تحس به ولكنه لم يكن قد هدأ بعد . كان غضبه وحشيا .

– أترغبين فيّ ؟ لقد كنت ترغبينني منذ سنوات ونحن نعلم ذلك . هيا اكتبي خطابا لـ"برايان" . أخبريه أنك أكثر استعدادا للتمادي عندما أقبلك . وأخبريه أنك تتوسلين من أجل ذلك في كل مرة أنظر إليك . اكتبي له واعترفي بخطاياك.

فتح الباب ودلف خارجه . كان من الواضح أنه ذاهب كي يقابل من جاء لزيارته في ذلك القارب الغريب الذي أصبح يسمعه وهو يقترب .

هل نسي كل مايتعلق بـ"برايان" ، لقد نسي كل مايتعلق بـ"دافني" ... فهل نسيت هي ؟ إنها حتى لم تهتم . إنها من ذلك النوع الذي يحطم العلاقات بين المحبين . لديها العديد من الخطايا يجب أن تعترف بها ، ولكن الأمر ليس كله عن خطأ صادر عنها فقط ، وإنما لهفتها على تملك "دان" والاستحواذ عليه مدى حياتها . هل كانت "دافني" هي القادمة فوق القارب ؟ وهل يرى "دان" الآن ابنها جالسا بجوارها ؟

جرت إلى حجرتها وقد أغرق شعورها بالذنب موجات النار التي كانت تسري في جسدها . لن تستطيع أن تواجه "دان" مرة ثانية .

ومع ذلك كان عليها أن تواجهه ، فقد حضرت "جوزي" إلى حجرتها بعد حوالي خمس دقائق ، ودخلت بعد أن طرقت الباب وهي منفعلة :

– تزيّني ياآنسة "أنّا" ... فلدينا زائرة . إنها نجمة سينما حقيقية . أسرعي ياجميلتي ودعيني أساعدك في ذلك . إنك تبدين وكأنك سحبت من فوق السور .

بدت وكأنها ارتدت ملابسها بواسطة آلة بخارية ، وكانت "أنّا" لاتشك في أن "جوزي" تلقت الأوامر من "دان" ، ثم خرجت وهي متمنعة إلى الشرفة متتبعة الأصوات ، بينما رأسها مازال يدور مما حدث ، بالإضافة إلى ضربات الفرشاة بيد "جوزي" على شعرها .

هناك في الشرفة .. كان القادمون للزيارة ، ولم يكن من الصعب معرفة نجمة السينما – كانت "أنيتا شارب" . كانت "أنّا" قد شاهدت بعض أفلامها ، ورغم أنها لم تكن تبدو في الحياة الحقيقية فاتنة مثلما تبدو في الأفلام ، إلا أنها

كانت امرأة جميلة للغاية ، وذات حضور . كان معها رجلان ؛ أحدهما عجوز يلبس نظارة وشعره أبيض ، أما الآخر فكان يبدو أصغر من "أنيتا" ، وإن كان متانقا لدرجة كبيرة تدل على أنه ليس بعيداً عن عالم السينما .

كان صوت "أنيتا" مشوبا بالدهشة وهي تقول :

– من هذه الهاربة ياعزيزي "دان" ؟ لقد ظننت أنك لاتسمح لأحد أن يحضر هنا إلا من أجل العمل ؟ آه ! عرفت ... إنها السكرتيرة .

صحح "دان" قولها بسرعة وعيناه تتجنبان "أنّا" :

– إنها تحت وصايتي . وهي الآن في مرحلة استجمام .

– أنت وصي ياعزيزي ؟ ياله من أمر مسل للغاية ويتطلب جهداً حتى يمكن الاقتناع به .

قال "دان" بحدة :

– صدقي أو لاتصدقي .. كما تحبين . فأنا لا أهتم كثيرا بهذا الأمر في الحقيقة فإنني سأصحح الوضع ، فلست على استعداد لكل هذه الأقاويل .

قالت "أنيتا" متهكمة وعيناها مركزتان بحدة على "أنّا" وهي تلاحظ تغير لون خديها :

– أوه ! إنني أصدقك ، ولكنّي تعجبت فقط عندما تأخرت في الحضور لمقابلتي عند القارب .

قالت "أنيتا" ذلك بخبث ظاهر وهي تركز نظراتها الحادة على "أنّا" ، ولم يفتها بالتأكيد تورد خديها المفاجئ .

قاطعها عندما رفعت "أنيتا" عينيها في دهشة مبالغ فيها وهي تنظر إليهما :

– لقد كنا نقرأ خطاباً ، فقد نجحت "أنّا" في الامتحانات .

– آه ! فهمت . ماذا كنت تدرسين ياعزيزتي ؟ وهل كليتك تختلف عن كلياتنا ؟

أخبرها "دان" أن "أنّا" تدرس الرياضيات ، وقد زاد ضيقه الذي تجاهلته تماما.

لم تكن معتادة أن يضيق بها أحد ، فقد بدا أن مشاعرها ليست رقيقة ، وأنها لاتهتم بالآخرين .

elromancia.com

كان كل فرد يرى أن "دان" على وشك الانفجار من الغضب .

قال الرجل العجوز وهو يبتسم بسرعة لـ"أنّا" :

– أعتقد أن عليك مراقبة لسانك يا "أنيتا" ، فأنت في حضور سيدة ذكية للغاية ، وهم لايقبلون الأغبياء في "أكسفورد" .

أخذ الشاب الصغير يتطلع بفضول إلى "أنّا" وعندما تكلم تحققت فجأة أنه إنجليزي الجنسية :

– هل حصلت على تقدير جيد ؟

– الأولى !

هزت كتفيها في موجة من الارتباك . كان بإمكانها أن ترتاح دون اهتمام هؤلاء الزائرين . ولديها مشاكل كثيرة وكلها تخصها هي .

– واو ! .. هل يمكن أن تساعديني في حساب الضرائب ؟

كان إنسانا مهذبا حقاً . ردت على ابتسامته المرحة شاكرة ، وجلست على طرف أحد المقاعد وهي لاتحس بالراحة . قالت "أنيتا" وعيناها تنتقلان مابين "أنّا" و "دان" الذي وقف وقد زم شفتيه في غضب :

– "دان" .. لا شك في أنك ستحتفل بنتيجة الامتحان ، ويمكنك أن تجعله احتفالا مزدوجا بمناسبة وصولنا .

قال الرجل العجوز :

– لا أظن أن "دان" سيحتفل بمزيد من العمل ؟

غمغم "دان" :

– إنها مناسبة جيدة وتستحق الاحتفال على أية حال !

تحرك الشاب إلى جانب "أنّا" ، قدم نفسه وهو يمد يده للأمام :

– "كيرون إيميري" ... أنا أمثل أمام "أنيتا" فيلما جديدا ، هو آخر ماكتب "دان" ، ولدينا بعض النقاط الصغيرة نريد مراجعتها معه ، وهو – في الحقيقة – عذر لابأس به كي نبتعد عن الاستديو . وأسف إذا كنا قد قطعنا عليكما خلوتكما .

قالت "أنّا" بسرعة وهي تذكر نفسها أن الشعور بالذنب دائما يثير عندها حاسة

الدفاع :

– لا ... لم تقاطعونا ... من هو الزائر الآخر ؟

– إنه المنتج "دين أورتون" ، وهو في الغالب ينتج كل أعمال "دان" .

كانت تعرف ذلك . لقد شاهدت كل الأفلام التي أنتجها من أعمال "دان" ، لو كان الوقت غير الوقت لكان يهمها أن تتعرف عليه ، ولكن ليس الآن . لقد كان لديها مشاكل لاحصر لها ، أقربها أن وجودهم في البيت قد يمكنها من تجنب لقاء "دان" حتى تستطيع أن تهرب . ويجب أن تهرب .

حوّم "كيرون" حول "أنيتا" التي كانت تصوب إليه نظرات حادة . كان من الواضح أنها لا تحب أن يكون هناك أنثى غيرها في المكان . وكأنه قد ارتكب جرما عندما أبدى إعجابه بـ"أنّا" ، كان بإمكانها أن تحول حياة الممثل الناشئ إلى جحيم .

غمغمت "أنّا" وهي لاتعلم ماذا تقول لـ"دان" الآن :

– لم أكن أعرف أنك قد أجريت استعداداتك للاحتفال بنجاحي !

أخبرها في صوت بارد :

– لم أفعل ! والاحتفال الذي أريده إنما هو لأمر أحتفظ به لنفسي .

قالت بسرعة :

– إني أسفة ..

قال بصوت خافت :

– عندي المزيد من هذه الاستعدادات ، وسأحتفظ بها .

شكّت فيما يعنيه ، ونظرت بعيداً بسرعة بعد أن أحست بأن خجلها قد أغضبه أكثر . بعد مدة انعزلت عن الحديث حيث تحول إلى التحدث عن الاستديوهات والتعديلات المطلوبة ، وما دار من صراع حول تغيير النص وتعديله . كانت "أنّا" سعيدة لأنها استطاعت أن تنسحب ولم يلاحظ رحيلها سوى "كيرون" . بقيت في حجرتها متحيرة .. هل تدعو الله أن يرحلوا أو أن يبقوا ؟!

كانت "أنيتا شارب" المتاعب ذاتها .. وكان ذلك واضحا في عينيها وفي الطريقة الواثقة التي كانت بها تحتكر "دان" . وكانت تتوقع من الباقين أن ينتظروا حتى

www.elromancia.com

يكون لديها الوقت للاهتمام بهم . هل كان "دان" يعرفها جيداً ؟ لابد أنه يعرف ذلك . بدأت الغيرة تنمو داخل "أنّا" ، فأسرعت بالخروج . كانت "دافني" هي سبب الغيرة ، وليس لها الحق في ذلك طالما كان ذلك ضمن اهتمامات "دان" .

طرق بابها بعد فترة ليخبرها أنهم جميعا سيخرجون لتناول الغداء . غام وجهه من الغضب عندما قالت "أنّا" إنها تفضل أن تبقى وتتناول غداءها بالمنزل .

قال بغيظ :

– ستأتين معنا حتى ولو اضطررت إلى سحبك تحت ذراعي .

– لا أريد الذهاب ، ويمكنك أن تظل معهم حتى تودعهم .

– لن يذهبوا إلى أي مكان ، وسيعودون بعد العشاء ويبقون يومين ، إذ يجب علينا أن ننتهي من ذلك الموضوع اللعين . ولن أغادر "أماراكاي" للذهاب للاستديوهات .

– مازلت لا أفهم لماذا علي أن ...

قاطعها في غضب وهو يزمجر :

– ارتدي ملابسك للعشاء في "ناساو" ، وإلا ألبستك الثياب بنفسي .

نادته فأوقفه صوتها المتوسل واستدار بالقرب من الباب بينما ضاقت عيناه وأصبحتا باردتين :

– "دان" ! أريد أن أرحل . أريد أن أعود إلى إنجلترا .

قال كلمة واحدة ... "لا" ؟ في حين نظرت إليه في رعب :

– ماذا تعني بكلمة لا ؟ أريد أن أعود إلى الوطن .

– هل افتقدت "برايان" ؟

صرخ فيها وهو يعود ناحيتها ، وكان الوصف الوحيد لتحركه هو أنه كان يتحفز . كان ثمة تهديد في وجهه لم يسبق أن رأته من قبل ، ولكنها كانت متضايقة ويائسة حقاً من الهرب ، وقفت أمامه في تحد ، وعيناها تقدحان بالشرر :

– أريد أن أعود إلى الوطن . وسأعود غدا .. غدا !

– وأنا أقول لا ، وأعني ما أقول !

– هل جننت ؟

كانت عيناه هو الآخر تقدحان بالشرر ، فوجدت نفسها تتراجع ، الأمر الذي أشبعه وأرضاه .

كرر قوله :

– لا احتمال في هذا الأمر . وأنا أعني "لا" ، سواء أكنت مجنونا أم لا . لن تذهبي إلى أي مكان آخر .

استدار ورحل ، بينما استردت أنفاسها ممتنة لذهابه . كانت قد كتمت أنفاسها في الثواني الأخيرة الماضية . لم تشك لحظة في أنه كان يعني ما يقول . كان "دان" يسير على شفا الرغبة الملتهبة . لقد عرفت ذلك لأنها هي نفسها كانت تعاني ذلك .

ارتدت ثوبها الحريري الوردي ، وصفر "كيرون" إعجابا عندما دخلت حجرة الاستقبال .

كان الرجال فقط في الحجرة . كانت "أنيتا" تمارس حقوقها الأنثوية في التأخر ، فجعلتهم ينتظرون . قال "كيرون" وهو يضحك بطريقة جعلت "دان" يقطب وجهه :

– لو أنني وصي على واحدة مثلك لما تركت المنزل أبدا .

قال "دان" بلهجة لاذعة ، بينما ابتسم "كيرون" عندما دخلت "أنيتا" :

– إنها ستلحق بك هزيمة قاسية لو لعبت معها "الشطرنج" وستصاب بالإحباط .

وقد أدى حديث "كيرون" مع "أنّا" إلى ازدياد عداء "أنيتا" لـ"أنّا" .. أما عن نظرات "دان" الحادة ونظرات "أنيتا" السريعة ذات المغزى ، فحدث ولاحرج .

أسعدها أنهم سيخرجون في القارب . وحتى داخل القارب ، جلس "كيرون" بجوارها ، وواصل الحديث معها ، وركز انتباهه عليها طوال الرحلة . كانت ممتنّة له كثيراً وإن كانت واثقة بأنه يخوض في مياه خطرة .

كان مزاج "أنيتا" الحاد قد هدأ بعض الشيء ، نتيجة الاستقبال الحار الذي قوبلت به عندما دخلوا قاعة الطعام بالفندق وتعرف الناس عليها ، ومع ذلك لم تكن مسرورة للحد الكافي ، حيث تعرف الناس على "دان" أيضا . كان حزنها

www.elromancia.com

الخفي قد جعل الابتسامة تعود إلى وجه "آنّا" .

أحست "آنّا" بأنها طبيعية أكثر مما أحست في الأسابيع الماضية . كان من المثير للضحك أن ترى امرأة تحزن كثيرا لأنها لم تحظ باهتمام الجميع . خطر على بالها أيضا أن "دان" أحضرها إلى "ناساو" كي يتجنب الفنادق الكبرى التي تحتشد بالناس والسائحين . عرفت الآن لماذا فعل ذلك . إنه يحب الوحدة والخصوصية . لم يكن مسرورا من الناحية العملية عندما طلب المعجبون منه أن يوقع لهم على "مناشف الطعام" ، بينما كانت "آنّا" تحاول كتم ضحكاتها .

غمغم "كيرون" موجها الحديث إليها :

- إذا لم تقتلك "أنيتا" .. فسيفعل ذلك "دان" ، وأظن أنه من الأفضل أن نرقص، لأنني أحس أنه من الضروري أن أنقذ حياتك .

نهضت "آنّا" ، وصحبته إلى حلبة الرقص المزدحمة ، وقالت له وهما يبدآن الرقص :

- كم هو أمر مسل للغاية ! فهذه "أنيتا" تكاد تنفجر من الإعجاب بنفسها ، و"دان" على وشك الانفجار غضبا لنفس السبب .

بدأت تضحك بصوت عال . في حين كان "كيرون" يبتسم لها .

- ألم تشاهدي ذلك يحدث مع "دان" من قبل ؟ فهو دائما يظهر على شاشة التليفزيون في أمريكا .

قالت بهدوء وقد ذهب ضحكها عندما تبين لها مدى المسافة التي تفصل بينهما :

- إنه فقط "دان" بالنسبة لي . لقد اعتنت أسرته بي طوال حياتي ، وعندما توفي والده ، انتقلت المسؤولية بسهولة إلى "دان" . ولا أستطيع أن أفكر فيه وسط حياته المبهرة . إنه بالنسبة لي كأخ كبير .

فكرت .. يا لها من كذبة ! لقد كان "دان" شيئا آخر تماما . لقد أحبته بطريقة مختلفة تماما . وأرادته بلهفة تزداد يوما بعد يوم ، والخطر يمكن أن يزيد لو استمر في رفض إطلاق سراحها .

كان يرقص مع "أنيتا" ، وظهر نوع من التحفظ على وجه "كيرون" الذي سألها وهو يلقي نظرة متلصصة على "أنيتا" جعلتها تتوتر :

- ألا يقوم "دان" بتغيير شريكته في الرقص ؟

أخذها "دان" بين ذراعيه ، بعد أن أبدت مقاومة ذكرتها بغضبه الشديد منها عندما غادرا المنزل .

ولكن ذلك هدأ من طبع "أنيتا" الحاد ، والتي كانت تشعر بالسعادة لتنافس رجلين على الرقص معها .

كان "دان" متصلبا وعبوسا وهوينظر من فوق رأس "آنّا" ، يراقب الراقصين الآخرين متجاهلا إياها تماما .

قالت بصوت فاتر:

- ليس هناك مايجبرنا على الرقص ، وعلى كل حال لقد اكتفيت ...

تجاهلها ، وجذبها نحوه أكثر ، بينما ركزت عينيها بثبات على قميصه الأبيض وهي لاتجرؤ على النظر إلى أعلى . غمغم بكلمات لاذعة :

- هل من الصعب على شخص ممتاز في الحساب أن يعد ثلاثة أزرار ؟ ربما من الأفضل أن تعديها على أصابعك !

أخذ يدها ورفعها إلى صدره بينما مسح وجهه في شعرها ، قال برقة وهو ينقل يدها من أعلى إلى أسفل فوق صف الأزرار وهي تحس بنبضات قلبه الثابتة :

- واحد .. اثنان .. ثلاثة ...

همست بجنون وقد بدأت يدها ترتعد :

- من فضلك يا "دان".

كرر كلامها ساخرا وهو يميل على أذنها :

- من فضلك يا "دان" .. هل من المفروض أن أعاملك كأخت صغيرة في الوقت الذي تكونين فيه بين ذراعي ؟

بدأت ترتعد ، وارتفعت دقّات قلبها لدرجة مخيفة ، ولكنه كان غير مكترث . قالت له :

- أرجو ألا تتكلم بهذه الطريقة .

- لماذا ؟ ... ألا يتكلم "برايان" بنفس الطريقة ؟ هل حطمت عقلك الأكاديمي الصغير ؟ وما دخل الدراسة الأكاديمية في عينيك الداكنتين حينما تنظران إلي؟

www.elromancia.com

سحبت نفسها للخلف ، وأخذت تتطلع إليه بوجه شاحب ، كان مختلفا تماما .
ليس "دان" على الإطلاق . قالت له بنظرة حملت كل معاني الحزن المبهم :
- إنني لا أستطيع أن أتعرف عليك الآن .
قال بحزن :
- إنك لم تعرفيني منذ وقت طويل ، منذ سبع سنوات إذا أردنا الدقة ؟ إنك تتأرجحين مابين الفتاة الصغيرة وبين رغبتك فيّ .
- لا .. لا أريد .. هذا ليس حقيقياً !
- بل حقيقي !
كان يصر على قوله ، ويداه تضغطان بقوة على خصرها وكأنه يعاقبها .. أكمل حديثه :
- إنك تقاومين تلك الحقيقة لأنك تشعرين بالذنب نحو الطبيب المسكين المنهمك في عمله . ولكنه ليس هنا . أنا هنا ! وأنت تنتظرين كل يوم حتى أظفربك ! ظلت تحملق فيه وهي غير قادرة على أن تقول إن الأمر ليس حقيقيا . ولكنه حقيقي ، بينما "دان" هو الذي اختلف . إنه لايحس بأي نرة من تأنيب الضمير حول أي موضوع . إذا كانت قد اتهمته بأنه مرتبط بصفة دائمة بامرأة أخرى فيمكنه أيضا أن يقول عنها نفس الشيء ، فـ"دافني" ليست موجودة ، تماما كـ"برايان" غير الموجود .
- أريد العودة إلى الوطن !
ابتسم ببطء ، وازداد إحكام قبضته على خصرها . قال لها في صوت مبحوح:
- يا لذاكرتك الضعيفة يا "أنّا" . لن أدعك تعودين إلى الوطن ، وبالتأكيد تعرفين ذلك .
لم يعودا يرقصان بعد وبدأ الناس يهتمون بما حدث بينهما . سحبت نفسها وسارت عبر حلبة الرقص يتبعها "دان" . لم تنظر إليه بقية الأمسية .
كان يرعبها . لأول مرة في حياتها تخاف من "دان" ، والأكثر من ذلك أنها بدأت تخاف من نفسها .

* * *

لحسن الحظ كان "دان" مشغولا لأقصى حد .. أنفق الساعات مع المنتج "دين أورتون" محاولا إجراء التعديلات الصغيرة والمتعبة في نفس الوقت في السيناريو . لاحظت "أنّا" أن كل التعديلات تدور حول "أنيتا" وأخذت تعجب لما يمكن أن تسببه هذه المرأة من إزعاج .
أبعد ذلك "دان" عن "أنّا" وهذا كله كان أمرا طيبا . في نفس الوقت كان من سوء حظها أن أدى ذلك إلى تقييد حركتها . كان من المستحيل أن تكون حرة وعلى سجيتها مع وجود غرباء بالمنزل ، فضلاً عن حاجة "أنيتا" المستمرة للفت الانتباه والاستئثار بالاهتمام ، مما جعل الابتسامة تذهب عن وجه "جوزي" التي اعترفت لـ"أنّا" :
- هذه المرأة لاتستطيع أن تفعل شيئا واحدا بنفسها ، وقد جعلت حجرة نومها غاية في الفوضى وكأنما أصابها إعصار مدمر . وهي لاتلتقط أبدا الملابس التي تلقي بها على الأرض .
- سيرحلون في القريب العاجل يا "جوزي" . وإذا احتجت إلى أية مساعدة فإنني سأكون في غاية السعادة أن أقدمها لك .
شكرتها "جوزي" برقة . ولكن "أنّا" في الحقيقة لم يكن لديها ماتفعله ، مما جعلها تشعر أن من واجبها معاونة المسكينة . عاونتها في إعداد الفطور وفي بعض الأحيان في غسيل الأطباق بعد كل وجبة . لقد أتاح لها ذلك أن تفعل شيئا ، وكان سببا كي تنسحب من الحجرة كل ليلة . عندما اكتشف "دان" ذلك غضب غضبا شديدا . كانت على وشك الانتهاء من العمل وكانت "جوزي" قد عادت إلى منزلها عندما دخل "دان" المطبخ . قال بخشونة :
- ماذا تفعلين ؟
- أعاون فقط ، فالعمل أكثر من اللازم على "جوزي" ، وقد تعودت أن أعاون "إدنا" في منزلنا .
ذكرها في لهجة مشاكسة :
- لقد كان ذلك في جو مختلف .. إذا كان لدى "جوزي" عمل زائد فعلى "أب" أن يعاونها .

– إنه يفعل . ولم تكن لتحصل على وجبة واحدة لو لم يفعل ، ولن يستطيع هو ولا "جوزي" العودة إلى منزلهما .

بدا وكأن غضب "دان" بدأ يذهب وتحول إلى مجرد فضول :

– لقد تعودت "جوزي" على وصول الزائرين . ولست أرى أن هذه المجموعة تختلف هذا الاختلاف الكبير .

أنبته "أنّا" :

– من الواضح أن "أنيتا" هي مجموعة في حد ذاتها ، ولست تدري لماذا أساعدها ؟ ومن المحتمل أن ضيفاتك السابقات كن يساعدنها دون أن تدري .

قال "دان" مفكرا :

– هذا حقيقي ! ربما يجب عليك أن تستمري .

– وربما تستطيع أنت أن تعاون "أنيتا" في التقاط ملابسها من فوق الأرض .

كانت "أنّا" لاذعة ، وقد أثارها مسلكه واستعداده للاعتراف بمجيء نساء أخريات إلى المنزل ، استدار ناحية الباب ، وعادت "أنّا" إلى حوض الغسيل والأطباق .

وقد توترت كتفاها من الغضب . ربما كان يساعد "أنيتا" على إلقاء ملابسها على الأرض !

عندما ذهب الغضب عنها كانت ذراعا "دان" تحيطان بها من الخلف ، فقفزت من الصدمة الفجائية .

– من الواضح أنك تفضلين عذاب المطبخ على عذاب حجرة الاستقبال . إن المعركة محتدمة هناك الآن ، وأنا الآن على استعداد لقتل "أنيتا" .

أحنى رأسه وأخذ يمس عنقها بشفتيه ، بينما ازداد إحكام قبضة ذراعيه حولها .

صارعت "أنّا" كي تتخلص منه ، ولكنه أدارها ودفعها نحو الحائط ، بينما رفعت يده ذقنها .

قال لها وهو يكاد يجردها من مقاومتها :

– السلام يا "أنّا" . لقد وجدت أن من الصعب أن أستمر في المعركة معك . هل يمكن أن تهدئي ليزول ذلك التوتر ؟

كان يبتسم لها ، ووجدت شفتيها ترتعدان ، كان جنونا مرحا ، ولكنها كانت تحبه جدا ، حتى إنها لم تستطع أن تحافظ على الجو المشحون بينهما . دخلت "أنيتا" فجأة واطلعت عليهما ، ولم يجدا أي فرصة للتحرك ، بينما استدار "دان" ببطء وما زالت ذراعه حول وسط "أنّا" .

– هل قطعت عليكما شيئا ؟

قال بعفوية :

– لا .. في الحقيقة ! كنت أخبر "أنّا" توا أنني سآخذ الجميع لنمارس الغطس تحت الماء غدا .

قالت "أنيتا" في نزق :

– أوه ياعزيزي ! لاتحسبني ضمن مجموعتك للغطس ، فأنا لا أتحمل منظر تلك الأسماك الصغيرة . ولدي صداع رهيب .

ثم أضافت ، وهي تنظر إلى "أنّا" :

– إني أتساءل هل هناك ماء كي أتناول أقراصي ؟

قالت "أنّا" بابتسامة حلوة :

– أمامك الصنبور هناك . اخدمي نفسك !

خرج "دان" من الحجرة وهو يصفر ، وقد أخفى ابتسامته بصعوبة بينما سارت "أنّا" في الجهة المقابلة . كان من الواضح أن "دان" متمرس على تغطية كل نزواته دون اكتراث . كان من الواجب عليها أن تصافحه تقديرا له على إخراجها من ذلك بسهولة .

لم تحاول أن تسمع أخر كلمات "أنيتا" ، وقررت أن تتمشى على شاطئ البحر . كان القمر لايزال ساطعا محولا كل شيء إلى نهار . كانت قد ألقت سترة فوق كتفيها وخرجت من الباب الخلفي حتى تتجنب الآخرين . بدا أن "دان" قد أغلق الباب عليه وعلى "دين أورتون" ، ولكن عندما مرت بجانب المنزل سمعت أصواتا في الشرفة : كان هناك "كيرون" و"أنيتا" ، وقفت وهي تخشى أن يسمعاها ويسألاها أن تنضم إليهما . كانت "أنيتا" تقول :

– هناك شيء يدور بين "دان" وتلك الصغيرة التي يتولى الوصاية عليها . إنه ينظر إليها كذئب جائع .

www.elromancia.com

قاطعها "كيرون" :

– لاتثيري اشمئزازي ياعزيزتي ! وعلى أية حال فهي ليست أخته كما تعلمين جيدا ، فماذا يضير لو أنهما ... ؟

أعلنت "أنيتا" :

– مهما كان ما بينهما فإنها ليست من النوع الذي يمكن أن يستسلم ، ويمكنني أن أخبرك أن وصولنا قطع أمرا شديد الخطورة .

– "نيتا" .. عزيزتي .. في يوم ما سيقاضيك أحدهم أو يقتلك . إنها انتهت لتوها من الدراسة الجامعية ، وهي تحت رعاية "دان" ، وواضح تماما أنها كانت مريضة وما زالت نحيفة للغاية .

قالت "أنيتا" وهي تضحك ضحكة ماجنة :

– لقد لاحظت نظراتك إليها ، ومع ذلك أرجو ألا تزيد من اهتمامك بها ، فقد وجدتهما في المطبخ وكل منهما بين ذراعي الآخر . هل هذا الخبر قد هبط بحماسك؟

كان من الواضح أن التبرم بلغ به حداً جعله يتجرأ على إظهار ضيقه منها :

– إنك في الحقيقة تتجاوزين الحدود ، وأنت تعلمين شعوره نحو "دافني" ، ثم هناك الطفل !

– إذن لن يكون أول رجل يلهو مع الأخريات بينما ينتظر امرأة حتى يستقر رأيها .

هربت "أنّا" عائدة إلى المنزل ثم إلى غرفتها . إذا كانت تريد أن تؤكد شكوكها فقد جاءتها الفرصة .

لقد رفضت "دافني" أن تتزوج "دان" ، لقد خانهم التفكير في الأمر مثلها . ربما تعرف "دافني" أنه يلهو مع النساء . وهو لم ينكر قط أن هناك نساء غيرها قد حضرن إلى "أماراكاي" وكن يبقين في المنزل بعد ذهاب "أب" و"جوزي" إلى منزلهما .

أحست بالمرض يسري داخلها ..

كانت تحس بالمرض في نفسها وتحس بالمرض من "دان" .

الفصل السابع

بدا " دان " في اليوم التالي مشغولا أكثر من المعتاد .

عادت " أنا " إلى حالة التوتر المستمر ، ولاحظ هو ذلك في الحال ، بينما كسا وجهه غضب شديد .

أخذ يفرغ غضبه في " أنيتا " ، بعد أن أرجع سبب تحول " أنا " إليها ، وإذا كانت " أنيتا " قد فازت بكل ما كانت ترجوه من التعديلات ، فلابد ألا ترحل دون أن تعمل عملا مثيرا . تحولت غرفة الاستقبال إلى استديو في معظم فترة الصباح ، وظلت مستمرة في تعذيبهم في المراجعة ، بينما قام " كيرون " بتلقينها السطور الجديدة .

أخذت " أنا " تعاون " جوزي " التي كان مزاجها معتلاً ، ثم هربت بعد الظهر إلى الشاطئ ، وكان واضحا أن مشروع الغطس تحت الماء قد صُرف النظر عنه. لم تكن أكثر سعادة عندما هرب " كيرون " و " أنيتا " لينضما إليها لم تكن تعلم ما يفكران فيه بشأنها فحسب وإنما كان "كيرون" أيضا ينظر إليها بطريقة مختلفة تماما : نظرة متفحصة جعلتها تحس بعدم الراحة وبالارتباك . أحست لأول مرة بالارتباك الشديد و هي في لباسها البكيني الأسود . لم تتركها عيناه قط . وعندما حضر " دان " و " دين " لينضما إليهم كانت تتجول بعيداً عنهم فوق الرمال اللامعة .

أحست بالتوتر يسري في كل جسدها عندما لاحظت أن " كيرون " غير وضعه كي يتمكن من مراقبتها .

عادت إلى المنزل وقد عقدت العزم على أن ترتدي ملابسها وتظل في حجرتها .

قابلت " جوزي " وهي في طريقها إلى غرفتها ، ولم تتمكن من إخفاء تعبيراتها .

قالت المرأة :

– أتدخلين حجرتك في هذا اليوم الرائع يا آنسة " أنّا " ؟

– سأغير ملابسي ، حيث أظن أنني لا أرتدي ملابس كافية .

www.elromancia.com

أضافت جملتها الأخيرة في نوبة غضب وضيق . لم يسبق لها أن تحدثت مع "جوزي" بهذه الطريقة ، وفي الحال بان التفكير على وجهها الأسمر ، كانت نظرة المرأة الذكية قد جعلت "أنّا" تتساءل عما إذا كانت تراقبها من النافذة . أو أن "آب" جاء إليها ببعض الإشاعات .

طمأنتها "جوزي" :

– أنت في حاجة الآن إلى أن تلقي نفسك بين الأغطية وسأحضر لك شيئا .

دلفت بعيداً ، ثم عادت ثانية من المطبخ في الحال وقد أمسكت قطعة من الحرير بين يديها ، ورفعتها كي تراها "أنّا" ، أشارت قائلة :

– إن لك شعرا أسود مثل البنات هنا ، وهذا الوشاح سيكون جميلا وطويلاً . لقد اشتريناه من أجلك أمس من السوق ، وسيساعدك كثيراً وتعودين إلى حالتك الطبيعية . لقد أردنا أن نقدم لك هدية صغيرة .

– أوه يا "جوزي" كم أنت لطيفة .

لم تعرف "أنّا" ماذا تقول . كان أمراً غير متوقع ، وتحركت عيناها فوق الوشاح الحريري ذي الألوان الزاهية ، وقد وشي بالورود والأزهار من كل لون . لم تكن متأكدة مما ستصنعه به ، ولكنه على أية حال كان جميلا . ضحكت السيدة وجسدها كله يهتز وهي تقول :

– لم أكن متأكدة من اختيار الهدية المناسبة ، ولكن "آب" اختار هذه ... إنه في الحقيقة عاطفي . حسناً سأريك كيف تستعملينه .

لفت الوشاح حول وسط "أنّا" ، وعقدته في الجانب ، وقد بان على وجهها الرضا التام وهي ترجع للخلف كي تشاهدها . وصل حتى ركبة "أنّا" مثل (التنورة) التي يرتديها أهل جزر الملايو ، بينما امتلأ وجه "جوزي" بالبهجة . قالت لـ"أنّا" :

– كل ماتحتاجين إليه وردة كبيرة في شعرك ، وتصبحين تماما مثل بنات الجزيرة . وستصبحين أجمل من أي نجمة سينما .

عندما التقت عيناها بعيني "جوزي" تبين لها أنها أساءت فهمها . الأمر الذي جعلها مذهولة ثم عادت الابتسامة إلى شفتيها فهمت أن "جوزي" تريد أن

تخبرها أن وقتها قد حان لتبدأ معركتها ، وأحست أنه من الأفضل أن تعود إلى الشاطئ .

خرجت إلى الشرفة وكان الوشاح الحريري يحتك بساقيها وهو يتطاير بلطف مع الرياح ، ثم انحنت كي تلتقط زهرة بيضاء كبيرة من أمام الباب ، وشبكتها فوق شعرها الأسود اللامع . كانت تتماشى مع لون بشرتها (الكريم) الفاتح . ونظرت حولها فوجدت "جوزي" تقف في الظل وقد امتلأ وجهها بابتسامة عريضة

أخذت تهيم على غير هدى ، مبتعدة عن الآخرين وهي تتجه ناحية البحر ، ولكنها كانت تسمع مايدور حولها ، ولكنها أشاحت بوجهها إلى الناحية الأخرى ، بينما كانت ابتسامتها في اتساع ابتسامة "جوزي" .

لم يمض وقت طويل قبل أن يلحق بها "كيرون" وقد اتسعت عيناه من الإعجاب . قال وعيناه تفحصانها من أعلى رأسها حتى أخمص قدمها :

– إنك تبدين وكأنك هربت من "هاواي" !

قالت بجفاء :

– كنت قد بدأت أشعر بأن ساقي تحترقان .

لم تكن ترغب في صحبة "كيرون" ، لم يعد الرفيق السهل الذي تحب مصاحبته كما كان من قبل . بعد أن سمع كلمات "أنيتا" . تغيرت نظرته إليها تماما .

وكانت تتمالك نفسها بصعوبة حتى لاتحدثه بحدة وتبعده عنها . أحست بأن "جوزي" في حاجة إلى المساعدة حتى توقف "أنيتا" عند حدها . وكانت تحس بأن "أنيتا" تغلي من الغضب ، حتى من تلك المسافة . ذهبت بعيدا على امتداد الجزيرة فوق الرمال وهي تأمل أن يتركها "كيرون" . كانت تحس بالضيق لأنها تحاول التخلص منه ، ومع ذلك ظل يلاحقها ، ولم تتركها عيناه قط . سألها وهو ينظر إليها نظرة أربكتها :

– هل سيحضرك "دان" إلى "الاستديوهات" ؟ يمكنني أن أصحبك في جولة هناك .

قالت في كلمات مقتضبة :

www.elromancia.com

- سأعود إلى إنجلترا . فلدي مهنة سأبدؤها .

- إن "دان" كثير المال . وبالتأكيد لن يسمح لك بالعمل . ألا ينوي أن يحتفظ بك هنا ؟

- لن يفعل ! فإن وصايته ليست إلا إجراءً شكليا وقانونياً لمدة قصيرة . وسأحصل على أموال طائلة ملكي وأقيم هنا لأسترد صحتي .

- إنك تبدين رائعة !

ثم أمسك بذراعها ، وقبل أن تفلت منه وجدت "دان" بجوارهما . لم يسمعه أي منهما وهو يقترب عبر الرمال الناعمة . قال لـ"كيرون" بجفاء :

- "أنيتا" تريدك ، ولحسن الحظ سنتمكن من إنهاء كل التعديلات الليلة وبعدها سترحلون .

كان يجاهد كي يظهر بمظهر المضيف الكريم . استدار "كيرون" وذهب ، بينما نظرت "أنّا" إليه وهو يرحل .

سألته في حدة :

- هل كان من الضروري أن تكون فظا مع "كيرون" ؟

- نعم ، كان لابد لي أن أكون فظا مع "كيرون" . أين كنت ذاهبة معه ؟ هل كان لديك النية أن تقدمي له بعض مايعزيه عن فراقه للوطن .

كان رد فعل "أنّا" فوريا . صفعته على وجهه بشدة ، وعندما رأت الغضب يتصاعد فوق وجهه استدارت وجرت عبر الجزيرة على طول الشاطئ نحو الكثبان الرملية . بعيدا عن المنزل . أخذ يتبعها في بطء وكانت ترى تجهم وجهه كلما نظرت إلى الخلف .

فقدت أعصابها وأسرعت في الجري نحو رأس الجزيرة ثم اتخذت طريقا دائريا إلى المنزل .

كان من السهل أن يسبقها ، خاصة عندما وصلت إلى منطقة الرمال اللينة . بينما التف وشاحها حول ساقيها فتعثرت . أخذت تتدحرج وهي تحاول أن تنهض ولكن "دان" كان قد وصل إليها فانحنى عليها ، وأزرار قميصه الأسود مفتوحة .

سألها بهدوء :

- هل أنت خائفة ؟ هل تتوقعين العقاب على تلك الصفعة أم على هذا المنظر الغريب ؟ هل تريدين أن يلتهب السيد "إيميري" ويفقد صوابه ؟

كانت تلهث بعد الجري والسقوط !

- لقد غطيت نفسي . وأصبحت أكثر حشمة !

كانت تنظر إليه في تحد . كانت جرائمه العديدة قد برزت في ذهنها .. الآن أصبحت تكره "دان" ، وكان صوتها لاذعاً وعيناها حادتين .

زجرها وهو يقول :

- إن "كيرون" يكاد يحترق من شدة الرغبة ، بينما تعاني "أنيتا" الغيرة منك حتى شحب لونها .

ثارت "أنّا" :

- إنها حرّة فيما تفعله بنفسها ! وربما لاتريد الآن أن تبقى في المنزل .

سألها بنعومة :

- هل تريدين إذن أن نعود إلى حياتنا المنزلية الهادئة مرة أخرى ؟

أشاحت بوجهها وقد اعتزمت أن تهرب من الخطر الكامن في عينيه الماكرتين.

همهمت بعدم ارتياح :

- إنني أفكر في "جوزي" وماتلاقيه .

أتت بحركة كي تنهض . ولكنه ثبت كتفيها فوق الرمال ، وأخذت نظراته تجري فوق جسدها ببطء ثم أستقرت فوق عنقها النابض وارتفاع صدرها وانخفاضه.

قال بغضب :

- أتدرين كيف تظهرين ؟ لاعجب أن أصيبت "أنيتا" بالفزع . إنك الآن حلم كل رجل . وهي تعلم ذلك ، فأنت ملفوفة القوام ، غريبة الشكل ، متوحشة بعض الشيء . إنك مثل زهرة "الجارونيا" لامعة وغير حقيقية . والرجل قد يشتهيك ولا يهمه وسيلة الحصول عليك .. مال عليها وقبلها .

قاومته بضعف . وقد اشتعلت رغبته . كان يعلم أنها تقاومه . استسلمت له بكل

www.elromancia.com

كيانها .

جاء صوت "أنيتا" الغاضب والواضح عبر الرمال وهي تناديه :

- "دان" .. نحن في حاجة إليك الآن يا "دان" ؟

رفع رأسه وأخذ يحملق في وجه "أنّا" . كانت في حالة غيبوبة ولم تحس بما أحدثه صوت "أنيتا" من اضطراب وفوضى ، نهض على قدميه وسحبها معه .

اقترب صوت "أنيتا" وهي تصيح :

- أين أنت يا "دان" ؟

اخترق صوت "أنيتا" عقل "أنّا" المذهول ثم بدأت تتحكم في حركاتها وأقوالها . ولكن الشعور بالخجل المفروض أن تحس به لم يأت قط . لقد استسلمت لحبها الذي أحست به طوال حياتها نحو "دان" . وكانت تعلم ذلك .

كان وجهه مملوءا بنوع من البهجة عندما أدارها ناحية المنزل . كان الطريق مختفيا تحت الأشجار ، وذهبت وهي شبه عمياء . وقد أحست بأن كيانها كله مثل سحابة تطير في السماء : ناعمة وجذلة ، وقد سيطر عليها شعور من السعادة .

* * *

بدأت الأمسية طيبة للغاية . وكل فرد يحاول أن يتصرف بطريقة مهذبة . ولكن رغم سلوك "دان" المهذب فوق الشاطئ عندما طلب من "كيرون" وهو يكاد يأمره أن يعود إلى المنزل ، وجدت "أنّا" نفسها تحت الحصار . كان "كيرون" يتبعها أينما ذهبت ، ولم يكن أمامها ما تستطيع أن تفعله حيال ذلك دون أن تصده بقسوة . لحسن الحظ لم يغضب "دان" منها . كانت نظراته الغاضبة موزعة بينها وبين "كيرون" و"أنيتا" ، وكانت الأخيرة أكثرهم مضايقة لـ"دان" . رفضت بطريقة واضحة أن تعمل بعد الظهر ، وحيث إنهم أمضوا يومين في الجزيرة ، فقد بدا أنهم سيستمرون مدة أطول . قالت "أنيتا" بوقاحة :

- دعونا نأخذ كل هذا العمل اللعين ونعود به إلى الاستديو . إنني أعمل هناك خيراً من هنا . وقد حان الوقت لنعود إلى "كاليفورنيا" يا "دان" على أية حال .

ويمكن لـ"أنّا" أن تصحبنا ، فليس من المعقول أن تظل معلقاً بها هنا . ويمكن لكما أن تظلا معا في "كاليفورنيا" ولديك شقة هناك .

كانت ملاحظة خبيثة ، وفي الحال ألجمت "دان" ، ولكنه قال بعد ذلك بحدة :

- أنا لست مربوطا هنا . وإنما أعيش هنا !

وليس من المفروض أن تظل "أنّا" تحت جناحي ، فهي ناضجة وليست طفلة .

غمغمت "أنيتا" :

- حسنا ياعزيزي ، إذا كان هذا مسلكك إذن فإن الأمر يبدو وكأن علينا أن نبقى يوما أو يومين هنا .

توقعت "أنّا" من "دان" أن ينفجر ، ولكنه أدهشها عندما قال دون اكتراث :

- لن يفلح الأمر فإن ذلك العمل شاق بعض الشيء . غدا في الصباح سنحصل على إجازة ، وسنذهب للغطس تحت الماء . فهو موعد الدرس الثاني لـ"أنّا" . مارأيك؟

نظر إلى "دين أورتون" الذي ابتسم ووافق :

- إنني في اللعبة في أي وقت . ماذا عنك يا "كيرون" ؟

- إن الإجازة ستفيد الجميع ، ولابد أن "أنّا" أحست بالملل أمام كل هذه الكتابات والتعديلات ، سأريها بعض الحيل .

التوت شفتا "دان" ولكنه لم يعلق . وأحست "أنّا" بموجة من التوتر وعدم الراحة. لقد كان واثقا منها ، حتى إنه لم يهتم بـ"كيرون" . كانت تفترض أن أي شخص يقع بين ذراعيه ، وأنه يعد العدة كي يضمها إلى نسائه . قالت "أنيتا" بغضب :

- أنت تعرف أنني أكره الغطس ، وأخبرتك بذلك من قبل .

طمأنها "دان" بلطف :

- لست مجبرة على الحضور . ويمكنك أن تمكثي هنا وتراجعي النص أو تستلقي في كسل . لابد لنا أن نحصل على إجازة ، وسنذهب بالتأكيد .

- سأمكث هنا .

كان "كيرون" قد سيطر على تعبيرات وجهه ، كان من السهل معرفة مايدور بذهنه . كان من السهل أن يسبب الإزعاج دون أن يحس بعيني "أنيتا"

الباردتين المركزتين عليه . كان يتوقع أن تأمره "أنيتا" بالبقاء ، ولكنها لم تفعل، فأصبح أكثر شجاعة فقال :

– سأساعدك في الغطس يا "أنّا" .

ثم نظر إليها نظرة جعلتها تشتعل غضبا :

– لماذا ؟ أشكرك !

توقعت أن يتدخل "دان" ، ولكنه لم يفعل ، ثم بدأ الجميع يتحدثون ، في حين حاول كل من "دان" و"كيرون" أن يسترضي "أنيتا" دون أن يبدو عليه ذلك .

خرجت "أنّا" إلى الشرفة ، ونظرت بعينيها الغاضبتين إلى البحر .

كان رد فعلها قد أصابها بالتوتر . كانت تريده أن يكون مسيطرا ، وأن يظهر ذلك ، وكانت تعلم أنه لن يستطيع . كان ذلك سراً من أسراره السوداء وكانت تعلم ذلك تماما .

ولكن ماهو حقها في أن تغضب على أية حال ؟

إنها مجرد نزوة عابرة بالنسبة لـ"دان" . وذلك لأنها ألقت بنفسها عليه . إن له ابنا ! لقد تكرر ذلك في ذهنها مرات ومرات . ولكن الفكرة لم تولد عنده الشعور بالعار والمفروض أن يحس به . اجتاحها شعور من الاشمئزاز الذاتي . لاشك في أن "دان" كان يستمتع بتوسيع نطاق شعوره بذاته كرجل .

كان قلبها يتوسل إليها ألا تضخم الأمر ، ولكنها لم تكن ساذجة حتى تصدق قلبها .

سمعت خطوات خلفها ، وكانت تعلم أنه "دان" حتى دون أن تنظر خلفها . كان كل كيانها قد تعرف عليه وهو ما كان يحدث دوما . اقترب كي يقف خلفها فأخذت نفسا عميقا وثابتا ، قال :

– هل تميلين إلى النعاس ؟

– لا .. ليس في هذه اللحظة .

– هل تودين السير على الشاطئ؟

شبك ذراعه في ذراعها ، ولكنها سحبت ذراعها بغضب ، وهي أكثر ضيقا من نفسها بسبب الشعور الذي أخذ يجتاحها نحوه أكثر .

– آه ! ها قد عدت إلى إحدى حالات مزاجك المعتل . لابد أنك كنت تقدحين زناد الفكر . كان لابد لي أن أعرف أن عقلك الذكي الصغير سيشطح في الخيال .

كان يضحك في وجهها ، في الوقت الذي كان صوته جاداً تماماً ، واتضح لها أنه يظنها ساذجة . لقد كانت ردود أفعالها فوق الشاطئ من فترة وجيزة قد أقلقتها . قالت بنعومة :

– أنا لست حادة المزاج الآن . ما الذي يجعلك تظن ذلك ؟ إنني في الحقيقة مشتاقة للغطس صباح الغد . وسيكون من المثير أن يكون معنا مجموعة كاملة من الناس .

– أوه . نعم . تخيلي "أنيتا" بمفردها بالمنزل وأنت فقط حولك ثلاثة رجال .

– أرجو ألا تكون ساخرا لهذه الدرجة السخيفة .

تحركت بعيداً عنه ، ولكن ذراعيه أحاطتا بها . غمغم وفمه فوق شعرها :

– أرجو أن تعدي لي قائمة بما هو مسموح لي به ولن أتجاوزها . أنت تعلمين أنني مستعد لعمل أي شيء من أجلك .

– أرجو ألا تتعالى عليّ وتعاملني كأب ؛ فإنني أستطيع أن أتصرف بمفردي .

أدارها وقد ثبت يديه حول وسطها بقوة وأخذ يذكرها :

– سيرحلون قريبا ياحبيبة القلب ، وفي أقرب فرصة أستطيع فيها التخلص منهم . أريدك لي .

– لاتشغل بالك . لقد بدأت أتعود عليهم .

نظرت إليه ببرود وقد ضايقها أن دعاها "حبيبة القلب" وهو لايعني مايقول . ترى .. ماعدد العبارات المماثلة التي استخدمها مع نسائه ؟

كانت الغيرة تمزقها ، وأضافت :

– وعلى أية حال فـ"كيرون" سيعلمني بعض الحيل .

شدد قبضته لدرجة ألمتها :

– إذا اقترب منك أقل من عشر ياردات ، فسأعلمه حيلة واضحة : سأغرقه .

فأنت لي فقط .

– ليس من حقك أن تقول هذا !

www.elromancia.com

أخذ نبض قلبها يزداد قوة وينذرها بالخطر ، بينما ارتعدت ساقاها :

– لم لا ؟ لقد نظرت بعد ظهر اليوم في عينيّ وقلت نفس الكلام ، فما هو الجديد ؟

وجدت عينيه تحملقان فيها ، فأبعدت وجهها بسرعة :

– لقد كنت خائفة و ... ثائرة .. لقد استبد بي الجنون فترة و ...

– لاتهتمي . فتلك حالة يمكن إعادتها بعد أن يذهبوا .

– إنني أنوي أن أذهب معهم .

لم يعد وجهه ساخرا . لف ذراعه حولها بقوة ورفع وجهها بعنف :

– أرخص شيء هو الكلمات ، والأفعال هي التي تحسب . لن تذهبي إلى أي مكان إطلاقا .

– إلى متى ؟ هل ستحتفظ بي هنا ؟

كانت تصارع ، ولكن دون جدوى ، حيث أخذت قبضته تشتد . قال بهدوء ، وإن كاد يغلي من التوتر والإثارة :

– حسنا ! يمكنك اللجوء إلى "كيرون" كي ينقذك .

– هل تظن أن من حقك أن تقول لي مايعن لك من كلام ؟

كانت الدموع قد بدأت تظهر في نغمة صوتها . وكان يسمعها ، ولكن ذلك لم يهدئ من ثورته .

– لا ... لن أقول ، وإن كنت تستحقينها . إنني أعرف كل شيء عن التوتر والإثارة ، وأستطيع أن أصرخ والقمر أيضا يذكرني بـ ...

خفض رأسه وقبلها بخشونة . تيقنت أنه ليس من السهل تحدي رجل مثل "دان" ، لقد أخذها في حياته كي يعتني بها عندما كانت في حاجة إلى الرعاية ، واعتنى بها وكان حنونا معها .

إن كل ما يحدث كان بسببها . إن التصاقها الطفولي بـ"دان" قد صار شيئا لم تعد تستطيع السيطرة عليه الآن ، وذهب عنها كل شعور بالعار . بل بالعكس كانت تزداد توهجا كلما عاملها بغضب . ولكن كان من الواجب أن يخجل "دان" من نفسه . لقد كان بالفعل يشعر بالخجل من نفسه .

تركها بسرعة واستدار كي يعود إلى المنزل ومدت يدها إليه رغم أنه لم يرها :

– إنني آسفة يا "دان" !

لم يعن حتى بالرد عليها . وعندما دخلت المنزل كان قد دخل حجرته بالفعل وقد أغلق بابه بالرتاج . حتى الباب بدا غاضبا .

* * *

لم يكن هناك أي مهرب من مصيدة الرحلة في اليوم التالي . ورغم ضيق "دان" فقد قرر أن يكون هناك "غطس تحت الماء" ، وكان يعني مايقول .

لقد عادت إلى طبيعتها المتحفظة ، وكانت كل تصرفاتها تدل على ذلك . أخذ اسطوانتها إلى القارب ثم ناولها بقية المعدات وهو يكومها بين ذراعيها ، ولم ينتظر حتى تتمكن من ضمها .

كانت قد ارتدت قميصا خفيفا من نوع "التي شيرت" فوق البكيني ، ولكن ذلك لم يبعد "كيرون" عنها .

كانت عيناه مركزتين على ساقيها الملفوفتين السمراوين ، ولكن "دان" لم يلاحظ ذلك هذا الصباح . وحتى لو لاحظ لما اهتم ، إذا لم تسرع فسيرحل ويتركها .

وكانت تتجنب نظراته طوال الوقت . كان غاضبا حتى أوشك أن يحرقها .

عندما هدأ "دان" من سرعة القارب ثم توقف بجوار مياه هادئة في الخليج الصغير ، أحست "أنّا" بموجة حزن . كانت في المرة السابقة معه في نفس المكان ، وكانت الأمور مختلفة . لم يكن قد عرف شعورها نحوه ، وإنما كان مجرد شك . والآن قد عرف بالتأكيد ، وقد ذهبت الصداقة ، والصحبة ...

تلك الصحبة التي بُنيت بعناية ؛ قد ذهبت للأبد .

"كيف يشعر؟" أخذت كلماته التي قالها منذ حوالي خمس سنوات ترن بطريقة مؤلمة في رأسها :

"إن استجابتك لأي رجل بهذه الطريقة لابد أن تجعله يقبلك بنفس الطريقة ."

كان من المفروض أنها ذكية ، ولكنها لم تتعلم الدرس جيدا ، خاصة مع "دان" كانت تتوقع منه الكثير ، وكانت تريد أن تسترد فارس أحلامها .. كان كل شيء

www.elromancia.com

مجرد أحلام ، لم يسبق لها أن طلبت المعونة من قبل . لبست رداء الغطس وهي تخشى أن يكون "دان" يراقبها ، عندما رفعت نظرها وهي تغلق (سوستة) الرداء بعناية وجدت نظره مركزا عليها ، التقط "كيرون" أسطوانة الهواء الخاصة بها ولكن "دان" أخذها منه ، وجاء كي يثبتها عليها وهو رافض للحديث معها .

كل مافعلته هو اتباع التعليمات السابقة . وعندما سقط الجميع في الماء الصافي ، أخذت تنزل بحرص وهي أكثر خوفا هذه المرة عن المرة السابقة .

لقد كانت تحس في داخلها أنها غير قادرة على العمل بمفردها . وضعت القناع. وتركت نفسها تطفو بعيدا ، ثم نظرت إلى أسفل كي تجد "دان" وهو يعوم ببراعة وقد ركز نظره على حركاتها . وعندما أشار إليها بحدة تبعته .

رغم أفكارها المظلمة ، فقد سيطر عليها عالم البحار البهيج ، وفي تلك اللحظة أخذت تتريث وهي تتبع "دان" ببطء وهي تغطس مسافة أعمق كي ترى بوضوح الشعب المرجانية ، وكانت في غاية السعادة وهي تشاهد الأسماك الصغيرة الملونة تحوم حول الشعب المرجانية وحولها .

نسيت العالم فوقها ، واشتاقت أن تلمس المرجان الجميل الذي بدا كالأزهار الوردية والبيضاء ، ورغم ذلك أخذت كلمات "دان" تطرق ذهنها . ولم تعد لديها الرغبة في مخالفته كما كانت تفعل وهي طفلة ، وتركها "كيرون" لحالها .

والحق يقال إنها لم تعد تراه ، وفكرت أنه لو لم يفهم حركات "دان" معه لكان إنسانا متبلد الأحاسيس خاصة عندما انتزع منه "دان" أسطوانة الهواء .

كانت سعيدة . وحاولت ممارسة بعض الألعاب بنفسها وهي تدور وتتقلب وتصعد وتهبط كما كان "دان" يفعل . أصابها الفزع عندما أحست أن إحدى الزعانف المطاطية قد بدأت تنسلخ من قدمها ببطء . كانت قد صممت أن ترى بنفسها إمكان إعادة تثبيتها بطريقة صحيحة . عندما كانت تحاول الوصول إليها غطست إلى العمق وأصبحت بعيدة عن متناول يدها . أحست بأنها تكاد تكون عارية بدونها ، وهبطت لأسفل كي تحضرها . كانت قد استقرت بين الشعب المرجانية، وأحست أنها هبطت أكثر من اللازم قبل أن تمسك بها بعناية .

أحست بالرعب عندما حاولت الصعود إلى السطح وأخذت تركل الماء بقدميها كي ترتفع ، وأحست بالألم المفاجئ عندما اصطدمت قدمها العارية بالشعب المرجانية . التي كانت مثل الصخور الصلبة . وليست كالورود الرقيقة التي بدت لها . لم تكن المرة الأولى التي تجرح فيها من الشعب المرجانية منذ حضرت إلى الجزيرة . لقد حدث لها ذلك على الشاطئ ، ولكن هذه المرة كان الجرح مؤلما للغاية . من الممكن أن يتضايق "دان" من إهمالها . نظرت حولها بسرعة ولكنه لم يكن هناك . طفت على السطح قبل أن يظهر ويسبح كي ينضم إليها .

كان عسيراً عليها أن تصعد بمفردها على سطح القارب ، ولكنها وجدت "دين أورتون" بانتظارها هناك .

ابتسم لها وهو يساعدها في المسافة المتبقية :

– هل اكتفيت ؟

– أعتقد ذلك يا "دين" ، لقد قال "دان" إننا لن نظل في الماء أكثر من ساعة ، أليس كذلك ؟

– بلى . لابد من الانتهاء من النص . وإذا مكثنا هنا أكثر من ذلك فإن "دان" سيقوم بخنق "أنيتا" على ما أعتقد . وعلى أية حال فالوقت من ذهب يافتاتي .

أخذ يضحك لها وهي تنتزع رداء الغطس . جاء "دان" إلى سطح القارب وهما يضحكان ، ولم يكن يبدو عليه الارتياح . كانت تنزع السروال إلى أسفل ساقيها .

وعندما مدت جسدها أحست بألم شديد في قدمها ، مما جعلها تصرخ :

– ماذا حدث ؟

وقف "دان" بجوارها في الحال بطريقة عدوانية . لم تكن تريد أن تخبره بأنها فقدت إحدى الزعانف نتيجة إهمالها وهي تستعد للغطس أو أن قدمها اصطدمت بإحدى الشعب المرجانية ؛ لأنها كانت في حالة رعب خشية ألا تستطيع الصعود إلى السطح .

ولكنها قالت :

– لاشيء يذكر ... بعض الآلام ؛ لأنني درت حول نفسي مرات كثيرة تحت الماء.

- لقد لاحظت ذلك ، وقمت بكل ذلك دون تعليم !

استدار عندما حضر "كيرون" وقال :

- ها هو ذا رجل الحيل والألاعيب !

قال "دين" بصوت منخفض ولم يسمعه "كيرون" :

- دعنا من الحيل .. ما الذي سنفعله مع "أنيتا" ؟

- نجعلها تعمل حتى تموت ، وبذلك نعاقب المجرم بموجب القانون . إن الوقت يقترب بسرعة ، وأرفض أن أجري أية تعديلات أخرى ولن .....

أخذ "دين" يربت على كتفي "دان" .

- أعرف ! أعرف !

أخذت "أنّا" تتساءل عما يتحدثان بشأنه ، ولكن الاثنين سكتا تماما عندما اقترب منهما "كيرون" وأخذ "دان" ينظر إليه هو في غاية الابتهاج ، ثم قال :

- دعونا نعود إلى "أنيتا" ، فكلما بكرنا بالذهاب إليها أمكننا الرحيل بسرعة .

أخذ "كيرون" يهمهم وهو ينظر إلى "أنّا" ؟

- ومن ذا الذي يريد أن يرحل ؟

قال "دين" مقاطعا :

- أنا أريد ، فإن هذا الفيلم له ميزانية محددة وإذا استمرت "أنيتا" تحوم حولنا وهي تشكو أكثر من هذا ، فإن علينا أن نسرع هاربين من الجزيرة .

كانت "أنّا" تنصت في غير اهتمام . كانت متلهفة على رفع قدمها ومعرفة ما الذي يؤلمها إلى هذه الدرجة ولكنها لاتريد أن تفعل ذلك و"دان" موجود .

وفي كل مرة كانت تلوي قدمها كانت تجده ينظر إليها . كانا وكأنهما يلعبان لعبة التخفي ، كانت تحاول أن تنتظر حتى يعودوا إلى المنزل .

عندما انفردت بنفسها في حجرتها لم تستطع أن ترى شيئا بقدمها . كان هناك علامة سوداء صغيرة ، حيث اصطدمت قدمها بالشعب المرجانية وهي تمثل بداية ورم كما اعتقدت . ورغم شدة الألم لم يحدث لها جرح . كان من المؤلم أن تقف على قدمها .

قامت بعمل ضمادة من القطن ، وحاولت إخفاءها بطريقة بارعة داخل نعلها . لو

كان "دان" عطوفا عليها لأخبرته بالأمر ، ولكنه ظل قاسيا عليها من بداية اليوم. وحاولت أن تختفي خلف المجموعة ، وقد اكتسبت تلك المهارة في حياتها المبكرة كلما اهتم بها "دان" .

تلا فترة بعدالظهر البائسة أمسية أكثر منها بؤسا . كان صبر "دان" قد نفد مع "أنيتا" .

وكان الجو ثقيلا مملوءا بسخافات "كيرون" وهو يحاول الانضمام إليها في الخلف .

همهم في أذن "أنّا" بعد العشاء عندما دلف "دان" و"أنيتا" بجوار "دين" إلى حجرة المكتب .

- إذا لم ننته الليلة ، فإنني سأختلق بعض الأعذار للهرب . إنها تتعمد التأخير.

- ولأي سبب ؟

لم تكن "أنّا" تستطيع أن تفهم امرأة مثل "أنيتا" . وتساءلت كيف تستطيع المرأة أن تنفذ ماتريد .

قال "كيرون" بصوت جاف :

- إنك حقيقة فتاة صغيرة حلوة . لقد توقعت "أنيتا" أن تنفرد بـ"دان" ، فماذا وجدت؟

فتاة ذات طبيعة خاصة ورقيقة صغيرة ، لايسمح لها بالبعد عن "دان" ، سوى بضع ياردات لا أكثر .

قالت "أنّا" ، وهي مستاءة ، ووجهها تصعد إليه الدماء :

- إنها جزيرة صغيرة .

- وهو يجعلها أصغر عندما تكونين فيها .

قفزت بسرعة ثم ندمت ، إذ اشتعلت النيران في قدمها المصابة . وهي تصرخ فيه :

- أعتقد أنك سمعت أقوالا مغرضة عني وعن "دان" .

جاء "دان" في هذه اللحظة ، وعندما لاحظ انفعالها ووجهها الملتهب اندفع إلى الأمام وأمر "كيرون" أن يدخل حجرة المكتب في الحال . صاح عندما وجد "أنّا"

واقفة وهي تعض على شفتها :

– ابتعدي عنه !

قالت ، وهي تكاد تبكي :

– إن الفرصة يجب انتهازها إذا أتيحت ، وأرجو أن تتركني وحيدة .

نظر إلى عينيها الضيقتين ، وقال ساخراً :

– ليس هذا ممكناً . أليس كذلك ؟

فجأة بدا وجهه أقل غضباً ، وسألها :

– هل هناك ما يؤلمك ؟

قالت بسرعة لتطمئنه :

– لا ! إنني فقط مللت من كثرة المعارك ، أريد أن أرحل عندما يرحلون .

حل الارتياك محل الغضب على وجهه ، ثم تقدم للأمام كي يمسك بكتفيها بقوة .

سألها بابتسامة ناعمة :

– هل تقولين ذلك لمجرد أن تسمعيني أقول لك : "إنني لن أسمح لك بالرحيل"

هزت رأسها بشدة ، فأكمل حديثه :

– إنك لاتريدين الرحيل . ولا أريدك أن ترحلي ، وعليه فيجب ألا نتحدث في ذلك ثانية . لقد أصبحت أسيرة منذ مدة طويلة ، حتى قبل أن أعرف شعورك نحوي .

– إنني لا أشعر نحوك .....

أحنى رأسه وقبلها بسرعة ، بينما كانت يداه تعبثان في شعرها ، قال لها بخشونة وهو يستدير ليذهب عندما وقعت عيناه على "أنيتا" وهي تختفي لتوها من القاعة :

– لاتكملي ياحبيبتي الصغيرة !

لقد تأكد كل شك لدى "أنيتا" الآن حولهما .

لقد كان الأمر بالغ التعقيد ، وجاءت "أنيتا" الآن كي تزيد الأمور تعقيدا . ذهبت إلى الفراش في حجرتها وهي تشعر ببعض الخوف عندما أحست بأن العلامة السوداء في قدمها قد بدأت تتورم قالت لنفسها بحزم "هذا أمر متوقع" ، ولقد لفتها في ضمادة محكمة . أخذت تسّري عن نفسها بتذكر أنه كان من الممكن أن تكون الإصابة في أنفها مثلا . ورغم ذلك فقد كانت تؤلمها .

كانت على وشك الدخول في الفراش عندما سمعت طرقة حادة على بابها ، فعادت وارتدت ثوب نومها وعليه (روب) . وصاحت :

– ادخل ! كانت تأمل ألا يكون "كيرون" يواصل مطاردته الغرامية لها ، ولحسن الحظ لم يكن هو ولكن وجهها علته الدهشة المذهلة عندما وجدت أن الزائر هو "أنيتا" ... قالت لها بجفاء :

– هل تريدين شيئا ؟

لم تعد "أنّا" في حاجة إلى ادّعاء المودة معها ، خاصة بعد الطريقة التي تصرفت بها "أنيتا" ، والأقاويل التي سمعتها منها في الليلة الماضية في الشرفة مع "كيرون" .

– أريد أن أحذرك من الخطر الذي تلقين نفسك فيه .

قالت ذلك وهي تضع أظفارها المصبوغة باللون الأحمر على الباب وأكملت :

– لقد كانت لدي بعض الشكوك ، ولكني أعرف الآن لماذا أنت هنا ؟ إن لـ"دان" علاقة بالكثير من النساء ، ولكن هناك واحدة فقط هي التي يهتم بها . أعتقد أنك لاتعلمين شيئا عن "دافني" ؟

قالت "أنّا" بغضب :

– إنني أعلم كل شيء عنها . لقد قابلتها وأمضيت أسبوعا بصحبتها ، وهو أمر ليس من شأنك .

– إذا كنت تظنين أن "دان" سيتخلى عنها فأنت على خطأ ، لقد استمرا معاً لمدة أربع سنوات ، وستدوم علاقتهما طالما كان "دان" على قيد الحياة .

– لا أريد أية نصائح منك ، إذا ظننت أن شيئا ما هنا خطأ فعليك أن تقولي ذلك لـ"دان" وأنت في نفس الوقت ضيفة عليه .

وإني أتساءل : ماذا سيكون رد فعله إذا دخل هنا الآن ؟

كان في مقدور "أنّا" أن تلاحظ قلق "أنيتا" بعد سماع أقوالها ، فأوضحت الأمر أكثر :

– إن "دان" غاضب فعلاً بسبب كل تلك التأخيرات ، وإذا لم يكن لديك الاستعداد للرحيل فوراً مع النص راضية بما تم من تعديلات ، فإنه سيرفض أية تعديلات جديدة .

بدت مسحة من الخوف في عينيها وهي تقول :

– لن يجرؤ !

– بل سيفعل ! فهو ليس بحاجة إلى مزيد من المال . و"دين أورتون" هو الآخر في شدة الضيق ، وربما حلت محلك نجمة أخرى إذا لم تتراجعي عن غيك ، خاصة إذا أخبرت "دان" عن حديثنا هذا .

أفلحت خطتها ، وغادرت "أنيتا" الحجرة وهي تسرع بعض الشيء . كانت "آنّا" ترتعد لم تكن بحاجة إلى أن يخبرها أحد عن حياة "دان" الخاصة ، فقد علمت كل شيء . ومن المؤلم أن تظهر أمام عينيها مرة ثانية .

كانت قدمها تؤلمها ، خلعت "الروب" وهي تستعد للدخول بين الأغطية وكلها أمل في أن تنام .

دخل "دان" بعد أن طرق طرقة خفيفة على الباب وسألها بإلحاح :

– هل كانت "أنيتا" هي التي خرجت من حجرتك ؟

– نعم !

كانت قد بدأت تتضايق ، إلى جانب ما كانت تشعر به من ألم . لقد كانت حجرتها كمحطة "السكة الحديد" ، وسيدخلها الآخرون تباعا .

– ماذا كانت تريد ؟

قالت "آنّا" بحدة :

– كانت تريد أن تستعير قدحا من السم ، ولكن لسوء الحظ ليس لدي سم جاهز في هذه اللحظة ، ربما غدا .

تحرك للأمام وهو يهددها ، فغطست بين الأغطية فاصطدمت قدمها ثانية .

بدأ صوته يزداد رقة وهو ينادي اسمها ، ولكنها ظلت مستلقية وهي متصلبة وقد أخفت وجهها . قالت له :

– أرجو أن تذهب يا "دان" . لا أريدك هنا ، والحقيقة أنني لا أريدك في أي مكان معي !

لحسن حظها ضايقته كلماتها . وكان الصوت الذي سمعته ردا عليها هو صوت الباب وهو يصفق بحدة بعد أن رحل .

الفصل الثامن

أحست "آنّا" في الصباح بأنها مريضة للغاية .

كانت قدمها تؤلمها ألما لايطاق . وعندما نظرت إليها وجدت أن الجرح قد تورم لدرجة مخيفة وسرى الورم في كل قدمها . كان لابد أن تخبر "دان" . واستلزم خروجها من الفراش كل شجاعتها . وأصبح من المستحيل أن تضع قدمها على الأرض. أحست بالحمى ، وأن رأسها خفيف . وأحست بأن كل آلام العالم تجمعت عندها .

ماكادت تصل إلى الباب بصعوبة ، حتى سمعت صوت القارب وهو يرحل ، وأخذت تتعثر في المشي كي تتمكن من رؤيته وهو يختفي وسط زرقة المياه . لابد أنه يتجه إلى "ناساو" . لم تصدق أنهم رحلوا . لابد أن كلماتها أمس لـ"أنيتا" قد أتت بنتائجها ، ولكن "دان" ذهب أيضا كي يصحبهم إلى "ناساو" .

صاحت بسذاجة تناديه . رغم أنها كانت تعلم أنه أصبح بعيدا عن أي صوت . وإن كانت صيحتها البائسة قد جلبت لها "جوزي" التي أسرعت من المطبخ . صاحت بصوت لاهث ثم سقطت عيناها على "آنّا" :

– لقد ذهب السيد "دان" كي يصحبهم بعيدا ... ياإلهي !!

سمعتها "آنّا" وهي تنادي في "هيستيريا" على "آب" ، ثم سقطت مغشياً عليها. وآخر ما تذكرته هو الألم ، أفاقت للحظة كي تجد "آب" واقفاً في قارب صغير وقد أمال وجهه النحيف إلى الأمام وهو يقود القارب بسرعة كبيرة ، بينما وجدت رأسها موسداً بين يدي "جوزي" في حجرها . قالت "جوزي" :

– ستصبحين بخير ، سيلحق "آب" بالسيد "دان" عند المرفأ وسيدخلك المستشفى في أسرع وقت .

اكتنفها الظلام و الدوار مرة ثانية ، ثم أحست بذراعين قويين يضمانها وعلمت أنهما ذراعا "دان" ، كانت واثقة من ذلك ، حتى إنها غمغمت اسمه ولكنه لم يجب؛ لأنه كان غاضبا منها لما سببته من متاعب إضافية . حاولت أن تشرح

الموقف ولكنه لم يسمح لها ، كل مافعله هو أنه أسند رأسها على كتفه وأمسك به بقوة .

كانت تعلم أن كل شيء انتهى . لقد سببت له مايكفي من اضطرابات في حياته الهادئة . وأبعدته عن "كاليفورنيا" وعن "دافني" ، يجب عليها ألا تعود أبدا إلى "أماراكاي" . أحست أنها تقول في صوت لم يسمعه وارتد إليها :

– لن أعود أبدا إلى الجزيرة .. أبدا .. أبدا !

* * *

استيقظت – أو بالأحرى أفاقت – لتجد نفسها في حجرة مضيئة مريحة فوق سرير أبيض .

حركت قدمها بحذر ولكنها لم تحس بأي ألم وإنما ببعض "الخدر" . تساءلت كيف استطاعوا أن يزيلوا الألم بهذه السرعة ؟ وأين "دان" ؟

سمعت صوت الطبيب الذي سار ناحية السرير وهو يبتسم :

– هالو ! أخيراً أفقت واستيقظت . لقد بدأنا نتساءل متى يحدث ذلك .

– يبدو أنني لا أعرف أين أنا ؟

ابتسمت له في وهن ، وقد سيطر القلق على أفكارها حول "دان" وعن رغبتها أن تصمت في الوقت الذي تود أن تسأل عنه . كانت لديها صورة باهتة عن وجود "دان" في الحجرة ، بل أحست بأنه موجود فيها ولكنها لم تتجاسر على السؤال عنه .

نظر إليها الطبيب بجدية وقال :

– إنك في "ناساو" بالمستشفى . وأنت شابة محظوظة . فلولا إسراع خدم السيد "تورين" وسرعة السيد "تورين" نفسه في إحضارك إلى هنا فإنني لم أكن أجسر على التفكير في العواقب المحتملة .

– إن .. إن قدمي كانت تؤلمني جداً . هل فحصتها ؟ ولكنها لم تعد تؤلمني الآن.

– لقد فحصتها وأجريت لها جراحة ، لن تؤلمك كثيراً بعد الآن . لقد مر عليك أسبوع هنا ، وهو وقت كاف ليلتئم الجرح .

فاضت الذكريات الغامضة حول "دان" وهو يتكلم معه ويشرح . قالت :

– أسبوع ؟ أين السيد "تورين" ؟ هل هو هنا ؟

– طول الوقت . ولم يغادر المستشفى سوى مساء أمس ، لأول مرة منذ هدأت الحمى واستغرقت في نوم عميق . وأشك أنه نام طوال الأسبوع أكثر من دقائق قلقة . لقد رفض أن يرحل . وأعتقد لسبب ما أنه مسؤول عن سلامتك .

لاحظت نظرته المستريبة . نفس النظرة التي تظهر على وجوه الناس عندما يذكر اسم "دان" . كانت تتوق أن تخبره بأن يهتم بشؤونه الخاصة أو تكذب عليه.

استأنف حديثه بعد أن ظهر جليا أنها عزمت على ألا توضح له الأمر :

– لقد أرسلته كي يحظى ببعض النوم ، ولكني أعتقد أنه سيعود في الحال .

– ماذا .. لماذا كانت قدمي ..

– إنها الشعب المرجانية . لقد انغرست قطعة صغيرة منها تحت الجلد ، وهذا النوع من المرجان يمكن أن يسبب الحمى إذا لمست قطعة حادة مدببة منها .

وقد وقع لك أكثر من ذلك . لقد دخلت قطعة كبيرة في قدمك وظلت بها . لقد استمرت في مكانها لمدة يوم كامل ، وقد شرح السيد "تورين" بالطبع مسألة الغطس ولكنه قال إنك كنت ترتدين الزعانف .

– ليس طول الوقت .

شرحت له الحادثة التي حدثت لها . وبدت عليه الجدية أكثر من قبل ، وغاب عنه فضوله لتحل محله نظرة تأنيب حادة .

– كان من الواجب الاهتمام بها في الحال . وحتى لو حدث ذلك فقد كنت في حاجة إلى عملية جراحية . إنني لا أفهم السبب في عدم إخبارك الآخرين .

ردت في نفسها : الكبرياء ، والخجل ، والرغبة في الهرب من "دان" ورقابته . لم تعد تتحمل منه ذلك الآن أكثر من أي وقت مضى ، وقد سبب لها موقفها هذا الكثير من المتاعب . ماذا سيظن بها الآن ؟ لقد وضعت نفسها في موقف حرج.

بكت . فغادر الطبيب الحجرة .

جاء "دان" فيما بعد . وصدمها لون وجهه الشاحب والنظرات المتعبة في عينيه .

جلس بجوارها فوق السرير ، ولم يحاول أن يلمسها وهو يقول :

– كيف تشعرين الآن ؟ إنهم يقولون إن باستطاعتك مغادرة المستشفى في غضون يومين ، ولكنك تعرفين أحسن منهم مدى تحسنك .

– فيما عدا شعوري بالضعف فإنني سليمة جدا .

– حسنا ، سأقوم بالترتيبات لخروجك بعد يومين .

– هل .. هل ستحضر لتأخذني ؟

فجأة أحست بالارتباك والقلق . كان باردا وبعيدا جدا وأحست بعودة ذلك الشعور الرهيب بالوحدة :

– لا .. يجب أن أذهب اليوم إلى الولايات المتحدة الأمريكية . فالنص لم ينته بعد ، ولكن "أنيتا" طلبت أن ترحل . ويجب أن ينتهي الفيلم الآن ، فهناك أمور مالية مرهونة بالانتهاء منه .

– نعم – أعرف .. لقد أخبرني "دين" بذلك . ولكن كيف سأعود إلى الجزيرة ؟ هل سيحضر "آب" لمصاحبتي ؟

– لا ! لن تعودي ثانية إلى "أماراكاي" ، بل ستعودين إلى الوطن ، وسأحضر كل متعلقاتك هنا قبل أن أرحل إلى أمريكا . وسأحضر لك تذكرة سفر إلى إنجلترا ، ستجدينها بانتظارك في المطار ، وقد حولت أموالاً باسمك في البنك. وسأكون على استعداد لتلبية احتياجاتك عندما تعودين إلى الوطن .

ذكرته وهي تحس بخيبة الأمل :

– لقد قلت إنني لا أستطيع الرحيل . لقد قلت إنك لن تدعني أرحل !

– لقد كانت لعبة عشق وهيام . يا "أنّا" ، لدي أعمال لابد أن أؤديها . والتزامات يجب الوفاء بها .

كان صوته خشناً وبارداً . وكانت عيناه الماكرتان ثابتتين لاترمشان وهي تنظر إليه .

– ليس لي بيت .

بدت عيناها السوداوان وكأنهما ستملآن وجهها ، وتحرك هو في قلق وارتباك بينما شد حاجبيه في تقطيبة .

– إن لديك الكثير من المال . ولديك درجة جامعية بمرتبة الشرف الأولى . ولديك حياتك في إنجلترا . ولي حياتي هنا . إنك لم ترغبي في وصيّ أبدا .

ويعلم الله أنني لم أرغب في ذلك . وأستطيع أن أتذكر عندما كنت قد عزمت على السفر عبر البحار . وأستطيع أن أتذكر عدداً من المهن في مختلف المجالات التي كنت ترغبين فيها . أما بالنسبة للمنزل . فأنت تقريبا في الثانية والعشرين وهناك "لانجفورد هول" .

– لا ليس هناك .. لم يعد بعد بيتي .

انزلقت خارج السرير . وقد أشاحت بوجهها بعيدا . ثم ارتمت على السرير وقد دفنت وجهها في الوسادة .. "إنه لم يعد يريدها . ولم يرغب في ذلك أبدا .

فيما عدا تلك الأوقات التي كانت فيها تلقي احترامها لذاتها خلف ظهرها وتكاد تتسول منه الحب .

لقد بدأ يعود إلى حياته الخاصة ... إلى "دافني" وإلى ابنه الصغير "تريفور" لقد انتهت أيام الجزيرة ، إن "دان" لم يكن له صلة بها أبدا .

سمعت في أذنها صيحتها فوق الشاطئ "أنت ملكي" . لقد قالها هو أيضا . ولكنه لم يكن يعنيها .

إنها لعبة الحب ، وهي لعبة تعود ممارستها .

أغلقت عينيها . وحبست دموعها داخلها . وقف لحظة قبل أن يخرج بعد أن لمست يده شعرها :

– وداعاً يا "أنّا" .

لم تسقط دموعها أبدا : لأنها استعصت عليها . سألت نفسها عما كانت تتوقعه.

لم يكن ماحدث في الحقيقة صدمة . لقد كانت تعلم دوما أن "دان" يرتبط بشخص آخر . وعرفت ذلك قرابة خمس السنوات .. كل ما في الأمر أنها أفرطت في انجذابها إليه . كانت أفكارها حوله تملأ كل لحظة من يقظتها وكل أحلامها .

كان من الممكن أن تصبح أي شيء يريده هو . ولقد أراد فقط أن تخرج من

www.elromancia.com

حياته ، وهو ما كان يبديه دائما .

لم تكن تتوقع زائرا آخر ، ولكن في آخر يوم لها في المستشفى حضرت "جوزي" . كان وجهها الأسمر المستدير يشويه القلق ، حتى رأت "أنّا" وقد استردت عافيتها ، كانت متألقة في ملابسها المبهرجة ، بينما وضعت قبعتها البيضاء في فخر فوق رأسها ، قالت بحماس :

– لقد سببت لنا صدمة . لقد ظننت أنا و"آب" أننا قد نفقدك .

– لقد كنت غبية . لقد سببت الكثير من المتاعب .

اعترفت "جوزي" والدموع في عينيها :

– من المؤكد أننا سنفتقدك كثيراً يا أنسة . كان من الواجب أن أحضر هنا قبل أن أذهب إلى الجزيرة بقية اليوم . سنتأخر ، ولكن كان لابد أن أراك قبل أن ترجعي لوطنك إنجلترا . لقد أحضرنا حقائبك هنا أمس .

أخذت تنوح في ألم :

– نعم ! يجب عليّ أن أستعد فوراً من أجل رحلة الطيران ، ولقد سعدت بقدومك يا "جوزي" وسأشتاق إليك أيضا . لم يعد هناك ما يدعو لبقائي في الجزيرة الآن ، والسيد "تورين" في "كاليفورنيا" ، ولا يهم إذا تأخرت . أليس كذلك ؟..

– إنه ليس في "كاليفورنيا" يا عزيزتي .

طمأنتها "جوزي" بعد أن ألقت عليها نظرة قلقة . لا شك أنها تتساءل عما إذا كانت لا تزال تعاني الحمى . أكملت :

– إنه هناك . في "أماراكاي" ، مشدود كالطبلة ومجنون كالشيطان . إن السيد "دان" يحتاج إلى مدة كي يعود إلى حالته الطبيعية ، ثم هناك تلك الأيام التي قضاها هنا دون نوم ، إنه لم يعد نفس الشخص . ومن المؤكد أنني أتمنى أن تعودي إلى الجزيرة .

لم تسمع من كل الحديث سوى معلومة واحدة ، وهي "أنه ليس في أمريكا" ، لقد كذب عليها . لقد أرادها خارج حياته بشدة ، حتى إنه كان على استعداد لأن يكذب . لقد أوضحت العبارة أكثر مما يمكن أن توضحه عبارات كثيرة . كانت سعيدة عندما نظرت "جوزي" بقلق في ساعتها ، وعندما قالت إنه يجب عليها أن ترحل . شعرت بأنها غير مرغوب فيها . وبدا الوقت المتبقي على قيام

الطائرة طويلا ومملا .

كانت كل الترتيبات قد اتخذت لتجعل رحلتها سهلة . استقلت "تاكسي" وكانت تذكرة السفر في انتظارها بالمطار . وكل ما كان عليها عمله هو أن تسير . لم تكن قدمها تعاني إلا بعض الألم الخفيف . وكانت التعليمات الصارمة لها أن تلاحظ أي تغير فيها . في آخر لحظة نظر إليها الطبيب في دهشة ؛ لأنها ستعود ببساطة إلى إنجلترا . ولكنها احتفظت بسرها المتواضع كما تعودت دائماً أن تفعل .

أخذ بقية المسافرين يحملقون فيها . كانوا سائحين عائدين للوطن . وهي أيضا عائدة إلى نفس المكان : الوطن . أخذت تحملق أمامها مباشرة ، وأومأت إيماءة غامضة لسائق التاكسي عندما لم يضع حقائبها على الأرض إلا بعد أن تناول أجره .

كان "دان" قاسيا .. فقد تُركت تقف بجانب حقائبها .. مفقودة في جزيرة من الأحزان .. بينما كان الآخرون يتحركون حولها في نشاط محموم .

دفعوها عدة مرات وبدا من المستحيل أن تصل إلى مكتب شركة الطيران كي تراجع الأمتعة ، وأخيرا سحبتها من الطريق وجلست عليها وهي تحملق فيها دون سبب معلوم . كان يسيطر على الجو شعور بالخوف مسها أيضا . أحست وكأنها مربوطة بحبل قوي لن يدعها ترحل ، كما رأت الطائرة وكأنها شيطان ضخم سيأخذها بعيدا عن "دان" .

عادت أفكارها إلى الوطن ، وسيطر عليها شعور بالحزن . كانت حياتها دونه عبارة عن فكرة سوداء مرعبة . أخذ إحساسها بالحزن يزداد عندما تبين لها أن كل ماحدث في حياتها قبل الآن قد ذهب . أصبحت ذكريات "إلين" و"ستيف" و"برايان" وأيامها في "أكسفورد" مجرد أحلام . كان هناك فقط "دان" وأحست بمرارة الخوف في حلقها عند التفكير في أنها تتركه .

كانت قد عزمت على أن تتوسل إليه أن يمنحها بعض الوقت ؛ مرة واحدة حتى ترى وجهه . مرة واحدة وهي تراه يأتي نحوها . كان مطلبا يسيرا ، يمكنها أن ترحل إلى إنجلترا غدا ، ويمكنها أن تدفع ثمن تذكرة السفر .

– إنني لا أود أن أرحل على هذه الطائرة . هل يمكن إعطاء تذكرتي لأحد

غيري؟

نظرت المرأة الجالسة خلف مكتب شركة الطيران وكأنها فقدت عقلها ولكنها هزت كتفيها :

- اتركي اسمك وعنوانك حتى يمكن إعادة الثمن إليك ، فلدينا العديد من المسافرين دون أماكن ، ولن تكون هناك أية صعوبة في ذلك ، وسيدعو لك شخص ما بطول العمر .

بالتأكيد لن يكون "دان" ذلك الشخص وسيثور في جفاء ، ولكن لايهم ، فكل مايهمها أن تراه لآخر مرة ، وأن تملأ مخيلتها به كي تكفيها بقية حياتها .

تركت متاعها في مخزن الأمتعة ، وأسرعت لتستقل سيارة أجرة إلى المرفأ وهي غير متأكدة مما ستفعله بعد ذلك . ولكنها امتلأت برغبة محمومة ونشاط مجنون.

كان ثمة عدد قليل من القوارب مع بعض الرجال الذين يتحدثون . كان الجو ساكنا وحارا إلى درجة غير طبيعية ، وقد تجاهلها الجميع .

- هل يمكنني أن أستقل قاربا إلى جزيرة "أماراكاي" ؟ ... إنه أمر عاجل جدا .

كانت ترتدي ثوبا أبيض وتحمل حقيبة صغيرة في يدها بها بعض الملابس تكفي لمدة يوم واحد . بعد ذلك سيلقي بها "دان" ، وربما صحبها حتى باب الطائرة . ولكن مايهمها الآن هو أن تشاهد وجهه .

بدا وكأن الرجال قد اندمجوا في مناقشة صامتة ، بينما تنقلت عيونهم مابين البحر والسماء وبين وجهها القلق . انتصر قلقها في النهاية :

- سأصحبك ، فقاربي أسرع قارب .

كان الرجل مترددا . وأنزلها في القارب بسرعة ولكنها لم تكن تُعنى بالمجاملة . كل ما كانت تريده رؤية "دان" . ظل الرجل صامتا . وأخذ القارب يطير بأقصى سرعة ، كانت تعلم تماما أن هؤلاء الرجال قليلو الكلام إلى أن يتعرفوا عليك . وعندها لايكفون عن الكلام ، ولم يكن هذا الرجل شاذا عنهم . ولكنه لم يحاول أن يبدأ أي حديث . وحتى لو حاول ، فقد كانت متوترة لدرجة لاتمكنها

من الإجابة .

كان اهتمامه الوحيد هو السرعة ، ومع ذلك عندما اقترب من رصيف "أمارا" الصغير انحنى ووضعها على الرصيف الخشبي قبل أن تتمكن من الإتيان بأية حركة :

- كم الأجرة التي ...

وضع حقيبتها بجانبها . وأعاد توجيه القارب ثم رحل . وهو يصيح قبل أن يرحل :

- السيد "تورين" سيدفع المرة القادمة في "ناساو" .

أخذت تتساءل ماذا يحدث في "ناساو" ، لم يكن الرجل مهتما بالمال ، ولا حتى مهتما بها . كان قد رحل واختفى حتى قبل أن تمسك بحقيبتها ، وأحست بالسعادة ، لو رآها "دان" وهي تصل لسارع في الحال بوضعها في نفس القارب وأعادها إلى "ناساو" .

فجأة أحست بالاكتئاب عندما رأت أن قارب "دان" ليس موجودا على المرسى . ولا قارب "آب" ، كان المكان كله ساكنا سكون البحر . كان المكان كله ساكنا ذلك السكون المخيف ، بدأت تسير ناحية المنزل ، وهي تنظر إليه كما سبق لها أن نظرت إلى "لانجفورد هول" بنظرات جديدة ، تعلم أنها لن تراه مرة ثانية . كانت الحدائق يانعة لامعة والنخيل شديد الخضرة ، بينما تتألق الأزهار فوق شجيراتها . ذكرتها بالزهرة التي ثبتتها يوماً ما في شعرها ، وبكلماتها لـ"دان" فوق الشاطئ ، وصرخة اليأس التي خرجت من قلبها .

لم يكن هناك . هل يكون ... ؟! لو كان هناك لسمع صوت القارب وهو قادم .

دخلت المنزل ولم تسمع سوى صوت أقدامها . ثم أخذت تنتقل من حجرة لأخرى. كان المنزل مهجورا . وكان ظاهرا أن الجزيرة هي الأخرى مهجورة .

وقفت لحظة في البهو حائرة ، ولا تفهم أي شيء مما حولها ، هل ذهب "دان" إلى "كاليفورنيا" ؟ هل أخطأت "جوزي" ؟ ربما حضرت كي تجد "دان" يعد العدة للرحيل وعاد مع "آب" إلى "ناساو" .

بدأت ريح قوية تهب من البحر واستقبلت "أنّا" الهواء بترحاب كنهاية لسكون

غير طبيعي .

بدأت الريح تنقل الرمال إلى البهو . وهو مالم يحدث من قبل ، توجهت دون تفكير كي تغلق الباب وعيناها لاتريان شيئا ، وقد انشغل بالها . ما الذي ستفعله الآن ؟ جلست على حافة مقعد وهي تحاول التفكير في الأمر برمته .

وقفزت في خوف عندما انفتح الباب الأمامي وانغلق بعنف .

عندما أسرعت إلى البهو . وجدت "دان" وهو يحاول إزالة الرمال عن ملابسه . بينما شعره الكثيف متناثر في جميع الاتجاهات ، لم يرها في بادئ الأمر ، ولكنها خطت خطوة مترددة للأمام فنظر إليها في دهشة . في حين اتسعت عيناه من الصدمة عندما تيقن من وجودها . صاح :

- "أنّا"

وقف وكأنه تمثال قد من صخر . فقدت أعصابها تماما ، استعصت عليهما الكلمات ، لم تستطع أن تتحرك ولا أن تنظر بعيداً عنه .

كان وجهه ثائرا محتقنا ، وتقدم خطوة تهديدية ناحيتها :

- ماذا تفعلين هنا ؟ لماذا لم تستقلي الطائرة ؟

- لقد تركتها .. لقد أردت أن ...

أسرع يعبر المسافة بينهما ثم قبض على كتفيها بشدة وأخذ يهزها وهو يحملق فيها بعينين يتطاير منهما الشرر . كان الغضب قد ملأ كل ذرة في جسده :

- ماذا تريدين ؟ أجيبي ! لقد أخبرتك أنك لن تعودي إلى هنا . إنني لا أريدك هنا ! لماذا عدت ثانية ؟

كانت يداه تؤلمانها . وأصابعه تهز كتفيها بعنف ، سقط رأسها أمام قوة رفضه لها ... همست :

- لقد أردت أن أراك . لقد أردت أن ... أراك .. مرة أخيرة !

كانت الدموع الغزيرة تهزها ، بينما تصلب جسدها . أخذ يتركها ببطء ، وتركها واقفة في مكانها . كانت على استعداد لاستجداء حبه ، وكان ظاهرا أن عليها أن تفعل ذلك ، ولكنه وجه إليها نظرة غريبة وعميقة مصحوبة بتنهيدة ، ثم جذبها بين ذراعيه وهو يحتضنها بقوة وقد وضع وجهه فوق شعرها . قال بصوت

مبحوح :

- أيتها المجنونة الصغيرة . لماذا عدت ؟ ولماذا حدث ذلك الآن ؟

أخذت تتوسل إليه غير قادرة على رفع رأسها ، بينما التفت ذراعاه حول خصرها بقوة :

- أرجو أن تسمح لي بأن أمكث هنا الليلة يا "دان" ، وغدا سأرحل ، ولن أعود مرة ثانية !

- ربما تحصلين على أكثر مما توقعت .حذرها في صوت مبحوح وهو يرفع وجهها بيده ، أخذ يهز رأسه وقد لوى شفته وقال :

- ليس أمامي من بديل سوى أن تظلي هنا ، سواء أرضيت أم لم أرض . فقد ربطت القارب في الجانب الآخر من الجزيرة . لقد انهار كل شيء ، ولم أستطع أن أغادر الجزيرة . ولاتوجد طريقة أخرى لمغادرة الجزيرة . سأستعيد القارب بعد ذلك ولكن الوقت سيكون قد فات ، وستظلين هنا !

كان جادا للغاية . ونظرت إليه بسرعة :

- لقد عدت هنا كي تواجهي إعصارا مدمرا يا "أنّا" .

أخذت عيناه تمسحان وجهها المشدود وشعرها الطويل ورقبتها المستديرة :

- والآن سنرى أي نوع من حوريات البحر أنت ؟ ولنأمل أن يكون "نبتون" على علم بوجودك وأنك واحدة من رعاياه .

تركها وأخذ ينظر إليها عن بعد وينظر إلى ساعته .

- أمامنا ساعتان .. فلنتحرك .

لم يعد يهمها ماستواجهه ، طالما كان "دان" بجوارها ، وعندما دلف إلى المطبخ كانت تكاد تجري وراءه .

- مادمت هنا فلابد من الاستفادة بك . ولاتعتمدي على ساعتين . فالآن لدينا طاقة ، فجهزي وجبة وسندويتشات تصلح فيما بعد ، وابحثي عن "ترامس" واملئيها بالمشروبات الساخنة .

استدار وأمسك ذراعها :

- من هذه اللحظة حتى ينتهي الإعصار أرجو أن تفعلي كل ما آمرك به في

www.elromancia.com

الحال . هل هذا واضح ؟

لم يكن على وجهه أي أثر للمزاح المرح . أومأت بسرعة وقد وصلتها كلماته العاجلة . وسادها شعور بالبهجة وهي متعلقة به بقوة رغم أنه هزها قبل ذلك :

– كل ما تأمر به مطاع !

نظر إليها بطريقة لاذعة ، ثم ابتعد .

وسرعان ما سمعت أصوات شيء يتحطم خلف المنزل ، ولكنها اهتمت بأداء وظائفها التي كانت كثيرة .

لم تكن لديها فكرة عن الإعصار ، عدا بعض المناظر العاصفة التي شاهدتها في الأفلام .

قد يكون الأمر مثيراً ، ولكن وجودها الآن بجانب "دان" كان أكثر إثارة . كان سلوكه نحو العاصفة المتوقعة شديد الجدية بالنسبة لها ، فلم تأخذ الأمر ببساطة . كانت تسرع في أداء كل شيء واختلست بعض الدقائق كي تذهب لحجرتها لتبديل ملابسها إلى "بنطلون جينز" وقميص قطني كانت قد أحضرتهما معها .

أنهت مهامها الأخرى أثناء طهي الوجبة الساخنة ، وذهبت إلى البهو عندما دخل "دان" مقطب الجبين :

– كل شيء جاهز !

– حافظي على الطعام ساخناً ، فليس لدينا وقت لتناول الطعام الآن .

أضاف وعيناه تمسحان جسدها :

– وأحضري ملابس صوفية معك .

– لم أحضرها ، فمتاعي موجود في "ناساو" .

بدأ صوتها يزداد دلالا وهي تراه ينظر إليها ، لم يكن من الواجب أن تكون هنا؛ وكان ذلك واضحاً في نظرة واحدة من عينيه .

– خذي بعضاً من ملابسي ، وعليك أن تحضريها بنفسك واتركيها في مكان يمكنك الوصول إليه بسهولة ، فقد يتحول الجو إلى البرودة الشديدة .

– هل ... هل يمكنني .. أن أذهب إلى حجرتك و ...

حملق فيها ببساطة وكرر كلماتها :

– يمكنك ... أن تذهبي إلى حجرتي و ...

دلف خارجا ، فعضت شفتها . كل ماتقوله يحول الأمر إلى الأسوأ . أسرعت إلى حجرة "دان" وبحثت بسرعة عن "سويتر" والتقطت أول واحد وقع في يدها . ثم أسرعت خارجة وكأن الشياطين في أعقابها .

ألقت نظرة واحدة على المطبخ ، فوجدت كل شيء على مايرام . كانت الوجبة ساخنة ، ذهبت للبحث عنه . عرفت أسباب الضجة في الخارج : كان يغلق جميع النوافذ بإحكام ، وكان قد وصل من توه إلى أمام المنزل ، كانت الرياح تزداد قوة . وعندما نظرت إلى البحر تجمدت من المفاجأة .

كان البحر يغلي ، وقد اختفت مياهه "اللازوردية" نهائيا ، وكان جانبه الشرقي يرتفع ثم ينحدر ، وهو يهدد كل حياة أمامه . أخذت الأمواج العالية تصطدم بعنف بالشاطئ الذي كان منذ قليل هادئا . الأمر الذي أنذرها بخطر داهم . كانت في الحقيقة أمام منظر لم يسبق لها أن رأته من قبل قط . وأصبح المنظر أمامها غريبا وكأنها في جزيرة أخرى . كانت أشجار النخيل الجميلة تنحني لأسفل حتى لتكاد تلمس الأرض .

كما سقط بعضها فوق الرمال . كانت كل النباتات المعتنى بها قد تعرضت للخراب . لن يكون هناك أزهار "الجارونيا" لتضعها في شعرها .

– بحق السماء .. أرجوك أن تدخلي يا "آنا" !

كان "دان" ينظر إليها بغضب ، ثم اتجه نحوها وأمسك ذراعها وألقى بها إلى الداخل :

– بقيت "نافذتان" .. سأحكم إغلاقهما وبعدها نصبح في أمان بالداخل . ليس من المعقول أن أذهب وأنا قلق على تحركاتك . ابقي هنا !

دفعها للداخل ، ثم صفق الباب بعنف ، ولم يكن في حاجة إلى استخدام يديه ؛ فقد تكفلت بذلك الرياح العاتية . أثارتها شدة اهتمامه . لقد أمرها بأداء بعض الأشياء وقد أدتها ، فماذا بعد ؟

تواترت على ذهنها صور الأفلام التي سبق أن شاهدتها ، فأسرعت إلى المطبخ

www.elromancia.com

وأنزلت الاكواب والأواني . وبقية أدوات المطبخ ، وكومتها في الدواليب ، وهي متأكدة من أن "دان" سيتساءل عما إذا كانت قد جنت . ولكن سرعته اليائسة لإنهاء مهامه أصابتها هي الأخرى بالعدوى .

لم يظن أنها جُنت ، لقد دخل في صمت وهي تسرع وتعبئ الآنية ، وعندما نظرت إليه أشار إليها أن تستمر ، وقال لها :

- فتاة جيدة !

ثم قال ساخرا :

- إن الحفاظ على بضعة أكواب ليس بالأمر الضروري ، وحيث إننا سُجنا هنا . فيمكنك المساعدة في شيء أهم من ذلك . خزّني التحف واللوحات ، فلهاقيمة كبيرة عندي . لقد كان لدي سبب وجيه لجمعها ، ولاأريد أن أراها محطمة .

كانت لديه صناديق معدة لذلك ، ملأها دون أن يقولا شيئا عن الريح التي أخذت تقصف كل جنبات المنزل . أخذ البحر يزأر بطريقة لم يسبق لها أن سمعتها ، بينما كانت الأمواج تصطدم بالشاطئ بشدة ، مما ينذر بالخطر . خيل إليها أن الرياح والمياه ستقوم بنقل الجزيرة من مكانها ، أخذت ترى الأمواج وهي ترتفع عالية والبحر يقترب في كتلة غازية .

- لقد بدأ الآن الإعصار !!

لم تعد تستطيع أن تزيل القلق من صوتها .

وابتسم وهو متجهم :

- ليس بعد في الحقيقة ! هذا مايسمى "بالطلائع" .

وسيأتي الإعصار نفسه فيما بعد .

ارتفعت أنظارهما عندما هز الرعد المنزل ، وقام "دان" على قدميه :

- لقد أتى ! ولقد صنعنا كل مايلزم . وعلينا الآن أن ننسحب !

كانت دائما تعتقد أن الحجرة الموجودة وسط المنزل عجيبة الشكل وبها شيء غريب . سحب "دان" الصناديق داخلها وأمرها أن تبقى مكانها .. صاحت :

- الوجبة !

- ياإلهي ! يالك من أنثى مزعجة . هيا تعالي !

أحضرا معا كل شيء إلى الحجرة ، وعندما فردت "أنا" ملاءة ، كي ترص عليها الطعام ، كان "دان" قد أحضر السندويتشات ثم أغلق الباب وراءه .

أمرها وهو متجهم :

- كلي وأنت محتفظة بأعصابك ، فقد تكون هذه آخر وجبة ساخنة نتناولها لمدة طويلة .

- كم سيستغرق هذا الإعصار ؟

- إنه لم يصل في الحقيقة بعد ! من يدري ؟ الأمر يتوقف على سرعة تحرك عين الإعصار واتجاهها !!

تناولا الطعام في صمت . أخذت الضجة حول المنزل تزداد . كانت العواصف المخيفة ، إلى جانب قوة دفع الريح الثابتة الصارخة قد ازدادت ، إلى جانب الأمطار الغزيرة التي أخذت تهطل فوق السطح وكأنها تحاول في يأس أن تقتحم عليهما المنزل .

أزاحت "أنا" طبقها بعد فترة وجيزة ، وهي غير قادرة على الاستمرار في الأكل ، ثم حركت المائدة بعيداً ، بعد أن حذا "دان" حذوها .

تكومت في مقعد ، وقد ركزت عينيها في عينيه ، بينما غاص كلية في الأريكة الطويلة ، نظر إليها فجأة عندما وجد يدها ترتعد :

- هل أنت خائفة ؟

- لا ! لاتقل خائفة ، بل مذعورة ... ولا أجد كلمة أكبر لأصف بها حالتي !

ابتسم لها وقال :

- هيا تعالي ، اجلسي بجواري ، سنواجه الإعصار معا .

لم تكن في حاجة إلى تكرار طلبه . مهما حدث فإن في إمكانها أن تواجهه مع "دان" ، تكومت في الجانب الآخر من الأريكة ، وعيناها مركزتان عليه وهو ممدد ورأسه للخلف ، وبدا كل تكوينه غريبا .

سمعا صوت اصطدام رهيب ، فنهضت بسرعة الرصاصة . جرى "دان" نحوها وأمسك بها ثم سحبها بين أحضانه .

- ماهذا ؟

www.elromancia.com

أحست بأنها تدفن رأسها في جسده ، بينما أخذت يداه تربتان عليها :

– أعتقد أنها شجرة اقتلعت من جذورها .

– هل هناك احتمال أن تصطدم واحدة بالمنزل ؟

– هذا مستبعد ، رغم أنه لو أصابنا الإعصار لأصبح في الإمكان حدوث أي شيء .

قالت "أنّا" في تهكم ممزوج بالخوف :

– لقد ظننت لحظة أن الإعصار أصابنا .

– لو أصابتنا ضربة مباشرة لانتهينا لامحالة ، لقد رأيت ذلك يحدث مرة .

استند إلى الخلف فوق الأريكة ، وجذبها معه .

– لم تكن هناك مشكلة في ذلك الوقت . هذا هو البيت الثاني الذي أقمته فوق "أماراكاي" ، وقد عنيت تماما بأن يكون هذا المنزل قادراً على تحمل أي شيء . عدا صدمات الإعصار المباشرة . وقد يتحملها ، وهذه الحجرة على الأقل .

– ماذا حدث للمنزل الأول ؟

– عندما اشتريت الجزيرة ، كان بها بيت قائم بالفعل ، لحسن الحظ كنت بعيدا عن الجزيرة عندما هبت العاصفة . عندما عدت لم أجد سوى الأنقاض ، كان البيت هشا . وذهب كل شيء أدراج الرياح .

عندما بنيت هذا المنزل ، كان أمام عيني المنزل الأول وما حدث له . لقد صنعت له هيكلاً من الصلب ، ولاتوجد شجرة قريبة منه يمكن أن تسقط عليه ، وجهزت هذه الحجرة بحيث تصبح ملجأ للحماية ، إنها ليست جميلة ، ولكنها قوية ومتينة.

نظرت حولها فوجدت شموعاً ، وماء ، وصندوق إسعافات أولية ، إلى جانب جهاز إرسال واستقبال فوق المائدة .

عندما نظرت إلى الجهاز سمعت فجأة نداءً لاسلكيا :

– "أماراكاي" .. "أماراكاي" .. هل تسمعني ؟ .. حول !

أزاحها "دان" جانبا ، ثم ذهب إلى الجهاز وأخذ الميكروفون وتحدث بسرعة :

– هنا "أماراكاي" .. استمر يا "جوني" ! ماهو الوضع ؟ .. حوّل !

– ليس سيئاً للغاية ، ولكن هناك تجمعات كبيرة ناحية الشرق . أنت آخر جزيرة أتصل بها . حظاً سعيداً يا "دان" !

سمعت صوت شوشرة فظيعة ، وانقطع الصوت فجأة . عاد "دان" حيث جلس بجوارها . قال بهدوء :

– ها هو ذا الإعصار .. إنه قادم . لماذا لم تكوني فوق الطائرة على بعد أميال من هنا ؟

اعترفت له بنعومة :

– أفضل أن أكون هنا مهما حدث !

جذبها بالقرب منه وارتمت عليه ، ثم أغلقت عينيها عندما أخذت الريح تصر بعنف جعلها تخاف بصورة لم يسبق لها مثيل .

www.elromancia.com

الفصل التاسع

استيقظت "آنّا" على صوت "دان" يتحدث في جهاز الإرسال .

شعرت بأنها لاتصدق أنها نامت كل ذلك الوقت ، ورغم ذلك بدت مهتزة لاتستطيع تركيز بصرها . ظلت تدور ببصرها فيما حولها ، عندما استدار "دان" والتقت نظراته بنظراتها . إنهما مازالا على قيد الحياة .. هنا أضاء وجهها بابتسامة . فأتى كي يقف أمامها ويطل عليها من أعلى وابتسامته تحيطها :

- لقد انتهى !

- لقد نمت نوما حقيقيا !

- بعد وقت طويل جاء الصباح أخيراً . وهذا أول ضوء ، لقد اتصلت بـ"ناساو". لقد انقطع اتصالنا بالعالم بسبب الإعصار ولكننا لم نصب بضربة مباشرة على أية حال .

- هل سيعود ثانية ؟

- لا ، لقد غرق وسط المياه ، لقد أصاب شرق الولايات المتحدة الأمريكية ؟ وسينهي نفسه بنفسه .

مد يده ليمسك بيدها :

- هل ترغبين في مشاهدة الخسائر ؟

شدها كي تقف على قدميها ، وأمسكت ذراعاه بها وهي تترنح . سألته :

- هل توجهت إلى خارج المنزل ؟

- بضع ياردات . ولكن صوت جهاز الإرسال والاستقبال جذبني لأعود ، ولكني لم أستطع الوصول إليه إلا حينما بدأت تتحركين .

استمر ممسكا بها ، وظلت مهتزة حتى إنها لم تستطع أن تتحرك . ربما نامت بعض الوقت ، ولكنها نامت بعمق . أحست بالدفء والأمان وبسرور ماكر يسري في جسدها . لم يقل كلمة واحدة . أسرتها عيناه الباسمتان مثلما أسرتها

ذراعاه . ولم تفكر في الابتعاد عنه . قال لها :

- إذا .. لقد عدت ثانية ؟

- نعم !

كانت إجابتها مجرد همهمة . ولم يكن صعبا عليها أن تتبع سلسلة أفكاره .

- لقد طردتك !

- كان من الضروري أن أراك !

هز رأسه ، وكان وجهه دافئا ومتفهما . أخذت عيناه تبحثان عن وجهها ورقبتها الملفوفة . بينما نبضه يرتفع تحت قميصه . ركز عينيه على أعلى صدرها فاشتعلت نيران الرغبة . قبلها قبلة محمومة وهو يغمغم بعد أن رفع رأسه أخيرا :

- دعينا نذهب لنرى خسائر الإعصار !

أدارها ناحية الباب . ومازالت ذراعه حول خصرها ، كانت تعلم أن كل شيء ، قد تغير .

أخبرتها شفتاه بذلك .

كان داخل المنزل كما هو . لم يتحطم شيء أو يفقد ، ولكن ، عندما خطت "آنّا" الباب الأمامي حمدت ربها أن الإعصار لم يصب المنزل مباشرة . بدا البحر كئيبا قاتما . وقد اختفى لونه "اللازوردي" المحبب إليها والذي تعودت عليه .

كانت الجزيرة تبدو وكأنها تعرضت لاعتداء وحشي .

تحطم المرسى ، وطفت كتل أخشابه فوق المياه ، بينما اختفى بعضها تماما .

كانت الأنقاض فوق سطح الماء أو فوق الرمال . لم تستمر النباتات في الحياة بما فيها أزهار (الجارونيا) المحببة إليها . وكأنها لم تكن موجودة من الأصل .

بينما انتزع معظم السندس الأخضر .

كان الشاطئ مغطى بالأنقاض المبعثرة وبقايا أشجار النخيل الجميلة . ورغم أن العديد من أشجار النخيل ظلت قائمة . إلا أن بعضها تحطم وكأنه أعواد ثقاب . بينما تناثر عن بعضها السعف .

تكومت الأغصان والسعف حول النوافذ ، وارتشقت فيها كالسهام . وتخيلت

www.elromancia.com

"أنّا" ماذا كان يمكن أن يحدث لو لم يقم "دان" بكل تلك الاحتياطات .
كل هذا الخراب ولم يمسسهما سوى جزء بسيط من الإعصار ! سألته بصوت مبحوح . وقد طغى عليها ماتراه من دليل على قوة غضب الطبيعة :
– ماذا أصاب البيت من أضرار ؟
قال وقد تملكه الرضا :
– بعض ألواح الزجاج وبعض البلاطات ، ليس الأمر سيئا على الإطلاق .
– وماذا حدث للقارب ؟
– آه ! هذا موضوع آخر . سأفتح النوافذ بعد تنظيفها وإصلاحها ثم أذهب هناك كي أرى ماحدث .
تركت يده معصمها . فقد أصبح القارب والبيت و"أماراكاي" كل اهتمامه الآن .
دخلت "أنّا" المنزل ، وبدأت ترتب كل شيء . كانت مهمتها الأولى أن تعيد كل شيء إلى ما كان عليه . وقد بدا أن ذلك أهم شيء بالنسبة لها . ذلك أن "دان" كان يحب كل تحفه ومقتنياته الثمينة وهي كذلك !
كانت اللوحات ثقيلة ، ولكنها صارعت وعلقتها في أماكنها بطريقة ما . وهي تتذكر كل بقعة والحب يجتاحها . كانت تجاهد كي يبدو كل شيء سليما قبل عودة "دان" . تناولت التحف بعناية ورقة . كانت رائعة ، ولابد أن كل قطعة اختارها كانت تعني شيئا خاصاً بالنسبة له . لقد أحبت رؤيتها ، وقفت بعيداً تراقب عملها . كانت راضية تماماً عنه . بعدها دخلت المطبخ .
كانت تغسل أطباق عشاء الليلة الماضية حينما دخل "دان" وقد غطاه البلل والطين حتى وسطه .
– هل القارب لايزال في مكانه ؟
استدارت بسرعة ونظرت إليه وقد فتحت عينيها على اتساعهما من الدهشة لمنظره . أومأ بالإيجاب وابتسامته تتسع وهو يقول :
– بعض الخدوش ، ولكن الخليج كان محميا . لقد تركته في مكانه ، فليس هناك مكان هنا لربطه به حاليا . كانت الرحلة للوصول إليه محفوفة بالأخطار ، وأرجو ألا تذهبي هناك للتفرج ، فبعض الأشجار على وشك السقوط .

نظر إلى الصحاف وقال :
– لايوجد المزيد من المياه العذبة ، وقد نتعرض لنقصها إلى أن تعود الأمور إلى نصابها .
– أوه ! لقد أردت أن أستحم !
– أعتقد أنني أحتاج إليه أولا .
قال ذلك وهو يضحك وينظر إلى الجزء الأسفل من جسمه ، ثم أكمل :
– إذا بقي بعض الماء فيمكنك الحصول على حمام سريع بعدي ، ولكن لايهمك ، وخذي الأمور ببساطة حتى أخبرك بما سيتم فيما بعد .
ذهب ناحية غرفته ، بينما جففت الصحاف ووضعتها في أماكنها ، وانتهت عندما ناداها ليخبرها أن بإمكانها استخدام نصيبه من المياه كي تستحم .
أحست وكأنها كانت تنام بكامل ملابسها أسبوعا بأكمله . خلعت ملابسها وذهبت إلى الحمام ، بينما تركت ملابسها تسقط على الأرض . ذكرها ذلك بشكاوى "جوزي" من "أنيتا" ، ولكنها نحّت الماضي جانبا وكذلك المستقبل . لن يستطيع "دان" أن يجبرها على الرحيل . وحتى لو جاء قارب فليس هناك مكان لربطه . سيظل ملكها ليوم كامل على الأقل ، وجاءت قبلته لهاتأكيداً لهذه الحقيقة .
لقد شاركته الليلة الرهيبة ، وواجها المخاطر معاً ، وستتذكر ذلك مدى الحياة . كانت حريصة ، وهي تستخدم الصابون ثم الماء . وتحاول ألا تهدر الماء الثمين ، ولكن عقلها كان يعمل بنصف طاقته . كان بداخلها – في مكان ما – شعور بالسمو والتوقع والإثارة يتصاعد داخلها كالبخار عندما كانت المياه تنزل فوق رأسها ومنه إلى بقية جسدها . كانت تحس ببهجة الماء على جلدها . وكان جسدها حياً ، مدركا لما تحسه بداخلها من انتظار يقطع الأنفاس .
سمعت ضجة بسيطة جعلتها ترفع رأسها وتديره ، ولكنها لم تحس بالمفاجأة .
كان "دان" واقفا وقد ارتدى الشورت الأسود وقد غطى جسده بثوب استحمام أسود . وكانت عيناه الماكرتان تتحركان فوقها ، ولكنها لم تحس بالخجل .
جرفتهما أحاسيسهما . واشتعلت عاطفتهما . وتماديا كي يطفئا اللهيب

المستعر، واستسلمت له كلية ، ولكنه حملها إلى الفراش وألقى عليها الأغطية وقال وهو محموم :

- "أنّا" ... حبيبتي ... لقد كنت أريد أن أتملك كلية كي أطفئ اللهيب المستعر داخلي ، ولكني الآن أريد حبك فقط ومن الآن سأحبك !

أصبحت لمساته لطيفة وخفيفة . وأخذ يدللها ؛ الأمر الذي أعادها إلى الحياة وإلى الواقع . لم تعد تتحمل البهجة . فأخذت تئن وهي تحس بالرضا والإرهاق. ثم استغرقت في النوم .

انتصف النهار عندما استيقظت من نومها ، لم يكن "دان" موجودا ، ونظرت حولها في قلق . لم تكن تريد أن تفكر فيما حدث . لقد طردها ولكنها عادت واستسلمت له بمحض إرادتها . ماهو شعوره الآن في ضوء النهار ؟

كانت ملابسها مازالت حيث تركتها ، فالتقطتها ، ثم ذهبت لترى إن كان هناك ماء متبق .

وجدت بعض الماء ، فاستخدمته بحرص شديد بعد أن ارتدت ماتبقى لديها من ملابس أحضرتها معها . كانت تخشى النهار بعد أحلام الليلة الماضية .

عندما دخلت المطبخ وجدت الفطور معداً فوق المائدة . كان فطوراً متأخرا ، ولكن "دان" لم يكن هناك رغم أن القهوة كانت ساخنة . سمعت صوت قارب يقترب ، عندما تطلعت للخارج وجدت قاربا كبيرا وقويا يقترب من الجزيرة بسرعة ، ثم أخذ يبطئ من سرعته . جذبها الباب المفتوح فترددت في الخروج قد تكون هذه اللحظة طيبة ، وأن وجودها معه لابأس به . لم يكن لديها فكرة عما يدور في ذهنه . لم يكن قد تكلم معها بعدما حدث في الليلة الماضية ، ولايزال لديه حياة أخرى هنا .

لقد كان وجودها في هذه الجزيرة بعد أن ضمها بين ذراعيه أمرا غير حقيقي بالنسبة لها .

كان قارب شرطة . مات كل سحر أحسته "أنّا" في هذه اللحظة عندما رأت "دان" يلوح بفرحة رداً على الصيحات المجنونة الصادرة من القارب . كل ماتذكرته في هذه اللحظة تماما هو الشعر الطويل والوجه الجميل لـ"دافني" ،

وهي عائدة إلى المنزل و"دان" في انتظارها وقد اشتعل وجهه بالسعادة .

اقترب القارب قدر الإمكان ، وصعد أحد رجال الشرطة فوق بقايا المرسى الصغير ، ثم مد يديه لـ"دافني" ، ثم حملها وسلمها لـ"دان" . عقدت ذراعيها حول رقبته وهي تضحك في وجهه عندما تلقاها ، ثم وضعها آمنة فوق الرمال . كانا في غاية السعادة والمرح . كان منظر "دان" يشي بالرضا التام ، أحسته "أنّا" حتى من بعيد . استدارت ودخلت المنزل قبل أن يراها ، ولكن لايوجد مكان للاختباء . انتظر القارب بضع دقائق ، و"دان" يتحدث مع الرجال ، ثم استدار، وذهب بعيداً عن الجزيرة . كان لزاما عليها أن تواجه ماسيحدث مهما كان .

عادت إلى المطبخ عندما دخلا . وكانت تصب القهوة بيد غير ثابتة ، ثم أجبرت نفسها على رفع رأسها وهي تبتسم . كان ذلك أصعب ما أدته في حياتها .

- أوه ! هذه هي "أنّا" . لن أنسى أبدا جمالها الغريب ، وليس لدي أية فكرة عن وجودها هنا ، هل واجهت العاصفة ؟.

- نعم . لقد كانت تجربة مريرة !

ابتسمت "أنّا" نصف ابتسامة ، وقد تصلب جسدها عندما دخل "دان" الحجرة . لم تكن تريد أن تنظر إليه وفي عينيها تأنيب له . لم تكن تشعر بالتأنيب ... كانت تفهم .

وقعت عيناه في الحال على وجهها . وماتت الابتسامة عندما لاحظ توترها وتصلبها ، وأخذ منها القهوة التي قدمتها له دون أن ينظر إليها بعد ذلك .

مال على المائدة وابتسم عبرها إلى "دافني" :

- الآن وجب عليك تفسير بعض الأمور .

كان يتحدث بحرية ومرح . كان من الواضح أن علاقته بـ"دافني" متينة للغاية .

وأحست "أنّا" بنوبة خجل عندما تحققت أنها كانت مكان "دافني" التي كانت تحييها بحرارة . رغم أنها كانت بمفردها مع "دان" . لاشك أن "دافني" مازالت تعتبرها أختها الصغرى وليست كتهديد بأي حال من الأحوال .

لم تكن تشكل أي تهديد في الحقيقة . وهي تفهم ذلك وتحسه مما تراه أمامها .

ضحكت "دافني" قائلة :

– إنها زيارة خاطفة فقط ، وسيعود ذلك القارب بعد ساعة لالتقاطي ، إنهم يفحصون الجزر الخارجية ، وسيعودون ثانية لأخذي . عندما ذكرت اسمك سارعوا بالاستجابة .

قال "دان" :

– إن "جوني" صديق لي ، وعلى كل حال فهم يسارعون بالخدمة في الحالات الخطرة ، ولكنك لم تشرحي سبب الزيارة بعد .

– كنت في طريقي لزيارتك عندما أعلن عن وقوع الإعصار ، وما إن انتهى حتى أكملت طريقي ، وكان من الضروري أن أعرف أحوالك . وقبل كل شيء فإن معظم استثماراتي تعتمد عليك .

أخذت تضحك في صوت منخفض وهي في غاية المرح :

– ثم هناك أيضا مشكلة "أنيتا" الصغيرة .

– سنترك هذا الأمر مؤقتا ، كيف حال "تريفور" ؟

لم تعد "أنّا" بقادرة على سماع المزيد . لم ينظر إليها "دان" بعد النظرة السريعة التي ألقاها عليها عندما دخل المطبخ . كانت تنتظر الفرصة كي تشترك في الحديث ، ولكن وفر عليها تلك المشقة . لقد قال ماودت أن تقوله :

– سنذهب معها إلى القارب عندما يأتي يا "أنّا" .

كانت عيناه تنظران بعيداً عنها عندما أكمل :

– لن يكفي الماء . وتحتاج الجزيرة إلى بعض الإصلاحات ، سأصحبك وأحاول العثور على "آب" ، ففي إمكانه إحضار فرقة كاملة للإصلاح . بعد أن تتناولي طعامك يمكنك إعداد متعلقاتك وتستعدين للرحيل .

هزت رأسها في إذ عان ، كان كل ماترجوه هو يوم واحد ، وهو كل مأقدم لها ، لقد أوضح موقفه تماما عندما كانت بالمستشفى ، ولم يغير قراره .

لم تستطع أن تأكل . وابتلعت قهوتها بسرعة وتركتهما بمفردهما . سمعت صوت "دافني" يأتي إليها وهي ذاهبة إلى حجرتها .

– إنها جميلة لدرجة مذهلة يا "دان" ، وشعرها وعيناها !

– نعم . إنها جميلة فعلاً .

كان صوت "دان" مشوبا بالخشونة وبغضب عميق حاول أن يحتويه . ولكنها لم تهتم . كان بإمكانها أن تسمع حديثهما حتى وهي في حجرتها كانا يتعاملان بمنتهى الألفة ، ولديهما الكثير للحديث حوله . لم تجرؤ على العودة خوفا من أن تجد "دافني" بين ذراعي "دان" ؛ لأنها لم تكن لتتحمل الموقف . أخيرا ، وبعد وقت طويل جاء "دان" كي يأخذها :

– ماذا تفعلين ؟

دخل ببساطة عليها الحجرة ، واقترب منها وكأنه يفعل أمراً عاديا ، وسرها أن تكتشف أنه هو الوحيد الذي لايحس بأي حرج .

– لم أكن أفعل أي شيء مهم ، كنت أريد أن أتيح لكما الوقت كي تعرفا الأنباء الخاصة بكل منكما .

قال وهو ينظر إليها نظرة ارتياب :

– لاتوجد أخبار جديدة ، فإنني أسمع كل شيء من "دافني" بانتظام ، فنحن على اتصال دائم ، وهو أمر ضروري .

قد يكون كلامه هذا هو الإعلان الرسمي لهذا العام ، فمن الطبيعي أن يكونا على اتصال دائم : مادام بينهما ابن !

– أفهم ذلك !

قالت ذلك ، ثم حولت نظرها بعيدا .

قال لها "دان" برقة :

– أحب أن يأتيني حديثك وأنت تنظرين إليّ . لقد أردت أن أتحدث معك عندما استيقظت . ولكنك كنت مستغرقة في النوم تماما ، وفي غاية الراحة ، فتركتك.

تذكرت منظرها وهي نائمة ، فأحست بالخجل . رفع وجهها بيده :

– هاي ! لماذا هذا الخجل . للأسف لم يعد أمامنا وقت كاف ، وإلا لأخرجتك من هذا المزاج المعتل .

قبل خدها بسرعة . كانت تعلم أنه ليس هناك وقت ، وأنها لن تتوسل إليه كي يبقيها . قالت له بسرعة وهي تجبر نفسها على مواجهة نظراته :

– لست في حاجة إلى الحديث معي يا "دان" . فأنا أفهم كل ماتود أن تقوله .

– هل تعرفين ؟

أمسك كتفيها المستديرتين بيديه . ونظر إليها ، ولكن "دافني" نادته من أسفل .

– لقد حان وقت الرحيل ، والقارب قادم وأنا أسمعه !

ظل ينظر إلى "أنّا" . وكانت ابتسامته مغرية .

قال برقة :

– لم أستطع أن أفهمك أبدا . لقد ظللت بالنسبة لي المخلوقة الصغيرة الغريبة الأطوار التي تراقب من خلف الظلال .

جاء صوت "دافني" ملحا .

– "دان" ... لقد انتهى الوقت ، وأمامي طائرة لابد أن ألحق بها .

استدار ، وخرج وهو يصيح :

– إني قادم ! هيا أسرعي يا "أنّا" . إذا لم نلحق بهذه الرحلة فستظلين محبوسة هنا حتى يقرر "آب" القيام برحلة المخاطر لإصلاح المرسى .

وهو لم يكن يريد أن يحبسها في الجزيرة ! وهي أيضا أمامها رحلة طائرة تود أن تلحق بها . كل شيء . معد بالمطار ، وغير مطلوب من "دان" أن يعيد الترتيبات. عادوا من نفس الطريق الذي جاءت منه "دافني" ، رفع "دان" كلا منهما وناولها إلى أحد رجال الشرطة فوق القارب . عندما رفعها شدد ذراعيه على خصرها لحظة . ولكنها كانت متصلبة وغير مستسلمة ، وهي تحمي نفسها من أية عواطف وإحساسات ، وعندما مال على القارب كان وجهه في جمود جسدها .

لم يكن لديه مايمكن أن يقوله لها . لم تتح له الفرصة ؛ لأن "دافني" كانت تتكلم بلا انقطاع ، وقد ارتفع صوتها فوق صوت محرك القارب .

راقبت "أنّا" وجهها المليء بالحيوية . كانت تختلف عن المرأة التي جاءت معه منذ خمس سنوات إلى "لانجفورد هول" ، ذهب عنها الحزن والكآبة . كانت الحياة طيبة معها . وترى "أنّا" ذلك بوضوح عليها .

استدارت بعيدا عنهما . وأخذت تتطلع إلى بشائر مدينة "ناساو" ، حيث نهاية

أحلامها وبداية الهرب .

لم تكن "دافني" مستقرة وكان من الواضح أنها انتظرت انتهاء الإعصار وقتا طويلا أكثر مما كان مسموحاً لها به ، وودعت "أنّا" في سرور .

قالت "أنّا" :

– لقد كانت زيارة قصيرة .

كان هذا أقصى ما يمكنها قوله ، بينما كانت في دهشة لأنها مازالت تحب تلك المرأة .

– حسنا ! لم أكن في الحقيقة في زيارة طويلة ، ورأيت أنه من الأفضل أن أحضر . إنني لا أستطيع أن أقضي وقتا طويلا بعيدا عن "تريفور" . كما لا أستطيع أن أظل وقتا طويلا دون رؤية "دان" .

كانت طريقتهما في الحياة تثير دهشة "أنّا" ، لم تكن هي لتستطيع أن تعيش لحظة واحدة دون "دان" ، ولم تكن لتستطيع ذلك مدى حياتها ، ومع ذلك فإنها من الآن فصاعدا لن تستطيع أن تراه على الإطلاق .

سمحت لنفسها أن يقودها "دان" إلى سيارة أجرة ويضع "دافني" في سيارة أخرى . كانت ذراعها شبه ميتة في قبضة "دان" القوية ، أغلقت "أنّا" عينيها عندما قام "دان" بتقبيل "دافني" مودعا .

قال لها بمكر وهو يضعها داخل السيارة :

– حسنا ! لدي أنا وأنت حديث لابد أن يتم .

كان غاضبا ، وكان صوته مبحوحا عندما حجز حجرتين بالفندق . كان هناك العديد من الحجرات ، حيث هرب معظم السائحين وأحدهم – دون شك – احتل مكانها في الطائرة .

قد يتركها في الفندق حتى يجد لها مكانا بالطائرة في رحلة إلى إنجلترا ، تبعته في المصعد ، وهي لاتزال على صمتها . فتح باباً وأشار إليها لتدخل .

قال لها بغيظ :

– حجرتك ! وأنا في الحجرة المجاورة . ولما لم تكوني قد تناولت طعاما من ليلة أمس فسأطلب لك شيئا الآن ثم أذهب للبحث عن "آب" . ثم أعود إليك .

فكرت أنه غاضب منها لعودتها إليه وتعقيدها حياته ، وغاضب من نفسه لممارسته الحب معها .

إنها لاتلومه . ألم تلق بنفسها على "دان" منذ أن حضرت هنا ؟ ربما اختلفت الأمور لو أن "دافني" لم تظهر فجأة ولكن ذلك لن يكون سوى ليوم آخر فقط ..

لم تقل شيئا . ذهب إلى الباب ، ثم خرج منه وتركها دون أن يلقي عليها ولو نظرة خلفية ، انتظرت عشر دقائق ثم طلبت الخدمة :

– هل من الممكن ترتيب رحلة إلى إنجلترا من هنا ؟

كان ذلك ممكنا ، وطلبوها في الحال ليخبروها أن هناك رحلة يحين موعدها بعد نصف ساعة ، وهو الوقت الكافي كي تذهب إلى المطار . حتى إنهم استدعوا لها سيارة أجرة . كم كان يسيراً عليها أن تغادر "الباهاما".

كانت هيئتها لابأس بها ، وكان الثوب الذي ترتديه جديدا ونظيفا ، حيث لم تلبسه إلا في الفترة التي استغرقتها للوصول إلى "أماراكاي" ، وقبل أن تبدل ملابسها . كانت أمتعتها بالمطار من قبل .

لابد أن "دان" سيعود ليخبرها عن أنباء "دافني" وسيقول لها إنه أسف .

ولكنها ليست على استعداد للاستماع إلى أسفه .

الفصل العاشر

لم يكن هناك اندفاع مجنون ولاهرولة مسعورة في المطار كما كان في المرة السابقة . وتم تفتيش أمتعتها بمنتهى السهولة ، وفي دقيقة واحدة ، عاد كل شيء إلى طبيعته ، وكانت السماء زرقاء صافية ؛ تماما مثل اليوم الذي وصلت فيه . والطعام سيقدم إليها عندما تحلق الطائرة ، وحتى في ذلك الوقت لن تجد رغبة في الطعام . إن ماتحسه من فراغ داخلها ليس بسبب الجوع . كانت تمتلئ بالإحباط والوحدة .

نودي على رحلتها ، وسارت للأمام وهي لاتكاد ترى شيئا سوى مستقبلها المظلم. ليس فيه ماتحلم به ولاتأمل تحقيقه . كان رأسها منكساً ، ولاتعرف أين تذهب . كانت بسهولة تتبع خطوات المسافرين الآخرين .

– أين تنوين الذهاب ؟

أعادها صوت "دان" الغاضب إلى الحاضر ، وهي تحس بأن قلبها يكاد يقفز من صدرها ، وضع يده على ذراعها وكأنها قدت من صلب . استدارت بسرعة . فوجدته بجانبها . وكان وجهه متجهما ، وقد صار لونه أحمر من شدة الغضب . بدا عليه أنه غير قادر تماماً على تمالك نفسه ، وبدا عليه العنف ، مما جعل الرعدة تسري في جسدها .

لم يكن أمامها سوى أن تقف وتحملق فيه وهي تهز رأسها وكأنها مخدرة . لقد كانت عائدة إلى الوطن .. إلى المكان الذي تنتمي إليه ، وتوفر عليه حرج أن يطلب منها الرحيل مرة ثانية .

لماذا إذن كل هذا الغضب ؟ ربما كان من المفروض أن تبقى لتودعه . ولكن هذه المرة لم تكن قادرة على ذلك . قالت :

– لقد نادوا على رحلتي !

كانت هذه العبارة كل ما استطاعت أن تفكر في قوله . كان يهزها بعنف وقد أعماه الغضب ، وقد خرج صوت متحشرج من داخل حلقه .

www.elromancia.com

جذب غضبه الجامح أنظار الباقين ، ونظرت بارتباك وقلق حولها . وحاولت أن تخفض صوتها :

– أنت تعلم أنني لابد أن أرحل يا "دان" ! ولاشك أنك تفهمني .

– أفهم ماذا ؟ أفهم أنك عدت إلي ومارسنا الحب معا ، والآن تندمين على ذلك وسترحلين إلى ذلك الطبيب المكبل بالعمل وغير الناضج . لا .. أنا لا أفهم !

ان يصيح وهو غير مهتم إذا كان الآخرون يسمعون أو لا يسمعون ، وقد علا يد شفتيه من الثورة . كان الجميع يسمع ، ودون أن تنظر "أنّا" كانت تحس بهما أصبحا محور اهتمام الجميع ، فصعد الدم إلى وجنتيها من الخجل .

لت أن تنزع نفسها من قبضته ، ولكنه ازداد قوة :

– ارجوك يا "دان" !

تقدم رجل يبدو أنه كان يريد الانتحار وقال لها :

– هل يمكنني المساعدة ياآنسة ؟

تحول "دان" إليه كالنمر ، وقد انتفض جسده من الغضب وأصبح كالوحش المستعد للقتال :

– نعم يمكنك أن تساعد ، بأن تعنى بشؤونك الخاصة الملعونة !

قالت "أنّا" بسرعة للرجل :

– كل شيء على مايرام ... شكراً لك :

كان "دان" قد وصل إلى أقصى مدى . وكان يجرها بعيداً عن حاجز المسافرين.

صاحت :

– أمتعتي ... لقد وضعت بالطائرة .

صاح بحدة :

– من المؤكد أنك تستحقين بعض المتاعب . لقد أتعبتني وسببت لي المتاعب طوال حياتي .

– لن تكون هناك متاعب بعد ذلك !

أخذت تحاول نزع يدها . عاد بعض الإدراك إلى عقلها المظلم ، ولكنه نظر إليها

في تهديد حقيقي :

– يمكنني أن أقودك إلى الخارج أو أحملك ؛ فالأمر في الحالتين سيان .

ذهبت معه تتبعهما جميع العيون .

– هل تستطيع ....؟

استدارت بعينين مجنونتين ناحية الناس ومكتب شركة الطيران . أكملت السيدة الواقفة خلف المكتب العبارة في صوت عال وهي في غاية الانشراح :

– ... أن أحضر لك متاعك من الطائرة ؟ سأحاول !

زادت حمرة وجه "أنّا" ، ولكنها لم تستطع أن تواجه الوجوه الضاحكة بعد ذلك كاد "دان" يجرها إلى الخارج ، تاركا الناس يظنون بهما الظنون . كان غضبه عنيفا بدائيا ، يظهر بوضوح على وجهه .

كان هناك "تاكسي" في الانتظار ، والمحرك يدور . دفعها "دان" إلى الداخل . ولم تترك يده ذراعها قط. لاشك أنه ظن بأنها قد تفتح الباب الآخر وتقفز من السيارة .

– هل عثرت عليها ياسيد "تورين" ؟

كان الصوت صادرا من وجه أسود ضاحك يحملق فيها خلال المرآة العاكسة ، بينما قال "دان" في ضيق :

– نعم .. عثرت عليها .. دعنا نعود إلى الفندق !

لم يكن هناك مايمكن أن يقال . وعلى أية حال لم تكن لتجرؤ على الحديث . كان "دان" في ذروة ثورته وقد انفلت عياره ، ماذا كان يتوقع منها ؟ هل كان يريد منها أن تبقى ، وأن تملأ وقته كلما بعد عن "دافني" ، وهل كان يفكر حقا أنها ستعود إلى "برايان" أم أن ذلك مجرد عذر ؟

لقد احتجزها طوال الليل ! أي رجل يظن نفسه ؟ قالت :

– كيف عرفت أنني .... ؟

– لقد حجزت رحلتك عن طريق الفندق . إنك لست ذكية بالدرجة التي تظنين .

خفف من بؤسها زيادة حدة طبعها ، ولكنها لم ترد أن تؤدي مشهدا عنيفا أمام سائق التاكسي الذي أعادهما إلى الفندق بسرعة ، أمسك "دان" بذراعها بنفس

www.elromancia.com

القبضة القوية وهو يدفع أجر التاكسي بسخاء بالغ . مما دفع سائق التاكسي إلى التنهد بصوت عال مبتهجاً ، مما زاد من التفات الناس إليهما ، وقال للسائق :

– شكرا لك . لقد أوصلتنا في الوقت المحدد !

غير أن مرورهما في ردهة الفندق كان سريعاً جدا بحيث لم تتح الفرصة لأي متطفل أن يلقي عليهما نظرة استطلاع .

كاد "دان" يلقي بها داخل الحجرة ، وأغلق الباب بالمفتاح ، ووضعه في جيبه . وقف ينظر إليها وهي تسير بسرعة بعيدا عنه كي تفصل بينه وبينها أكبر مسافة ممكنة . صاح بصوت حاد وقد أصبحت عيناه ضيقتين وخطرتين :

– من الأفضل أن تشرحي لي لماذا كنت سترحلين بهذه الطريقة . حتى دون كلمة ولاتفكير فيّ ؟

إذا تخيلت أن بإمكانك أن تلغي التصاقك بي باعتباره نزوة عاطفية ثم تعودي بسهولة إلى صديقك فأنت إذن مخطئة تمام الخطأ .

دارت حول نفسها في دهشة ، وقد أذهلتها كلماته .

– لقد نلت كل ماطلبت ! هل هذا هو ماتريد أن تخبرني به ؟ أعرف أنك لن تهتم! لقد توسلت إليك من أجل ليلة واحدة . حسنا ... لقد انتهى الأمر .

جاء صوته ثقيلا مليئاً بالمرارة وأكثر هدوءا ، وقد انخفض الغضب قليلا ، حيث حلت محله عاطفة أخرى :

– وماذا عني ؟

ذكرته بهدوء :

– هناك "دافني" !

استدار وهو يمشط شعره بأصابعه :

– أعطني القوة يارب ! هل بسبب وصول "دافني" ؟ لقد أخبرتك بأنني لست متزوجا "دافني" ... ألا تصدقين ذلك ؟

– بلى .. أصدقك ، ولكن ذلك لن يغير من الأمر شيئا ، فهذا أمر عادي : أليس كذلك؟

ثم هناك ابنك و ...

استدار إليها ثانية ، وعيناه شبه متوحشتين .

– أي ابن ؟ إن مسلكك يزداد غرابة يوما بعد يوم .. هل تعرفين ذلك ؟ هأنت قد اخترعت ابنا لي الآن . ليس لي أبناء !

بدأت الحديث وهي مهتزة ، وقد انقلب عالمها رأسا على عقب . خمس سنوات من الإيمان بحقيقة ثابتة تنهار الآن أمامها . قالت :

– "تريفور" !

– "تريفور" ليس ابني . إنه ابن "دافني" .

أسمعيني المزيد من الجرائم التي ارتكبتها .

قالت بصبر ومكر :

– لايهم ! لقد أردت مني أن أرحل . بل إنك حجزت لي تذكرة السفر !

فعلت ذلك لأنك طلبت ألا تعودي إلى "أماراكاي" .

تقدم منها وهو ينظر إليها في توتر :

– كل ذلك الوقت الذي أخذتك فيه إلى المستشفى ، وكل الوقت الذي قضيته بجانب سريرك . أدعو الله أن يشفيك وأن تهبط عنك حرارة الحمى . لم تكوني تريدين العودة إلى "أماراكاي" قط .

أمسك كتفيها بشدة ، وهو يجذبها إلى الأمام ويحتضنها بقوة ، وقد ظهرت في عينيه نظرة يأس جعلتها تقف دون حركة :

– إنني أحبك وذهابك بعيدا عني كاد يقتلني .. وعندما عدت ثانية لم أصدق عيني .

تركها واستدار بعيدا عنها ، فجأة أحست بكتفيه يتهدلان :

– لقد كنت ترغبين فعلا في الذهاب .. أليس كذلك ؟ من أنا ؟ أنا على أية حال مجرد تسلط عاطفي طويل انتهى بالنسبة لك .

وقفت في مكانها كالصخرة . لقد سمعت بأذنيها ، ولكن عقلها رفض أن يصدق أصبحت حياتها تبدو وكأنها – فقط – حياة انتظار وشوق لـ"دان" بطريقة ما ، وهو الآن يتصرف وكأنه ضائع ووحيد . كان عجزه من الوضوح بحيث لايمكن

www.elromancia.com

أن تخطئه . قال لها بمرارة ، وقد أشاح برأسه بعيدا ، وتركزت عيناه على السماء الزرقاء من خلال النافذة :

– يمكنك أن تذهبي إذا أردت يا "أنّا" ، لقد عشت خمس سنوات بدونك ، فهل هناك ما يمنعني من أن أقضي بقية حياتي البائسة دونك ؟

لم تقل شيئا ؛ لأن الكلمات استعصت عليها .

وعندما استدار لينظر إليها ، كانت الدموع تنهمر من عينيها ، وقد مدت يدها المرتعشة إليه :

– أوه يا "دان" ! ... أحبك حبا جما ! لم يكن في حياتي شيء وأنت غير موجود. ولم تكن لي حياة !

أرجو ألا تقول إنك تحبني وأنت لاتعني ذلك . لن أتحمل ذلك .

ظل لحظة ينظر إليها وهو غير مصدق ، ثم اندفع نحوها ، وجذبها بين ذراعيه وأسند وجهه على خديها المبتلين :

– "أنّا" – عزيزتي– ! .. بالتأكيد أنت تعرفين أنني أحبك !

أخذ يهزها على صدره وشفتاه تبحثان عن وجهها ، أغلقت عينيها . لفت يداه شعرها الطويل وأخذ يمعن النظر فيها . قال بهدوء وهو يتنفس بعمق :

– لايوجد أحد غيرك ياعزيزتي ! لم يكن هناك قط أحد غيرك طوال السنوات الأربع . بل منذ أول يوم رأيتك فيه . لقد دفنت نفسي في "أماراكاي" محاولاً أن أجعلها جميلة ، وجمعت التحف والأشياء الثمينة التي يمكن أن تحبيها ، وكلي أمل أن تأتي يوما إليّ .

– هل اشتريت "أمارا" من أجلي ؟

كان الخبر مفاجأة سريعة وكبيرة ، ولم يجرؤ عقلها على استيعاب ذلك ، ولا على تصديقه .

– لقد اشتريت "أمارا" كي أجد بعض السلام . أردت أن أبني جنة الأحلام : مكاناً أحضرك إليه ، ويكون لنا فقط ، ولا أرحب فيه بأحد .

قالت في لهجة تأكيد :

– لقد رحبت بـ"دافني" ، وبالمرأة صاحبة رداء الغطس .

– لم تعودي تثقين في !

عادت المرارة إلى صوته ، وبدأ يتحرك بعيدا عنها ويداه تبعدها عنه ، التصقت به بجنون وهي تسحق آخر فلول الغيرة :

– لاتتركني ! لقد وثقت بك طوال حياتي ، ولو لم أفعل لما استطعت ....

أكمل عبارتها وهو يأخذها ثانية بين ذراعيه :

– لما سلمت نفسك لي بكل تلك الرغبة والاندفاع .

"دافني" صديقتي ، وأتعشم أن تكوني أيضا صديقة لها من أجل خاطري . أما السيدة ذات الرداء فإنها دائما تحضر معها زوجها .

نظر إليها بحب لم تستطع معه إلا أن تصدقه ، قال بصوت مبحوح ، وقد رفع يدها إلى فمه وهو يقبل راحة كفها الدافئة :

– إنني أحبك .

– أوه يا "دان" لماذا لم تحضر إلي ؟ لقد ظننت أنك ستتزوج "دافني" . لقد قلت هذا .

– كيف أستطيع الحضور ؟ لقد آذيتك كثيرا وكنت أعلم ذلك . كنت مكبلا بالشعور بالذنب ، وكان عمرك سبعة عشر عاما فقط . وعندما جئت وحضرت حفل الزفاف ، ورأيت كيف استقبلت طبيبك تأكدت من أنك لاتحبينني .

نظرت إليه بعينين داكنتين ، فألقى بنفسه فوق المقعد وجذبها معه . قال وهو يتنهد :

– كان من الأفضل أن أخبرك عن "دافني" ، كنت ستنصتين إليّ يا "أنّا" ؛ لايجب أن يكون بيننا سوء تفاهم آخر .. لاشيء يفرقنا .

ارتمت فوق صدره ، وضحك وهو يهتز عندما قالت :

– كان من الممكن ألا يحدث !

– لم أكن أريد المخاطرة ، كنت أعلم أنني أكبر منك كثيرا . لقد كنت دائمة التهرب طوال حياتك .

فكرت أنها لم تكن في الحقيقة متهربة ، وإنما غارقة في حب شخص واحد وكانت خائفة أن تُظهر ذلك .

والآن يمكنها أن تخبره . والآن يمكن أن تصب كل حبها في قلب "دان" . أراحت رأسها على كتفه وهي تنصت إلى صوته العميق . قالت له برقة ، وقد شد ذراعيه حول خصرها :

– أخبرني عن "دافني" .

– لقد تعرفت عليها منذ سنوات بعيدة . عندما بدأت كتابة سيناريو أول كتاب لي. لم أكن في الحقيقة أعرف كيف أتصرف . إن "دافني" هي كاتبة سيناريو الأفلام ، وعملت معي . تعرفت عليها جيدا وتعرفت على خطيبها "تريفوربلاين" كانا أفضل الأصدقاء الذين تعرفت عليهم .

صمت لمدة دقيقة ، وأحست أن الأمر مؤلم بالنسبة له .

ربتت بيدها على وجهه ، فأمسك بها ورفعها إلى شفتيه ، قالت له :

– لست مجبراً على أن تقول لي !

– إنني في حاجة إلى ذلك ... لم يعد هناك مجال للأسرار بيننا بعد الآن كان "تريفور" يعمل كبديل لبطل الفيلم ، حيث يقوم بتمثيل المشاهد الخطرة ، وأنت تعرفين موضوعات كتبي : مغامرات سياسية سريعة وعنيفة . مملوءة بالمشاهد التي لابد أن يؤديها بديل للبطل . كان أمراً طبيا كتابة هذه الموضوعات ، ولكن إخراجها في السينما شيء آخر . من حوالي خمس سنوات وصلنا إلى جزء معقد في الكتاب من المفروض تصويره . كان هذا الجزء يتطلب تصوير حادث مروع ، وهو مهم للقصة ، ويجب أن يكون طبيعيا ، وليس عن طريق الخدع السينمائية .

نظر "دين" إلى المشهد وقال إنه لابد من شطبه وكتابة مشهد آخر بدلاً منه . وقد وافقت ، وأنا كاره لذلك كرها شديدا ، بينما كان "تريفور" متحمساً لفكرة الاحتفاظ بهذا المشهد . فقد فكر فيه وقال : إن في إمكانه القيام به . وقال إنه سيكون أحسن ما أداه في حياته ، وسيرفعه إلى القمة . وقد بلغ به الأمر أن دفعني إلى التحمس له ، واستطعنا إقناع "دين" بصعوبة ، والحقيقة أننا طاردناه حتى سلّم .

تنهد "دان" وظل وجهه فوق شعرها .

– لست أدري ما الخطأ الذي حدث . ربما كان "تريفور" واثقا من نفسه أكثر من اللازم . وربما أعد نفسه بطريقة غير صحيحة ، وربما فقد تركيزه ، وربما كان تمثيل هذا المشهد مستحيلا . لقد سقط واصطدم بالأرض .

وعندما هرعوا إليه كان قد مات .

قالت وقد ألقت بذراعيها الملفوفتين حول عنقه :

– واعتبرت نفسك المسؤول ؟

– نعم . نقلت "دافني" إلى المستشفى ، حيث تناولت المهدئات لمدة أسبوع وكنت أذهب كل يوم . لقد أحسست بالذنب وأنني المسؤول عن هدم كل شيء . كان من الواجب عليّ أن أرفض المشهد أو أغيره .

عندما استطاعت أن تتكلم . كان لزاما عليها أن تتكلم معي ، وأخبرتني بأنها حامل . طلبت منها الزواج ، ولكنها نظرت إلي نظرة تائهة ، وظللت ألح . وأخبرتها بأنها في حاجة إلى من يعتني بها حتى تنجب ابن "تريفور" وأنه لن يكون زواجا بالمعنى المفهوم ، ولم نكن بحاجة إلى مناقشة ذلك . كنا فقط صديقين ، وأخيرا وافقت ، وخاتم الخطوبة الذي رأيته كان يخص "تريفور" ، ولم تخلعه قط من إصبعها ، وكنت أعلم أنها لن تفعل ذلك .

كان كل شخص حولنا يعرف الموضوع ، وأخذوا يحومون حوله ويحيكون الأقاصيص ، وظللت وقتا طويلا لا أستطيع أن أدعها بمفردها . وعندما حضرت إلى انجلترا . أحضرتها معي . وعندئذ رأيتها عندما كنت أشعر بالذنب الذي منعني من الشيء الذي كان تحت نظري طوال حياتي .

– لماذا لم تشرح الأمر لي ؟

رفعت رأسها ومنحته قبلات سريعة معبرة عن حبها ، وحاولت أن تبعد عنه حالة الكآبة التي بدأت تسيطر عليه ، وهو يتكلم برقة .

– كيف أستطيع ؟ "دافني" كانت في حاجة إلي ، وأنت كنت في بداية أنوثتك ونضجك . كنت في حاجة لأن تنسيني . كان تصرفنا صبيانيا لا أكثر . لقد كنت أنا صاحب المشكلة والمسؤول عنها .

رفع وجهها ونظر في عينيها ، ثم قرب شفتيه من شفتيها ، أخذ يتكلم في

صوت خافت ، وعيناه تتجولان في وجهها في شوق :

– كنت قد تعودت أن أنظر إليك كطفلة ، وكنت لاأفهمك ، ولا أعرف ماذا تريدين لقد بدا عليك أنك كنت تريدين أن أعتني بك ولكن عندما كنت أحاول ، أجدك تتصرفين كشيطان .

كنت دائما أرحل وأنا قلق عليك . قلق على المخلوق الغريب الذي دخل حياتنا وكان يراقبني بعينين سوداوين حذرتين .

استأنف الحديث بعد فترة :

– كان أبي يحدثني عن القوقعة التي كنت تختبئين فيها ، ولكني لم أكن أصدق ذلك .

عندما كنت في المنزل كنت متصلبة وساكنة بدرجة غير طبيعية وأنت تراقبين وتنتظرين . كنت دائما أقف مشدوها ، وأنا أتساءل عن سبب خوفك مني ، كنت أحتفظ دائما في ذهني بصورة تلك الفتاة النحيفة ذات الشعر الأسود الطويل والعينين الذكيتين .

وعندما عدت مع "دافني" . لم أستطع أن أصدق التغيير الذي حدث لك في غضون ثلاث سنوات . لقد خرجت لاستقبالنا فوجدت أمامي امرأة هادئة ومتحكمة في نفسها ، وذات جمال غريب أذهلني .

قالت معترفة :

– لقد أردت أن أبكي . لقد أحضرت "دافني" وكل شيء انهار أمامي .

قربها منه ، وقبلها ويده الدافئة فوق خدها :

– لاتبكي ياحبيبتي ! لم أرغب إطلاقا أن أسبب لك أذى طوال حياتي . لقد سحرتني . طوال الأسبوع وأنا لا أشبع من رؤيتك . ورغم بعدك عني كنت قريبة من قلبي أكثر من أي وقت مضى كنت تتجنبين عيني ، وعندما كنت أرفع رأسي بحركة غير متوقعة ، كنت أجد عينيك السوداوين مركزتين عليّ : تلك النظرة التي كانت تريد شيئا لا أفهمه ، كنت في ذلك الوقت قد كبرت وأصبحت جميلة ومغرية ، ومنزوية بعيدا وكأنك نجمة صغيرة تتلألأ في نهاية العالم وفي حياتي .

قبل أن ينتهي الأسبوع وقعت – مدلها – في حبك ، وعندما قررت أن أذهب ، وألا أعود .

أخذت تزيح الشعر عن وجهه بحنان ، وهو ينظر إليها في دهشة . ثم قالت :

– لقد ظننت وقتها أن حياتي قد انتهت .

– وهل انتهت ؟

– لقد أخبرتني أنني سأشفى ، على الأقل من الناحية المنطقية . وربما كنت سأشفى أسرع لو لم تقبلني وقتها .

– لم أكن أقصد ذلك . عندما لم تحضري لتوديعي كان من الواجب علي أن أراك رغم علمي بالخطر . وعندما بكيت . أردت أن أصحبك معي ، ولكن ضميري كان يقظا .

كانت "دافني" في حاجة إليّ بسبب خطئي ، وكنت بالفعل قد طلبت منها الزواج .

كانت الحياة أمامك ، وأنت ذكية ولست في حاجة إليّ !

نظرت إليه غاضبة ، فابتسم بهدوء . قالت له :

– لقد كنت في حاجة إليك !

– عرفت ذلك عندما قبلتك ، وظننت أن الفرصة ضاعت ، وأنني لن أنال فرصة أخرى .

– لماذا لم تتزوج "دافني" ؟

كان هذا الموضوع يقلقها ، وكان قد قال إنه لم يعد بينهما أية أسرار .

– لقد عادت إلى نفسها تدريجيا . كانت في البداية في حالة غير مستقرة ، ثم أتت إلي . وقالت إنها لن تستطيع أن تتزوج أي شخص . ولم تتزحزح عن موقفها ، عاونتها في كل شيء وأصبحنا صديقين حميمين ، وضعت ابنها من "تريفور" ، وكان في غاية الجمال .

وهي الآن تلتقي برجل آخر . وبدأت تعيد ترتيب حياتها ، لقد غيرت خاتم "تريفور" ووضعته في إصبع باليد الأخرى . ألم تلاحظي ذلك ؟

– للأسف .. لم ألاحظ لقد كنت مشغولة بسبب غيرتي وشعوري بالذنب

www.elromancia.com

نحوها، لأنني كنت أحبها . كنت أتساءل عم تتحدثان . ولم أكن أجرؤ على التدخل .. ضحك في وجهها ، ثم بانت على وجهه الريبة :

– هل تخيلت أن بيننا موقفاً غرامياً ؟ لقد كنا نتحدث عن "أنيتا" .

كانت "دافني" تضع اللمسات الأخيرة للنص . لم تكن "أنيتا" تترك "دافني" في راحة . لقد أخبرتها أنني أحبك ، وأنني لن أسمح لك بالعودة إلى "أماراكاي" إذا ما حدث لك شيء .

– هل مازلت تريدني أن أرحل ؟

رفعت عينيها إلى وجهه ، وقد ظهرت علامات الخوف في أعماقها . قال بسرعة وبصوت مرتعش :

– سأذهب معك ! لقد حضرت إلى هنا كي أحجز تذكرتي سفر لكلينا ، ، وليس لك بمفردك . لقد جرحت في "أماراكاي" وأصابني الرعب عندما أصابتك الحمى ثم جاء الإعصار !

قربها منه أكثر ، وهو يلهث بطريقة أثبتت أنه لايزال يتذكر خوفه عندما كانت مريضة ، ولكنه تراجع إلى الخلف وهو ينظر في عينيها . قالت :

– إنني أحب "أماراكاي" ، وظننت أنني سببت مايكفي من المتاعب ، وكنت أظن أن هناك "دافني" وذلك الصبي الصغير . كنت أعلم أنني لن أستطيع البعد عنك إذا عدت إلى الجزيرة . لذا أردت أن أخبرك بأنني لن أعود إلى الجزيرة . كنت أتوسل إليك كي تطلق سراحي يا "دان" ! وكنت قد عاهدت نفسي أن أدعك تعيش حراً تفعل ماتريد .

كان صوته ثقيلا وهو يحدثها ، ويداه الدافئتان فوق بشرتها :

– قوليها مرة ثانية ! قولي تلك الفقرة عن عدم استطاعتك البعد عني !

– أعتقد أنك تعلم أنني لا أستطيع البعد عنك .

– أيتها الساحرة الشريرة ! أريني كيف لاتستطيعين البعد عني !

تركها ووقف ... ثم رفعها بين ذراعيه وأنزلها على الأرض .

قال بصوت خافت :

– أتريدين العودة إلى الجزيرة ؟

– نعم أوه .. نعم ! أريد أن أبقى معك . أريد أن أعيش فوق "أمارا" معك . ولا أريد أن أذهب عنها .

– سأبعد أي شخص عن الجزيرة ، وعليك أن تثبتي مدى حبك لي .

رغم حبه الشديد ، إلا أن آثار الخوف بدت في عمق عينيه مشوبة بالتوسل.

كان يريد منها أن تقدم له أكثر من حالة الاستحواذ التي سيطرت عليها . تلك الحالة الصبيانية الغريبة .

كان يريد الحب الحقيقي . لقد تملكتهما الرغبة العارمة التي استحوذت على كيانهما تماما . وعندما أفاق صاح بلهجة تشبه الانتصار :

– إنك ملكي !

– وأنت ملكي أيضا .

كانت الدموع تملأ عينيها الداكنتين ، وأخذت تهمس :

– عد بي ثانية إلى "أمارا" .

قال "دان" بحزم :

– بعد أن نتزوج .

رفعت عينيها إليه ، وهي تضع رأسها على كتفه في أمان :

– كم سيستغرق ذلك من وقت ؟

– لست أدري ! لم يسبق لي الزواج !

أخذا يتبادلان النظرات ، وقد ابتسم "دان" بمكر :

– أستطيع في دقيقة أن أحصل على كل المعلومات بالهاتف ، وبسهولة ننتظر حتى تتم الإجراءات .

سألته "أنّا" فيما بعد ، بعد أن استردت أنفاسها من قبلاته :

– وماذا عن "لانجفورد هول" .. وعن "إدنا" ؟

بدت لهجة التصميم في صوت "دان" وهو يقول :

– نحن في حاجة إلى منزلين ، لن أسمح لك أبدا بمواجهة إعصار بعد ذلك .

سنقضي نصف وقتنا في الجزيرة ، والنصف الآخر في "لانجفورد هول" والذكريات الحزينة يجب أن تختفي .

ضحكت "آنّا" :

– سيكون لدينا "إدنا" نصف العام ، و"جوزي" النصف الآخر . هل يمكن أن نطمع في أكثر من ذلك ؟

طرأت على ذهنها فكرة جديدة ، فنظرت إليه :

– وماذا عن شهادتي الجامعية يا "دان" ؟ وما المطلوب مني أن أصنعه مع تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف في الحسابات عندما أكون في "أمارا" لنصف العام ؟

ذهب عن وجهه بعض السعادة ، والتفت إليها بجدية مشوبة ببعض القلق .. قال لها بهدوء :

– أخبريني أنت ، فإن لديك خططا كثيرة .

قالت وقد قطبت جبينها من التفكير ، مما زاد من اتساع ابتسامته :

– لقد لاحظت أنه لايوجد (بنك) في "أماراكاي" ، ومن ثم فإنه لايوجد لي وظيفة.

أما بالنسبة للحكومة فإنني أنوي أن أكون الحكومة الكاملة للمطبخ ، وبصفة مؤقتة سأضع الشهادة في إطار ، وأعلقها في حجرتي !

– إنني أحبك ! ولا أريد أن أكون أنانيا ، ولا أحاول أن استحوذ على كل ماتملكينه . إنك ذكية للغاية يا "آنّا" ، وليس لي الحق في ذلك .

– لاتهتم ، وسأفكر في أمر يشغل عقلي حتى لايصدأ ، وأريد أن أخبرك بأمر : سيكون أطفالي أذكى أطفال رأيتهم .

قال "دان" بفرح :

– وسنسمي أخر واحد منهم "تورين" !

* * * *

أخيرا تم زواجهما في انجلترا ، كانا يودان أن يشاركهما فرحتهما كل من "إلين" و"إدنا" ، وكان لدى "دان" سبب آخر .

قال بنعومة :

– عندما تزوجت "إلين" نظرت إليك وأنت تسيرين خلفها ، فقلت لنفسي : يوما

ما ياحبي ستسيرين في ممر الكنيسة ، ولكنك ستسيرين في المقدمة متجهة نحوي وأريد أن يتحقق ذلك ، وأود أن أعود إلى نفس الكنيسة ونفس الناس ، وأراك وأنت تسيرين نحوي ، وتملئين علي كل حياتي .. همست "آنّا" :

– سأحاول أن أسير من خارج حياتك إلى الأمان وسط ذراعيك .

– لماذا ؟

– ويجب عليّ أن أحارب تلك المشاعر التي تؤلمني ، عندما كنت في "أكسفورد" وأخبرتني بأنك ستعود إلى الجزيرة ؟ أحسست بمدى وحدتي .

لماذا لم تذهب ؟

قال دون أن يبتسم :

– لم تكن لدي النية أن أرحل دونك . لم تكوني تريدين أن أذهب هناك ، ولكني لم أكن أستطيع الرحيل . لقد جاء دوري وقتها كي أمكث في الظل .

– وماذا كان يحدث لو لم أمرض وتهاجمني نزلة البرد ؟

– كنت سأظل في الانتظار ....

ثم أضاف :

إنني سعيد لأنني لم أضطر إلى ذلك ، وسواء أكنت في "لانجفورد هول" أم في أي مكان آخر ، كنت سأنتظرك مهما طال بي الانتظار !

تنهدت "آنّا" وهي تقول :

– إنني لا أكاد أصدق نفسي ، وأخشى أن أصحو في يوم فلا أجد ذراعيك حولي ، واكتشف أن كل ما حدث كان مجرد حلم .

همهم "دان" وهو يقبل أصابعها . ثم نظر بعمق في عينيها ، بينما الحب والبهجة يملأن عينيه :

– لقد نلت المجد عندما نلتك يا "آنّا" ! إنك الحلم الذي أصبح حقيقة !

كانت نفس النظرات الحانية في عيني "آنّا" التي أغلقتهما بسيل من القبلات .

* * *

مر أسبوعان ، ورسا قارب "دان" بعد إصلاحه على جزيرة "أمارا" ، استدارت

www.elromancia.com

"آنّا" نحوه وهي سعيدة ، وضحكت ضحكة كلها ثقة . قالت في سرور :

– لقد اهتم "آب" بكل شيء . وتبدو الجزيرة تماما مثلما كانت عليه عندما حضرت أول مرة .

حملها "دان" ليضعها فوق المرسى الجديد وهو يذكرها :

– فيما عدا أنك وقتها لم تكوني تعلمين بأنك تملكين كل شيء فيها ، وإنك تنتمين إليها معي . هل تعرفين ذلك الآن ياعزيزتي ؟

– نعم أعرف !

لمعت العينان الداكنتان في سعادة ، وقد ذهبت عنهما كل نظرات القلق . دار بها بين ذراعيه ، بينما وقفت "جوزي" في مدخل الباب وقد اتسع فمها في ابتسامة عريضة ترحب بـ"آنّا" في منزلها .

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة